البلاغة الواضحة

البيان، والمعاني، والبديع



للمدارس الثانوية

وفقاً للمنهاج الحديث الذي أقرته وزارة التربية والتعليم

تأليف

علي الجارم و مصطفى أمين

المكتبة العلمية

بيروت - لبنان

البلاغة الواضحة

البيان، والمعاني، والبديع

للمدارس الثانوية

وفقاً للمنهاج الحديث الذي أقرته وزارة التربية والتعليم

تأليف

علي الجارم و مصطفى أمين



المكتبة العلمية
بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله ربّ العالمين؛ والصلاة والسلام على محمد رسول الله وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد؛ فقد ارتأينا أن نورد ترجمتين لمؤلفيْ كتاب «البلاغة الواضحة» علي الجارم ومصطفى أمين؛ ولكننا لم نهتدِ بعد البحث الدقيق فيما بين أيدينا من المصادر والمراجع إلى ترجمة لمصطفى أمين، سوى ما ذكره يوسف سركيس في معجم المطبوعات العربية (ص١٧١٥) من إيراد اسمه كما يلي: «مصطفى أمين أفندي: كتاب علم النفس وآثاره في التربية والتعليم؛ ألّفه بمعاونة علي الجارم، مطبعة المعارف ١٣٣٣». وذكر اسمه أيضاً عمر رضا كحالة في معجم المؤلفين (٢/ ٤٥٠) ضمن ترجمته للجارم في سياق ذكره لمؤلفات علي الجارم التي وضعها بالاشتراك مع مصطفى أمين، وهي النحو الواضح والبلاغة الواضحة وغيرهما.

أما علي الجارم، فنذكر فيما يلي ترجمته كما أوردها الزركلي في الأعلام (٤/ ٢٩٤): علي بن صالح بن عبد الفتاح الجارم (١٢٩٩ ـ ١٣٦٨هـ = ١٨٨١ ـ ١٩٤٩م) أديب مصري، من رجال التعليم. له شعر ونظم كثير. وُلد في رشيد، وتعلّم بالقاهرة وإنجلترة. وجُعل كبيراً لمفتشي اللغة العربية بمصر، فوكيلًا لدار العلوم حتى سنة ١٩٤٢م. ومثّل مصر في بعض المؤتمرات العلمية والثقافية. وكان من أعضاء المجمع اللغوي. له «ديوان الجارم ـ ط» أربعة أجزاء، و«قصة العرب في إسبانيا ـ ط» ترجمه عن الإنكليزية، وهو من تأليف ستانلي لين بول، و«فارس بني حمدان ـ ط» و«شاعر ملك ـ ط» و«غادة رشيد ـ ط» و«هاتف من الأندلس ـ ط» قصة ولادة مع ابن زيدون،

و«الذين قتلتهم أشعارهم ـ ط» نُشر تباعاً في مجلة الكتاب، و«مرح الوليد ـ ط» في سيرة الوليد بن يزيد الأموي، و«الشاعر الطموح ـ ط» المتنبي، و«خاتمة المطاف ـ ط» نهاية المتنبي، وشارك في تأليف كتب أدبية، منها «المجمل ـ ط» و«المفصل ـ ط» وكتب مدرسية في النحو والتربية. وتوفي بالقاهرة، فجأة، وهو مصغٍ إلى أحد أبنائه يلقي قصيدة له في حفلة تأبين لمحمود فهمي النقراشي.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[مقدمة المؤلِّفَين]

الحمد لله، والصلاةُ والسلام على سيدِنا محمد ومَنْ والاه، وبعد؛ فهذا كتابٌ وضَعْناه في البلاغة، واتجهْنا فيه كثيراً إلى الأدب، رجاء أن يَجْتَليَ الطُّلَّابُ فيه محاسنَ العربية، ويَلْمَحُوا ما في أساليبها من جلالٍ وجمال، ويَدْرُسُوا من أفانين القول وضروبِ التعبير، ما يَهَبُ لهم نِعْمَةَ الذوق السليم، ويُرَبِّي فيهم ملكةَ النَّقْد الصحيح، وأملنا أن يكون لعملنا هذا شأنٌ في إحياءِ الأدب، وتَوْجيهِ أذهان المعلمين والطُّلاب إلى هذه الطريقة التي ابتكرناها في دراسة البلاغة. ولَعلنا نكون قد وُفِّقْنا إلى ما قَصَدْنا إليه، والله خَيْرُ مُسْتعان.

مقدمة
الفصاحة ـ البلاغة ـ الأُسلوب

الفَصاحة: الظهور والبيان، تَقُول: أَفْصح الصُبْحُ إذا ظَهَر. والكلامُ الفصيحُ ما كان واضح المعنى، سهل اللفظِ، جيِّدَ السَّبك. ولهذا وجبَ أَن تكون كلُّ كلمة فيه جاريةً على القياس الصَّرفي[1]، بينةً في معناها، مفهومةً عَذْبةً سلِسة.

وإنما تكونُ الكلمة كذلك إذا كانت مأْلوفَةَ الاستعمال بَين النابهين من الكتّاب والشعراء، لأنها لم تَتَداولها أَلسِنتُهم، ولم تَجْرِ بها أَقلامهم، إلا لمكانها من الحُسْن باستكمالها جميع ما تقدّم من نُعوت الجوْدة وصِفات الجمال.

والذوقُ السليمُ هو العُمْدةُ في معرفةِ حُسن الكلمات وسَلاسَتِها، وتمييز ما فيها من وجوه البشاعة ومظاهر الاستكراه؛ لأن الألفاظَ أصواتٌ، فالذي يطْرَبُ لصوْت البُلبُل، وينْفِر من أَصوات البُوم والغِرْبان، ينْبُو سمعه عن الكلمة إذا كانت غريبةً مُتَنَافِرَةَ الحروف[2]. ألا ترى أن كلمتَيْ «المُزْنة» و«الدِّيمة» للسحابة المُمْطِرة، كلتاهما سَهلَة عذْبَةٌ يسكن إليها السمع، بخلاف كلمة «البُعَاق» التي في معناهما؛ فإنها قبيحة تَصُك الآذان. وأمثال ذلك كثير في مُفْردات اللغة تستطيع أن تُدْركه بذَوْقك.

* * *

(١) فقول المتنبي:

فـلا يُـبـرم الأمـر الـذي هـو حـالـل ... ولا يُـحـلَـل الأمـر الـذي هـو يـبـرم

غير فصيح؛ لأنه اشتمل على كلمتين غير جاريتين على القياس الصرفي، وهما حالل ويحلل، فإن القياس حال ويحل بالإدغام.

(٢) تنافر الحروف: وصف في الكلمة يوجب ثقلها على السمع وصعوبة أدائها باللسان ولا ضابط لمعرفة الثقل والصعوبة سوى الذوق السليم المكتسب بالنظر في كلام البلغاء وممارسة أساليبهم.

١ ـ ويشترط في فصاحة التركيب فوقَ جريان كلماته على القياس الصحيح وسهولتِها أن يسلمَ من ضَعفِ التأليفِ، وهو خروج الكلام عن قواعد اللغة المطردَة كرجوع الضمير على متأخر لفظاً ورتبة في قول سيدنا حَسانَ رضي الله عنه[١]:

ولـو أنَّ مَـجـداً أَخْـلَدَ الـدهْـر واحِـداً مِنَ النَّاسِ أَبْقى مَجْدُهُ الدَّهْرَ مُطْعِما[٢]

فإن الضميرَ في «مَجده» راجع إلى «مُطعِما» وهو متأخر في اللفظ كما ترى، وفي الرتبة لأنه مفعول به، فالبيت غير فصيح.

٢ ـ ويشترط أن يسلم التركيب من تنافر الكلمات، فلا يكونُ اتِّصالُ بعضها ببعض مما يُسبِّب ثِقَلَها على السمع، وصُعوبةَ أدائها باللسان، كقول الشاعر:

وقَـبْـرُ حـربٍ بِـمـكـان قَـفْـرُ ولَيْـسَ قُـرْب قـبـرِ حَـربٍ قَـبـرُ[٣]

قيلَ إن هذا البيتَ لا يَتَهَيّأُ لأحد أن يُنْشدَهُ ثلاثَ مراتٍ متوالياتٍ دونَ أن يَتَتَعْتَعَ[٤]، لأن اجتماعَ كلماته وقُربَ مخارجِ حروفها، يحدِثانِ ثِقلًا ظاهراً، مع أن كل كلمة منه لو أُخذت وحدها كانت غير مُستَكْرهةٍ ولا ثقيلة.

٣ ـ ويجب أن يسلم التركيب من التَّعقيد اللفظي، وهو أن يكون الكلام خَفيَّ الدلالة على المعنى المراد بسبب تأخير الكلمات أو تقديمها عن مواطنها الأصلية أو بالفصل بين الكلمات التي يجب أن تتجاورَ ويتَّصِلَ بعضها ببعض، فإذا قلت: «ما قرأ إلاّ واحداً محمدٌ مع كتاباً أخيه» كان هذا الكلام غيرَ فَصيح لضعْفِ تأليفه، إذ أَصله «ما قرأ محمدٌ مع أَخيه إلا كتاباً واحداً»، فقُدِّمت الصفة على الموصوف، وفُصل بين المتلازمين، وهما أداةُ الاستثناء والمستثنى، والمضافُ والمضافُ إليه. ويشبه ذلك قول أبي الطيِّب المتنبي[٥]:

---

(١) هو شاعر رسول الله ﷺ، أجمعت العرب على أنه أشعر أهل المدر. قيل إنه عاش ١٢٠ سنة، ٦٠ في الجاهلية و٦٠ في الإسلام، وتوفي سنة ٥٤هـ.

(٢) هو مطعم بن عدي أحد رؤساء المشركين، وكان يذب عن النبي ﷺ. ومعنى البيت أنه لو كان مجد الإنسان أو شرفه سبباً لطول حياته وخلوده في هذه الدنيا، لكان مطعم بن عدي أولى الناس بالخلود، لأنه حاز من المجد والسؤدد ما لم يحزه غيره.

(٣) البيت من الرجز، ولا يعرف قائله، ولعله مصنوع.

(٤) تتعتع في الكلام: تردد فيه من حصر أو عي.

(٥) أبو الطيب المتنبي هو أحمد بن الحسين الشاعر الطائر الصيت، كان من المطّلعين على غريب اللغة، وشعره غاية في الجودة، يمتاز بالحكمةوضرب الأمثال وشرح أسرار النفوس، ولد بالكوفة في محلة تسمى كندة سنة ٣٠٣هـ، وتوفي سنة ٣٥٤هـ.

أنّى يكونُ أبا البريّةِ آدمٌ ... وأبوكَ والثقلانِ أنتَ محمّدُ[1]؟

والوضع الصحيح أن يقول: كيف يكون آدم أبا البرية، وأبوك محمد، وأنت الثقلان؟ يعني أنه قد جمَعَ ما في الخليقة من الفضل والكمال، فقد فَصَل بين المبتدأ والخبر وهما «أبوك محمد»، وقَدَّم الخبر على المبتدأ تقديماً قد يدعو إلى اللبس في قوله «والثقلان أنت»، على أنه بعد التعسُّف لم يسلم كلامُه من سُخف وهَذَر.

٤ ـ ويجب أن يسلم التركيب من التعقيد المعنوي، وهو أن يَعمد المتكلم إلى التعبير عن معنى فيستعمل فيه كلماتٍ في غير معانيها الحقيقية، فيسيء اختيار الكلمات للمعنى الذي يُريده، فيضطرب التعبير ويلتبس الأمر على السامع. مثال ذلك أن كلمة اللسان تُطلَق أحياناً ويُراد بها اللغة، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ﴾ أي ناطقاً بلغة قومه، وهذا استعمال صحيح فصيح، فإذا استعمل إنسانٌ هذه الكلمة في الجاسوس، وقال: «بثَّ الحاكم ألسنته في المدينة» كان مخطئاً، وكان في كلامه تعقيدٌ معنوي، ومن ذلك قول امرىء القيس[2] في وصْفِ فرَس:

وأرْكَبُ في الرّوعِ خَيفانةً ... كَسا وجْهَهَا سَعف مُنتشر[3]

الخيْفانةُ في الأصل الجرادة، ويريد بها هنا الفرس الخفيفة، وهذا لا بأس به وإن كان تشبيه الفرس بالجرادة لا يخلو من ضعف، أما وصف هذه الفرس بأن شعر ناصيتها طويلٌ كَسَعف النخل يُغطِّي وجهها، فغير مقبول؛ لأن المعروف عند العرب أن شعرَ الناصية إذا غَطَّى العينين لم تكن الفرس كريمة ولم تكن خفيفة. ومن التعقيد المعنوي قول أبي تمّام[4]:

جَذَبتُ نَداهُ غدوة السَّبتِ جذْبةً ... فخرَّ صريعاً بين أيدِي القصائد[5]

فإنه ما سكتَ حتى جعل كرم ممدوحه يَخرُّ صريعاً وهذا من أقبح الكلام.

* * *

(١) الثقلان: الإنس والجن، والبيت من قصيدة طويلة في مدح شجاع بن محمد الطائي.

(٢) هو رأس شعراء الجاهلية وقائدهم إلى الافتنان في أبواب الشعر وضروبه، ولد سنة ١٣٠ق هـ، وآباؤه من أشراف كندة وملوكها، وتوفي سنة ٨٠ق هـ، وله المعلقة المشهورة.

(٣) الروع: الفزع، والسعف جمع سعفة: وهي غصن النخل.

(٤) أبو تمام: هو حبيب بن أوس الطائي الشاعر المشهور، كان واحد عصره في الغوص وراء المعاني وفصاحة الشعر وكثرة المحفوظ، وتوفي بالموصل سنة ٢٣١هـ.

(٥) الندى: الجود. وخرّ صريعاً: سقط على الأرض.

أما البلاغةُ فهي تأديةُ المعنى الجليل واضحاً بعبارة صحيحة فصيحة، لها في النفس أثر خلاب، مع ملاءمة كلِّ كلام للموطن الذي يُقالُ فيه، والأشخاص الذين يُخاطَبون.

فليست البلاغةُ قبلَ كل شيءٍ إلّا فنّا من الفنون يَعْتمِد على صفاءِ الاستعداد الفِطري ودقة إدراك الجمال، وتبين الفروق الخفية بين صنوف الأساليب، وللمرانة يدٌ لا تُجحد في تكوين الذوق الفنّي، وتنشيط المواهب الفاتِرة، ولا بد للطالب إلى جانب ذلك من قراءة طرائف الأدب، والتّملؤ من نَميره الفيّاض، ونقدِ الآثار الأدبية والموازنة بينها، وأن يكون له من الثقة بنفسه ما يدفعه إلى الحكم بحسن ما يراه حسناً ويقبْح ما يَعُدُّه قبيحاً.

وليس هناك من فرق بين البليغ والرسّام إلا أنّ هذا يتناول المسموع من الكلام، وذلك يُشاكل بين المرْئي من الألوان والأشكال، أما في غير ذلك فهما سواء، فالرسّام إذا همّ برسم صورة فكّر في الألوان الملائمة لها، ثم في تأليف هذه الألوان بحيث تخْتَلِب الأبصار وتُثير الوجدان، والبليغ إذا أراد أن يُنشىء قصيدة أو مقالة أو خطبة فكر في أجزائِها، ثم دعا إليه من الألفاظ والأساليب أخفها على السمع، وأكثرها اتصالاً بموضوعه. ثم أقواها أثراً في نفوس سامعيه وأروعَها جمالًا.

فعناصر البلاغة إذاً لفظٌ ومعنى وتأليفٌ للألفاظ يَمْنَحُها قُوةً وتأثيراً وحُسْناً. ثم دقةٌ في اختيار الكلمات والأساليب على حسب مواطن الكلام ومواقعه وموضوعاته وحال السامعين والنّزْعةِ النفسية التي تَتَمَلّكهم وتُسَيْطِرُ على نفوسهم، فَرُبَّ كلمة حسُنتْ في موطن ثم كانت نابية مُسْتكْرَهةً في غيره. وقديماً كرِه الأدباء كلمة «أيضاً» وعَدُّوها من ألفاظ العلماء فلم تَجر بها أقلامهم في شعر أو نثر حتى ظَهَرَ بينهم مَن قال:

رُبَّ ورْقَاء هَتُوفٍ في الضُحا ... ذاتِ شَجْوٍ صَدَحَتْ في فَنَنِ[1]
ذَكَرَتْ إلفاً ودهْراً سَالِفاً ... فَبَكَتْ حُزناً فَهاجتْ حَزَني[2]
فَبُكائي رُبّما أرّقها ... وبُكاها ربّما أرّقني[3]

(١) الورقاء: الحمامة في لونها بياض إلى سواد. والهتوف: كثيرة الصياح. والشجو: الهم والحزن. والصدح: رفع الصوت بالغناء، والفنن: الغصن.
(٢) الإلف: الأليف.
(٣) الأرق: السهر، وأرقها: أسهرها.

ولَقدْ تَشْكو فَمَا أَفْهمُها ولقدْ أشكو فما تَفْهمُني
غيْر أنّي بالجوى أعْرِفُها وهْي «أيضاً» بالجوَى تعْرِفُني[١]

فوَضع «أيضاً» في مكان لا يتَطلب سواها ولا يتَقَبَّل غيرها، وكان لها من الرَّوْعة والحُسن في نفس الأديب ما يعْجِزُ عنها البيان.

ورُبَّ كلام كان في نفسه حسناً خلاباً حتى إذا جاء في غير مكانه، وسقَطَ في غير مسقَطِه، خرج عن حدّ البلاغة، وكان غَرضاً لسهام الناقدين.

ومن أمثلة ذلك قول المتنبي لكافور الإخشيدي[٢] في أول قصيدة مدحه بها:

كَفى بِكَ داءً أن ترى الموتَ شافيا وحَسْبُ المنايا أن يَكُنَّ أمانيا[٣]

وقوله في مدحه:

وما طرَبي لمَّا رأيتُك بِدْعةً لقد كنتُ أرجو أن أراك فأطْربُ

قال الواحِديُّ[٤]: هذا البيتُ يشبه الاستهزاء فإنه يقول: طَرِبتُ عند رؤيتك كما يطرَبُ الإنسان لرؤية المضحكات. قال ابن جنّي[٥]: لما قرأت على أبي الطيب هذا البيت قلتُ له: مَا زِدتَ على أن جعلت الرجل قرداً، فضَحِك. ونَرى أن المتنبي كان يغْلي صدرُه حِقداً على كافور وعلى الأيام التي ألجأته إلى مدحه؛ فكانت تَفر من لسانه كلماتٌ لا يستطيع احتباسها وقديماً زَلَّ الشعراءُ لمعنى أو كلمة نَفَّرت سامعيهم، فأخرجت كلامهم عن حد البلاغة، فقد حكَوا أن أبا النجم[٦] دخل على هشام بن عبد الملك وأنشده:

---

(١) الجوى: الحرقة وشدة الوجد.

(٢) كافور الإخشيدي: هو الأمير المشهور صاحب المتنبي، وكان عبداً اشتراه الإخشيد ملك مصر سنة ٣١٢هـ فنسب إليه وأعتقه، فترقى عنه، وما زالت همته تسمو به حتى ملك مصر سنة ٣٥٥هـ، وكان مع شجاعته فطناً ذكيًا حسن السياسة، وتوفي بالقاهرة سنة ٣٥٧هـ.

(٣) كفى بك: أي كفاك فالباء زائدة، والمنايا جمع منية وهي الموت، والأماني: جمع أمنية وهي الشيء الذي تتمناه؛ يخاطب أبو الطيب نفسه ويقول: كفاك داء رؤيتك الموت شافياً لك، وكفى المنية أن تكون شيئاً تتمناه.

(٤) الواحدي: مفسر عالم بالأدب، مولده ووفاته بنيسابور، وكتبه البسيط والوسيط والوجيز في التفسير مخطوطة، وشرحه لديوان المتنبي مطبوع، توفي سنة ٤٦٨هـ.

(٥) ابن جني: هو من أئمة النحو والعربية ولد في الموصل وتوفي ببغداد سنة ٣٩٢هـ. ومن مؤلفاته الخصائص في اللغة، وكان المتنبي يقول: ابن جني أعرف بشعري مني.

(٦) أبو النجم: هو الفضل بن قدامة، وهو من رجال الإسلام، والفحول المتقدمين في الطبقة الأولى منهم، وله مع هشام بن عبد الملك أخبار طويلة، وكانت وفاته آخر دولة بني أمية.

صَفْراءُ قد كادت ولمَّا تَفْعَل كأنّها في الأُفْقِ عيْنُ الأحول[١]

وكان هشام أحْول فأمر بحبسه.

ومدح جرير[٢] عبْدَ الملك بْنَ مَرْوان بقصيدة مطلعها:

«أتَصْحُو أمْ فؤادُكَ غيْرُ صاحِ»

فاستنكر عبد الملك هذا الابتداء وقال له: بل فؤادك أنت.

ونَعَى علماء الأدب على البُحْتُري[٣] أن يبدأ قَصيدةً يُنشدها أمام ممدوحه بقوله:

«لَكَ الْوَيْلُ مِنْ لَيْلٍ تقاصَرَ آخِرُه»

وعابوا على المتنبي قولَهُ في رثاء أُمّ سيف الدولة[٤]:

صلاةُ اللهِ خالِقِنا حَنوطٌ على الْوجْهِ المكفَّنِ بالجمَال[٥]

قال ابْنُ وَكِيع[٦]: إن وصفه أُمّ الملك بجمال الوجه غير مختار.

وفي الحق أن المتنبي كان جريئاً في مخاطبة الملوك، ولعلّ لعظم نفسه وعَبْقَريّته شأناً في هذا الشذوذ.

إذن لا بدّ للبليغ أولًا من التفكير في المعاني التي تجيش في نفسه، وهذه يجب

(١) قيل هذا البيت في وصف الشمس، والأحول: مَن بعينه حول، وهو ظهور البياض في مؤخر العين، ويكون السواد من قبل المآق.

(٢) جرير: هو ابن عطية التميمي، أحد الشعراء الثلاثة المقدمين في دولة بني أمية، وهم الأخطل، وجرير، والفرزدق، وقد فاق صاحبيه في بعض فنون الشعر، وتوفي سنة ١١٠هـ.

(٣) البحتري شاعر مطبوع من شعراء الدولة العباسية، سئل أبو العلاء المعري: مَن أشعر الثلاثة، أبو تمام أم البحتري أم المتنبي؟ فقال: أبو تمام والمتنبي حكيمان، وإنما الشاعر البحتري. وكانت ولادته بمنبج (وهي بلدة قديمة بين حلب والفرات)، وتوفي بها سنة ٢٨٤هـ.

(٤) سيف الدولة: هو أبو الحسن علي بن عبد الله بن حمدان، كان ملكاً على حلب، وكان أديباً شاعراً مجيداً محبًا لجيد الشعر شديد الاهتزاز له؛ قيل لم يجتمع بباب أحد من الملوك بعد الخلفاء ما اجتمع ببابه من الشعراء، وقد انقطع المتنبي إليه وخصّه بمدائحه. وكانت ولادته سنة ٣٠٣هـ وهي سنة ولادة المتنبي، ووفاته سنة ٣٥٦هـ بعد مقتل المتنبي بسنتين.

(٥) الصلاة: الرحمة، والحنوط: طيب يخلط للميت. يدعو لها بأن تكون رحمة الله لها بمنزلة الحنوط للميت.

(٦) ابن وكيع: شاعر مجيد، أصله من بغداد، ولد في تنيس بمصر وتوفي بها سنة ٣٩٣هـ وله ديوان شعر.

أن تكون صادقة ذاتَ قيمة وقوة يظهر فيها أثر الابتكار وسلامةِ النظر ودقة الذوق في تنسيق المعاني وحسن ترتيبها، فإذا تمّ له ذلك عَمدَ إلى الألفاظ الواضحة المؤثرة الملائمة، فألف بينها تأليفاً يكسبها جمالًا وقوّة، فالبلاغة ليست في اللفظ وحده، وليست في المعنى وحده، ولكنها أثرٌ لازمٌ لسلامة تأليف هذين وحُسْن انسجامهما.

* * *

بعد هذا يحسن بك أن تَعرف شيئاً عن الأسلوب الذي هو المعنى المَصُوغُ في ألفاظ مؤلفة على صورة تكونُ أقربَ لنَيْل الغرض المقصود من الكلام وأفعل في نفوس سامعيه، وأنواع الأساليب ثلاثة:

١ ـ **الأسلوب العلمي**: وهو أهدأ الأساليب، وأكثرها احتياجاً إلى المنطق السليم والفكر المستقيم، وأبعدُها عن الخيال الشّعريّ، لأنه يخاطب العقل، ويناجي الفكر ويَشرَح الحقائق العلمية التي لا تخلو من غموض وخفاء، وأظهرُ ميزات هذا الأسلوب الوُضوح. ولا بد أن يبدوَ فيه أثر القوة والجمال، وقوته في سطوع بيانه ورصانة حُججه، وجَمالهُ في سهولة عباراته، وسلامةِ الذوق في اختيار كلماته، وحُسن تقريره المعنى في الأفهام من أقرب وجوه الكلام.

فيجب أن يُعنى فيه باختيار الألفاظ الواضحة الصريحة في معناها الخالية من الاشتراك، وأن تُؤلَف هذه الألفاظ في سهولة وجلاء، حتى تكون ثوباً شَفًّا للمعنى المقصود، وحتى لا تصْبح مثاراً للظنون، ومجالًا للتوجيه والتأويل.

ويحسن التنَحّي عن المجاز ومُحَسِّنات البديع في هذا الأسلوب؛ إلّا ما يجيءُ من ذلك عفواً من غير أن يَمَسّ أصلًا من أُصوله أو ميزة من ميزاته. أما التشبيه الذي يُقصد به تقريبُ الحقائق إلى الأفهام وتوضيحُها بذكر مماثلها، فهو في هذا الأسلوب حسن مقبول.

ولسنا في حاجة إلى أن نُلقي عليك أمثلة لهذا النوع، فكتُبُ الدراسة التي بين يديك تجري جميعُها على هذا النحو من الأساليب.

٢ ـ **الأسلوب الأدبي**: والجمال أبرز صِفاته، وأظهر مُميّزاته، ومَنشأُ جماله ما فيه من خيال رائع، وتَصْوير دقيق، وتلمُّس لوجوه الشبه البعيدة بين الأشياء، وإلباس المعنويّ ثوب المحسوس، وإظهار المحسوس في صورة المعنويّ.

فالمتنبي لا يرَى الحُمّى الراجعةَ كما يراها الأطباء أثراً لجراثيم تَدْخل الجسم،

فترفع حرارته، وتُسبب رِعْدة وقُشَعْرِيرةً. حتى إذا فرغت نَوْبَتُها تَصبَّبَ الجسم عَرَقاً، ولكنه يُصوِّرها كما تراها في الأبيات الآتية:

وَزَائِرَتي كأَنَّ بها حَياءً ... فليس تَزُورُ إلّا في الظَّلام[١]
بذلتُ لها المَطَارِف والحَشَايَا ... فَعَافَتها وباتتْ في عظامي[٢]
يضيقُ الجلدُ عَنْ نَفسِي وعنها ... فَتُوسِعُهُ بِأنواعِ السِّقَامِ[٣]
كأنَّ الصبحَ يطْرُدُها فتجري ... مَدَامِعُها بأربعةٍ سِجامِ
أُراقِبُ وقْتَها مِنْ غيرِ شَوْقٍ ... مُرَاقَبَةَ المَشُوقِ الْمُسْتَهَامِ[٤]
ويصْدُقُ وعْدُهَا والصِّدْقُ شرٌّ ... إذَا أَلْقَاكَ في الكُرَبِ العِظَامِ[٥]
أَبِنتَ الدَّهرِ عِنْدِي كلُّ بِنْتٍ ... فكيف وَصَلْتِ أَنتِ مِن الزِّحامِ[٦]؟

والغُيُوم لا يراها ابنُ الخياط[٧] كما يراها العالمُ بخاراً مُتَرَاكِماً يَحُولُ إلى ماء إذا صادف في الجوّ طبقة باردة ولكنه يراها:

كأن الْغُيومَ جُيُوشٌ تَسُومُ ... من العدْل في كلّ أرض صلاحا[٨]
إذا قاتل المحْل فيها الغَمامُ ... بصوْبِ الرِّهام أجَادَ الكِفاحا[٩]

---

(١) الواو واو رب أي رب زائرة لي، يريد بهذه الزائرة الحمى وكانت تأتيه ليلاً، يقول: كأنها فتاة ذات حياء؛ فهي تزورني تحت سواد الليل.

(٢) المطارف: جمع مطرف كمكرم وهو رداء من خز، الحشايا: جمع حشية وهي الفراش المحشو، وعافتها: أبتها. يقول هذه الزائرة أي الحمى لا تبيت في الفراش، وإنما تبيت في العظام.

(٣) يقول: جلدي يضيق عن أن يسع أنفاسي ويسعها، فهي تذيب جسمي وتوسع جلدي بما تصيبه به من أنواع السقام.

(٤) يقول إنه يراقب وقت زيارتها خوفاً لا شوقاً.

(٥) يريد بوعدها وقت زيارتها، ويقول إنها صادقة الوعد لأنها لا تتخلف عن ميقاتها، وذلك الصدق شر، لأنها تصدق فيما يضر.

(٦) يريد ببنت الدهر الحمى، وبنات الدهر شدائده، يقول للحمى: عندي كل نوع من أنواع الشدائد، فكيف لم يمنعك ازدحامهن من الوصول إلي؟

(٧) ابن الخياط: شاعر من أهل دمشق، طاف بالبلاد يمتدح الناس، وعظمت شهرته. وله ديوان شعر مشهور، توفي بدمشق سنة ٥١٧هـ.

(٨) تسوم من العدل في كل أرض صلاحاً، أي تولي كل أرض صلاحاً بالخصب والنماء.

(٩) المحل: الجدب وهو انقطاع المطر ويبس الأرض من الكلأ، والصواب: نزول المطر، والرهام: جمع رهمة وهي المطر الضعيف الدائم، والكفاح: القتال والمدافعة.

يُقَرْطِسُ بالطَّلِّ فيه السِّهامَ ويُشْرِعُ بالوَبْلِ فيه الرِّماحا[١]
وسلَّ عَلَيْهِ سُيوفَ البروقِ فأثْخَن بالضرْب فيهِ الجراحا[٢]
تُرَى أَلْسُنُ النوْر تُثْنى عَلَيْهِ فَتَعْجَبُ منهن خُرْساً فِصَاحا[٣]

وقد يتظاهر الأديب بإنكار أسباب حقائق العلم، ويتلمس لها من خياله أسباباً تُثبت دَعواه الأدبية وتُقوِّي الغرض الذي يَنشدُهُ، فَكَلَفُ البدر الذي يَظهر في وجهه ليسَ ناشئاً عما فيه من جبال وقيعان جافة كما يقول العلماءُ، لأن المَعرّي[٤] يرى لذلك سبباً آخر فيقول في الرثاءِ:

وما كُلْفَةُ البَدْر المُنير قَديمةً ولكنها في وجْهِهِ أثرُ اللَّطم[٥]

ولا بد في هذا الأسلوب من الوضوح والقوة؛ فقول المتنبي:

قِفي تَغْرَم الأولى من اللَّحْظِ مُهجتي بثانية والمتْلِفُ الشيءَ غارمُه[٦]

غير بليغ؛ لأنه يريد أنه نظر إليها نظرة تلفت مهجته، فيقول لها قِفي لأنظرك نظرة أُخرى ترد إليّ مهجتي وتُحييها، فإن فعلْتِ كانت النظرة غرْماً لِمَا أتلفته النظرة الأولى.

فانظرْ كيف عانينا طويلًا في شرح هذا الكلام الموجز الذي سبَّبَ ما فيه من حذف وسوء تأليف شِدةَ خفائه وبُعْدَه عن الأذهان، مع أن معناه جميل بديع، وفكرته مُؤيّدة بالدليل.

وإذا أَردت أن تَعْرف كيف تَظْهر القوةُ في هذا الأسلوب، فاقرأ قول المتنبي في الرثاء:

(١) القرطاس: الغرض أو الهدف، ويقال قرطس الرامي إذا أصاب القرطاس أي الغرض، فهو يقول: إن الغمام يسدد السهام إلى المحل فيقضي عليه، ومعنى يشرع الرماح يسددها، والوبل: المطر الشديد الضخم القطر.

(٢) أثخن بالضرب فيه الجراح: بالغ الجراحة فيه.

(٣) النور: الزهر.

(٤) المعري: هو أبو العلاء المعري اللغوي الفيلسوف الشاعر المشهور، ولد بالمعرة وهي بلد صغير بالشام، وعمي من الجدري وهو في الرابعة من عمره، وتوفي بالمعرة سنة ٤٤٩هـ.

(٥) الكلفة: حمرة كدرة تعلو الوجه.

(٦) غرم ما أتلفه: لزمه أداؤه، وتغرم جواب قفي وفاعله الأول، ومن اللحظ بيان للأول، ومهجتي مفعول تغرم.

مَا كُنْتُ آمُلُ قَبلَ نَعْشِكَ أن أرى رضْوَى على أَيْدِي الرجالِ يَسيرُ[١]

ثم اقرأ قول ابن المعتز[٢]:

قَدْ ذَهَبَ النَّاسُ ومات الكمالْ وصاح صَرْفُ الدّهر أين الرجالْ؟

هذَا أَبُو العَبَّاس في نَعْشِهِ قُومُوا انْظُرُوا كيف تَسيرُ الجبالْ

تجد أن الأسلوب الأول هادىء مطمئن، وأن الثاني شديدُ المِرَّة عظيم القوة وربما كانت نهايةُ قوته في قوله: «وصاح صرْفُ الدهر أين الرجالْ» ثم في قوله: «قوموا انظروا كيف تسير الجبال».

وجملة القول إن هذا الأسلوب يجب أن يكون جميلًا رائعاً بديع الخيال، ثم واضحاً قويًا. ويظن الناشئون في صناعة الأدب أنه كلما كثر المجاز، وكثرت التشبيهات والأخيلة في هذا الأسلوب زاد حسنه، وهذا خطأ بيِّن، فإنه لا يذهب بجمال هذا الأسلوب أكثر من التكلف، ولا يُفْسِده شرٌّ من تَعمُّد الصناعة، ونَعْتقد أنه لا يُعجبك قول الشاعر:

فأَمْطَرَت لُؤْلُؤاً مِن نَرْجِس وسقَتْ وَرْداً وعضّت على العُنَّاب بالبَرَدِ[٣]

هذا ومن السهل عليك أن تَعْرِف أن الشعر والنثر الفني هما مَوْطِنا هذا الأسلوب ففيهما يزْدهِر وفيهما يبلغ قُنَّة الفنّ والجمال.

٣ ـ الأسلوب الخطابي: هنا تَبْرُزُ قوة المعاني والألفاظ، وقوة الحجة والبرهان، وقوة العقل الخصيب، وهنا يتحدث الخطيب إلى إرادة سامعيه لإثارة عزائمهم واستنهاض هممهم، ولجمال هذا الأسلوب ووضوحه شأن كبير في تأثيره ووصوله إلى قرارة النفوس، ومما يزيد في تأثير هذا الأسلوب منزلة الخطيب في نفوس سامعيه وقوةُ عارضته، وسطوعُ حجته، ونَبَرات صوته، وحسنُ إلقائه، ومُحْكَم إشارته.

ومن أظهر مميزات هذا الأسلوب التكرارُ، واستعمال المترادفات، وضربُ الأمثال، واختيار الكلمات الجزلة ذات الرنين، ويحسن فيه أن تتعاقب ضروب التعبير من إخبار إلى استفهام إلى تعجُّب إلى استنكار، وأن تكون مواطن الوقف فيه قويةً

---

(١) رضوى: اسم جبل بالمدينة، شبه المرثي به لعظمته وفخامة قدره.

(٢) ابن المعتز: هو عبد الله بن المعتز العباسي، أحد الخلفاء العباسيين، منزلته في الشعر والنثر رفيعة ويشتهر بتشبيهاته الرائعة، وهو أول مَن كتب في البديع، توفي سنة ٢٩٦هـ.

(٣) العناب: ثمر أحمر تشبه به الأنامل، والبرد، حب الغمام وتشبه به الأسنان.

شافية للنفس. ومن خير الأمثلة لهذا الأسلوب خطبة علي بن أبي طالب[1] رضي الله عنه لمّا أغار سُفيانُ بنُ عوفٍ الأسدِي[2] على الأنبار[3] وقتل عامله عليها:

«هذا أخُو غامدٍ قد بَلغتْ خيْله الأنبار وقَتلَ حسَّانَ البَكريّ[4] وأزال خَيْلَكمْ عنْ مَسَالِحِها[5] وَقَتل مِنْكم رجالاً صالِحِين.

«وقدْ بَلغني أنّ الرَّجُل منهُمْ كان يَدْخُلُ على الْمرأةِ الْمُسْلمَةِ والأُخرى المعاهِدةِ[6]، فيَنْزِعُ حِجْلَهَا[7]، وقُلْبَهَا[8]، ورِعاثَها[9]، ثم انْصَرفُوا وَافِرِين[10] ما نالَ رجلًا منهم كَلْمٌ[11]، ولا أُرِيقَ لهم دَمٌ، فلو أن رجُلًا مُسْلماً مات مِنْ بَعْدِ هذا أسَفاً، ما كان به ملُوماً، بل كان عِنْدِي جديراً.

«فَواعجَباً مِنْ جِدّ هؤلاء في بَاطِلِهمْ، وفَشَلِكُمْ عنْ حقِّكُم. فَقُبْحاً لَكُمْ حِين صِرْتُم غَرَضاً يُرْمَى[12]، يُغارُ علَيْكمْ ولا تُغِيرُون، وتُغْزَوْن وَلا تغزونَ، ويُعْصى الله وتَرْضَوْن»[13].

فانظر كيف تدرّج ابن أبي طالب في إثارة شعور سامعيه حتى وصل إلى القمّةِ

(1) علي بن أبي طالب: هو رابع الخلفاء الراشدين، وأحد السابقين إلى الإسلام، وابن عم رسول الله ﷺ وصهره وقد اشتهر ببلاغته وشجاعته، توفي سنة ٤٠هـ.
(2) سفيان بن عوف الأسدي: هو أحد بني غامد، وهي قبيلة باليمن، وقد بعثه معاوية لشن الغارة على أطراف العراق.
(3) الأنبار: بلدة على الشاطىء الشرقي للفرات.
(4) حسان البكري: هو عامل علي رضي الله عنه على الأنبار.
(5) المسالح جمع مسلحة بالفتح: وهي الثغر حيث يخشى طروق العدو.
(6) المعاهدة: الذمية.
(7) الحجل: الخلخال.
(8) القلب بالضم: السوار.
(9) الرعاث: جمع رعثة، القرط.
(10) وافرين: تامين على كثرتهم لم ينقص عددهم.
(11) الكلم بالفتح: الجرح.
(12) الغرض: ما ينصب ليرمى بالسهام ونحوها.
(13) يشير بالعصيان إلى ما كان يفعله جيش معاوية من السلب والنهب والقتل في المسلمين والمعاهدين، أما رضا أهل العراق بهذا العصيان فكناية عن قعودهم عن المدافعة، إذ لو غضبوا لهمُّوا إلى القتال.

فإنه أخبرهم بغَزْو الأنبار أولًا، ثم بقتل عامله، وأنَّ ذلك لم يكْف سُفْيان بن عوْف فأغْمد سيوفه في نحور كثيرٍ من رجالهم وأهليهم.

ثم توجه في الفقرة الثانية إلى مكان الحميَّةِ فيهم، ومثار العزيمة والنخوة من نفس كل عربي كريم، ألا وهو المرأة، فإن العرب تبذل أرواحها رخيصة في الذود عنها، والدفاع عن خِدْرها. فقال: إنهم استباحوا حِماها، وانصرفوا آمِنين.

وفي الفقرة الثالثة أظهر الدَّهَش والحَيْرَة من تمسُّك أعدائه بالباطل ومناصرته، وفَشَل قومه عن الحق وخِذْلانه. ثم بلغ الغيظ منه مبلغه فَعيَّرهم بالجُبن والخَوَر.

هذا مثال من أمثلة الأسلوب الخطابي نكتفي به في هذه العُجَالة، ونرجو أن نكون قد وُفقنا إلى بيان أسرار البلاغة في الكلام وأنواع أساليبه، حتّى يكون الطالب خبيراً بأفانين القول، ومواطن استعمالها وشرائط تأديتها، والله الموفق.

علم البيان
التشبيه

(١) أَرْكانهُ

الأَمثلة:

١ ـ قال الْمَعَرّي في الْمَدِيح:

أَنتَ كالشَّمْس في الضِّياءِ وَإِن جا ... وَزْتَ كيوانَ فِي عُلُوّ المكان[1]

٢ ـ وقال آخرُ:

أَنتَ كاللَّيْثِ في الشَّجاعَةِ والإقـ ... ـدامِ وَالسَّيْفِ في قِراعِ الخُطوب[2]

٣ ـ وقال آخرُ:

كأنَّ أَخلاقَكَ فِي لُطْفِها ... ورقَّةٍ فِيها نَسِيمُ الصَّباحْ

٤ ـ وقال آخرُ:

كأنَّما الْماءُ فِي صفاءٍ ... وَقَدْ جَرَى ذائِبُ اللُّجَيْن[3]

البحث:

في البيت الأول عَرف الشاعِرُ أن مَمْدُوحَه وَضِيءُ الوجه مُتَلألِئُ الطلعة، فأراد أن يأتي له بمَثِيل تَقْوَى فيه الصفةُ، وهي الضياء والإشراق فلم يجد أقوى من الشمس، فضاهاه بها، ولبيان المضاهاة أتى بالكاف.

---

(١) كيوان: زحل، وهو أعلى الكواكب السيّارة.

(٢) قراع الخطوب: مصارعة الشدائد والتغلب عليها.

(٣) اللجين: الفضة.

وفي البيت الثاني رَأى الشاعر ممدوحه متصفاً بوصفَيْن، هما الشجاعة ومُصارعة الشدائد، فَبحَث له عن نَظِيرَيْن في كلٍّ منهما إحدى هاتين الصفتين قويةً، فضاهاه بالأسدِ في الأولى، وبالسيف في الثانية، وبيَّن هذه المضاهاة بأداة هي الكاف.

وفي البيت الثالث وجدَ الشاعر أخلاق صَدِيقِه دمِثَةً لَطِيفَةً تَرْتاح لها النفس، فَعمل على أن يأتي لها بنظير تَتَجَلّى فيه هذه الصِّفة وتَقْوَى، فرأى أن نسيم الصباح كذلك فَعَقدَ المماثلة بينهما، وبيَّن هذه المماثلة بالحرف «كأن».

وفي البيت الرابع عَمِل الشاعِر على أن يَجدَ مثيلًا للماء الصافي تَقْوَى فيه صِفَة الصفاء، فرأى أن الفضة الذائبةَ تَتجلّى فيها هذه الصفةُ فماثل بينهما، وبيَّن هذه المماثلة بالحرف «كأن».

فأنت ترى في كل بيت من الأبيات الأربعة أن شيئاً جُعِلَ مَثِيلَ شيء في صفة مشتركة بينهما، وأن الذي دلّ على هذه المماثلة أداة هي الكاف أو كأن، وهذا ما يُسَمّى بالتشبيه، وقد رأيتَ أن لا بدّ له من أركان أربعة: الشيء الذي يراد تشبيهه ويسمى المشبَّه، والشيء الذي يُشَبَّه به ويسمى المشبَّه به، (وهذان يسميان طرفي التشبيه)؛ والصفةُ المشتركة بين الطرفين وتسمى وجه الشبه، ويجب أن تكون هذه الصفة في المشَبَّه به أقوى وأشْهَرَ منها في المشبَّه كما رأيت في الأَمثلة، ثم أداة التشبيه وهي الكاف وكأن ونحوهما[1].

ولا بد في كل تشبيه من وجود الطرفين، وقد يكون المشبَّه محذوفاً للعلم به ولكنه يُقَدَّرُ في الإعراب، وهذا التقدير بمثابة وجوده كما إذا سُئِلت «كيف علي»؟ فقلت: «كالزهرة الذابِلةِ» فإن «كالزهرة» خبر لمبتدأ محذوف، والتقدير هو الزهرة الذابلةُ، وقد يحذف وجه الشبه، وقد تحذف الأداة. كما سَيُبَين لك فيما بعد.

---

(١) أداة التشبيه إما اسم، نحو شبه ومثل ومماثل وما رادفها، وإما فعل، يشبه ويماثل ويضارع ويحاكي ويشابه، وإما حرف، وهو الكاف وكأن.

القواعد

(١) التَّشْبيهُ: بَيانُ أنَّ شَيْئاً أوْ أَشياء شارَكَتْ غيْرَها في صفةٍ أوْ أَكْثرَ، بأداةٍ هِيَ الكاف أوْ نحْوُها ملْفوظةً أوْ ملْحُوظةً.

(٢) أركانُ التَّشْبيهِ أرْبعة، هيَ: المُشَبَّهُ، والمُشَبَّهُ بهِ، ويُسَمَّيان طَرَفَي التَّشْبيهِ، وأداةُ التَّشْبيهِ، وَوَجْهُ الشَّبَهِ، وَيَجبُ أنْ يَكُونَ أَقْوَى وَأَظْهَرَ فِي الْمُشَبَّهِ بهِ مِنْهُ فِي الْمُشَبَّهِ.

نَمُوذَج

قال الْمعَري:

رُبَّ لَيْلٍ كَأنَّه الصُّبْحُ في الْحُسْـ ـنِ وإنْ كانَ أَسْوَدَ الطَّيْلَسانِ[١]

* * *

وسهيْلٌ كَوجْنَةِ الْحِبِّ في اللَّوْ نِ وقَلْبِ الْمُحِبِّ فِي الخفقانِ[٢]

المشبَّه	المشبَّه به	الأداة	وجه الشبه
الضمير في كأنه العائد على الليل	الصبح	كأن	الحسن
سهيل	وجنة الْحب	الكاف	اللون والاحمرار
سهيل	قلب المحب	الكاف «مقدرة»	الخفقان

تمرينات

(١)

بَيّن أركان التشبيه فيما يأتي:

١ ـ أَنْت كالبَحْر في السَّماحةِ والشَّمْـ ـسِ عُلُوًّا والْبدْرِ في الإشْراقِ[٣]

٢ ـ العُمْرُ مِثْلُ الضَّيْفِ أَوْ كالطَّيْفِ لَيْسَ لَهُ إقامَةْ

---

(١) الطيلسان: كساء واسع يلبسه الخواص من العلماء، وهو من لباس العجم، جمعه طيالس وطيالسة.

(٢) سهيل: كوكب ضوؤه يضرب إلى الحمرة في اهتزاز واضطراب، الحب: الحبيب، والخفقان: الاضطراب.

(٣) السماحة: الجود.

٣ ـ كلام فلان كالشُّهدِ في الحلاوة[١].

٤ ـ الناس كأسْنان المُشْطِ في الاستواء.

٥ ـ قال أعرابي في رجل: ما رأيتُ في التوقُّدِ نَظْرةً أشْبَهَ بِلَهيب النارِ من نَظْرته.

٦ ـ وقال أعرابي في وصف رجل: كانَ له عِلْمٌ لا يخالطه جهْلٌ، وصِدْق لا يَشُوبه كَذِبٌ، وكان في الجُودِ كأنَهُ الوبْلُ عِنْد المحْلِ[٢].

٧ ـ وقال آخر: جاؤُوا على خَيل كأنَّ أعْناقَها في الشُّهرة أعلام[٣]، وآذانَها في الدِّقَّةِ أطرافُ أقلام، وفرْسانها في الجُرْأةِ أُسُودُ آجام[٤].

٨ ـ أقوالُ الملوك كالسيوف المواضي في القَطع والبتّ[٥] في الأُمور.

٩ ـ قلبُه كالحجارة قَسْوةً وصلابةً.

١٠ ـ جبينُ فلان كَصفْحةِ المِرْآة صفاءً وتلألؤاً.

(٢)

كَوِّن تشبيهاتٍ من الأطراف الآتية بحيث تختارُ مع كلِّ طَرفٍ ما يناسبه: العزيمة الصادقة، شجرة لا تُثْمر، نَغَمُ الأوْتار، المطَرُ للأرض. الحديث المُمْتِع، السيف القاطع، البخِيل، الحياة تدِبُّ في الأجسام.

(٣)

كوِّن تشبيهاتٍ بحيث يكون فيها كلٌّ مما يأْتي مُشبَّهاً:

القِطار	الهرمُ الأكبر	الكِتاب	الحِصان
المصابيح	الصَّدِيق	المُعلِّم	الدَّمع

(١) الشهد: العسل في شمعه.
(٢) الوبل: المطر الشديد، والمحل: القحط والجدب.
(٣) الأعلام: الرايات.
(٤) الآجام جمع أجمة: وهي الشجر الكثير الملتف.
(٥) البت في الأمور: إنفاذها.

(٤)

إجْعل كلَّ واحد مما يأْتي مُشبَّهاً به:

بَحْر - أَسَد - أمّ رؤوم[1] - نسيم عليل - مِرْآة صافية - حُلْم لذيذ

(٥)

إجعل كلَّ واحد مما يأْتي وجْهَ شَبَهٍ في تشبيهٍ من إنشائك، وعيِّن طَرفي التشبيه:

البياض - السواد - المرارة - الحلاوة - البُطء - السُّرْعة - الصلابة

(٦)

صف بإيجاز سفينة في بحر مائج، وضمِّن وصفَك ثلاثة تشبيهات.

(٧)

إشرح بإيجاز قول المتنبي في المديح، وبيِّن جمال ما فيه من التشبيه:

كالبدْر منْ حيثُ التَفَتَّ رأَيْتَهُ — يُهْدِي إلى عَيْنَيْكَ نُوراً ثاقبا[2]

كالبحْر يقْذِفُ للقَرِيبِ جواهِراً — جوداً ويبعَثُ للبعيد سحائبا

كالشمْسِ في كَبِدِ السَّماءِ وضَوْؤُها — يغْشَى البلادَ مشَارقاً ومَغاربا

(٢) أَقسام التشبيه

الأَمثلة:

١ - أنا كالماءِ إنْ رَضيتُ صفاءً — وإذَا مَا سَخِطتُ كُنتُ لهيبا

٢ - سِرْنا في ليل بَهيم[3] كأَنَّهُ البَحْرُ ظَلاماً وإِرْهاباً.

٣ - قال ابنُ الرُّوميّ[4] في تأْثير غِناءِ مُغَنٍّ:

---

(١) الرؤوم: العطوف.

(٢) الثاقب: المضيء.

(٣) البهيم: المظلم.

(٤) هو الشاعر المشهور صاحب النظم العجيب والتوليد الغريب، كان إذا أتى بمعنى لا يتركه حتى يستوفيه، وقد توفي سنة ٢٨٣هـ.

فَـكَـأَنَّ لَـذَّةَ صَـوْتِـهِ وَدَبِـيـبَـهـا ... سِنَةٌ تَمَشَّى فِي مَفَاصِلِ نُعَّسِ[(١)]

٤ ـ وقال ابنُ المعتزّ:

وكَـأَنَّ الـشَّـمْـسَ الْمُـنِـيـرَةَ دِيـ ... ـنـارٌ جَـلَـتْـهُ حَـدَائِدُ الـضُـرَّابِ[(٢)]

٥ ـ الجَوَاد في السرعة بَرْقٌ خاطِفٌ.

٦ ـ أَنْـتَ نَـجْـمٌ فِـي رِفْـعَـةٍ وضِـيـاءٍ ... تَـجْـتَـلِـيكَ الْعُـيُـونُ شَـرْقـاً وغَـرْبـا[(٣)]

٧ ـ وقال المتنبي وقدِ اعْتَزَمَ سيفُ الدولةِ سَفَراً:

أَيْـنَ أَزْمَـعْـتَ أَيُّـهـذا الْهُـمـامُ؟ ... نَـحْـنُ نَـبْـتُ الـرُّبـا وأَنْـتَ الْـغَـمـامُ[(٤)]

٨ ـ وقال الْمُرَقِّش:

الـنَّـشْـرُ مِـسْـكٌ وَالْوُجُـوه دَنـا ... نِـيـرٌ وَأَطْـرَافُ الأَكُـفُ عَـنَـم[(٥)]

البحث:

يُشبه الشاعر نفسه في البيت الأول في حال رضاه بالماء الصافي الهادىء، وفي حال غضبه بالنار الملتهبة، فهو محبوب مخوف. وفي المثال الثاني شُبِّه الليلُ في الظلمة والإرهاب بالبحر. وإذا تأمَّلت التشبيهين في الشطر الأول والمثال الثاني رأيت أداة التشبيه مذكورة بكل منهما، وكلُّ تشبيه تذكر فيه الأداةُ يسمى مرسلاً. وإذا نظرت إلى التشبيهين مرة أُخرى رأيت أن وجه الشبه بُيِّنَ وفُصِّلَ فيهما، وكل تشبيه يذكر فيه وجه الشبه يسمى مفصلاً.

ويصف ابنُ الرومي في المثال الثالث حُسن صوت مُغنٍّ وجميلَ إيقاعه، حتى كأنَّ لذة صوته تسري في الجسم كما تسري أوائل النوم الخفيف فيه، ولكنه لم يذكر وجه الشبه معتمداً على أنك تستطيع إدراكه بنفسك.

الارتياح والتلذذ في الحالين. ويشبه ابنُ المعتز الشمس عند الشروق ودينار مجلوٌّ قريب عهده بدار الضرب، ولم يذكر وجه الشبه أيضاً وهو الاصفرار والبريق، ويسمى هذا النوع من التشبيه، وهو الذي لم يذكر فيه وجه الشبه، تشبيهاً مجملاً.

---

(١) السنة: النعاس.

(٢) جلته: صقلته، والضراب: الذي يطبع النقود.

(٣) تجتليك: تنظر إليك.

(٤) أزمعت: وطدت عزمك، والربا: الأراضي العالية.

(٥) النشر: الرائحة الطيبة، والعنم: شجر له ثمر أحمر يشبه به البنان المخضوب.

وفي المثالين الخامس والسادس شُبّه الجواد بالبرق في السرعة، والممدوح بالنجم في الرفعة والضياء من غير أن تذكر أداةُ التشبيه في كلا التشبيهين، وذلك لتأكيد الادعاء بأن المشبَّه عينُ المشبَّه به، وهذا النوعُ يسمى تشبيهاً مؤكداً.

وفي المثال السابع يسأل المتنبي ممدوحه في تظاهر بالذعر والهلَع قائلًا: أين تقصد؟ وكيف ترحل عنا؟ ونحن لا نعيش إلا بك، لأنك كالغمام الذي يحيي الأرض بعد موتها، ونحن كالنَّبتِ الذي لا حياة له بغير الغمام. وفي البيت الأخير يشبه المرقش النشر، وهو طِيبُ رائحة منْ يصف، بالمسك، والوجوه بالدنانير، والأنامل المخضوبة بالعنم، وإذا تأملت هذه التشبيهات رأيت أنها من نوع التشبيه المؤكد، ولكنها جمعت إلى حذف الأداة حذف وجه الشبه. وذلك لأن المتكلم عمد إلى المبالغة والإغراق في ادعاء أن المشبَّه هو المشبَّه به نفْسُه. لذلك أهمل الأداة التي تدل على أن المشبَّه أضعف في وجه الشبه من المشبَّه به. وأهمل ذكرَ وجه الشبه الذي ينِمُّ عن اشتراك الطرفين في صفة أو صفات دون غيرها. ويسمى هذا النوع بالتشبيه البليغ، وهو مظهر من مظاهر البلاغة وميدان فسيح لتسابق المجيدين من الشعراء والكتّاب.

القواعد

(٣) التشبيهُ الْمُرْسَلُ ما ذُكِرَتْ فِيه الأَداةُ.

(٤) التشبيهُ الْمُؤَكَّد ما حُذِفتْ منهُ الأَداة.

(٥) التشبيهُ الْمُجْمل ما حُذِف منه وجهُ الشبهِ.

(٦) التشبيهُ الْمُفَصَّلُ ما ذُكِرَ فيه وجهُ الشبهِ.

(٧) التشبيهُ البليغُ ما حُذِفتْ منهُ الأَداةُ ووَجهُ الشبه[1].

نموذج

١ ـ قال المتنبي في مدح كافور:

إذا نِلت مِنْك الوُدُّ فالمالُ هَيِّنٌ　　　وكلُّ الذي فَوْق الترابِ ترابُ

(١) من التشبيه البليغ المصدر المضاف المبين للنوع نحو راغ روغان الثعلب، ومنه أيضاً إضافة المشبه به للمشبه نحو: لبس فلان ثوب العافية. ولاستيفاء صور التشبيه الذي لم تذكر فيه الأداة انظر هامش صفحة ٤٦.

٢ ـ وصف أعرابي رجلاً فقال:

كأنه النهار الزاهر والقمرُ الباهر الذي لا يخفى على كل ناظر.

٣ ـ زرنا حديقةً كأنها الفِرْدوْسُ في الجمال والبهاء.

٤ ـ العالِمُ سِراجُ أُمّته في الهِداية وتَبديد الظلاَم.

الإِجابة

المشبَّه	المشبَّه به	نوع التشبيه	السبب
١ ـ كل الذي فوق التراب	تراب	بليغ	حذفت الأداة ووجه الشبه
٢ ـ مدلول الضمير في كأنه	النهار الزاهر	مرسل مجمل	ذكرت الأداة ولم يذكر وجه الشبه
٢ ـ مدلول الضمير في كأنه	القمر الباهر	مرسل مجمل	ذكرت الأداة ولم يذكر وجه الشبه
٣ ـ الضمير في كأنه العائد على الحديقة	الفردوس	مرسل مفصّل	ذُكرت الأداة ووجه الشبه
٤ ـ العالم	سراج	مؤكد مفصّل	حُذفت الأداة وذُكر وجه الشبه

تمرينات

(١)

بيِّن كل نوع من أنواع التشبيه فيما يأتي:

١ ـ قال المتنبي:

إنّ السُّيُوفَ مع الَّذِين قُلُوبُهُم ... كقُلُوبِهِنّ إذَا الْتَقَى الْجَمْعانِ[1]

تلقَى الحُسَامَ على جراءةِ حدِّهِ ... مِثْلَ الجَبانِ بِكَفِّ كُلِّ جبانِ[2]

٢ ـ وقال في المديح:

(١) المعنى أن السيوف لا تفيد إذا التقى الجيشان إلا إذا جرّدها شجعان لهم قلوب قوية صلبة كصلابة السيوف.

(٢) إن السيف القاطع يصير كالجبان إذا استعمله الجبان.

فَعَلَتْ بنا فِعْلَ السَّماءِ بِأرْضِهِ   خِلَعُ الأميرِ وحقُّهُ لَمْ نَقْضِهِ[١]

٣ ـ وقال:

ولا كُتْبَ إلا المشرفِيَّةُ عِنْدَهُ   وَلا رُسُلٌ لا الْخَمِيسُ العَرَمْرَمُ[٢]

٤ ـ وقال:

إذا الدولةُ اسْتكفتْ بهِ في مُلِمَّةٍ   كفاها فكانَ السَّيْفَ والكفَّ والقَلْبا[٣]

٥ ـ وقال صاحب كليلة ودمنة:

الرجُل ذو المروءة يُكْرمُ على غير مال كالأسد يُهابُ وإن كان رابضاً[٤].

٦ ـ لكَ سِيرةٌ كَصحيفةِ الـ   أبْرار طاهِرةٌ نَقِيَّهْ[٥]

٧ ـ المالُ سَيْفٌ نَفعاً وضَرًّا.

٨ ـ قال تعالى: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٢٤﴾﴾[٦].

٩ ـ وقال تعالى: ﴿فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾[٧].

١٠ ـ وقال البُحْتُري في المديح:

ذَهَبتْ جِدّةُ الشِّتاءِ ووافا   نا شَبيهاً بِك الرَّبيعُ الجديدُ
ودنا العِيدُ وهو لِلنّاسِ حتى   ينقضي وأنتَ لِلعِيدِ عِيدُ

١١ ـ قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ[٨] أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ[٩] بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ

---

(١) زانتنا خلع الأمير بوشيها ونضارتها كما زينت السماء أرضه بالنبات ولم نقض حق الثناء عليه.

(٢) المشرفية: السيوف، والخميس: الجيش، والعرمرم: الكثير، أي أن سيف الدولة إذا بعث إلى أعدائه يدعوهم إلى الطاعة جعل كتبه إليهم السيوف، والرسل الحاملة لهذه الكتب الجيوش.

(٣) استكفت: استعانت، والملمة: النازلة من نوازل الدهر، أي إذا استعانت الدولة به كان سيفاً لها على أعدائها، وكفاً تضرب بها بذلك السيف، وقلباً تجترىء به على اقتحام الأهوال.

(٤) رابضاً: مقيماً وساكناً.

(٥) أي أن ذكرك بين الناس ليس به ما يشين، فهو كصحيفة الطاهرين الأتقياء لم يدون بها إلا حسنات.

(٦) الجواري: السفن، والأعلام: الجبال.

(٧) أي كأنهن جذور نخل خالية الجوف.

(٨) الشجرة الطيبة: كل شجرة مثمرة طيبة الثمار كالنخلة وشجرة التين.

(٩) تؤتي أكلها كل حين: أي تثمر دائماً في مواعيد إثمارها.

ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ[١] مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾﴾[٢].

١٢ ـ وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ[٣] فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ[٤] يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ[٥] يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ[٦] يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾.

١٣ ـ القلوبُ كالطير في الأُلفَةِ إذَا أنِستْ.

١٤ ـ مدح أعرابي رجلاً فقال:

له هِزّة كهزّة السيفِ إذا طَرِب، وجُرْأةٌ كجرأة الليثِ إذا غضِب[٧].

١٥ ـ ووصف أعرابي أخاً له فقال:

كان أخي شَجراً لا يخلَفُ ثمرُه، وبحْراً لا يُخَافُ كَدرُه.

١٦ ـ وقال البحْتُريُّ:

قُصُورٌ كالكواكِبِ لامِعَاتٌ ... يكَدْنَ يُضِئْنَ لِلسّارِي الظلَاما

١٧ ـ رأيُ الحازم ميزانٌ في الدِّقّة.

١٨ ـ وقال ابن التعاويذي[٨]:

---

(١) اجتثت: قطعت.

(٢) القرار: الاستقرار والثبات.

(٣) المشكاة: فتحة في الحائط غير نافذة، والمراد الأنبوبة التي تجعل فيها الفتيلة ثم توضع في القنديل.

(٤) دري: منسوب إلى الدر لفرط ضيائه وصفائه.

(٥) لا شرقية ولا غربية: أي لا يتمكن منها حر ولا برد.

(٦) يريد أن النور الذي شبه به الحق نور متضاعف قد تناصر فيه المشكاة والزجاجة والمصباح والزيت حتى لم تبقَ بقية مما يقوي النور.

(٧) الهزة: النشاط والارتياح.

(٨) هو الشاعر الأديب سبط بن التعاويذي، جمع شعره بين جزالة الألفاظ وعذوبتها، ورقة المعاني ودقتها، وله ديوان شعر جمعه بنفسه، وتوفي ببغداد سنة ٥٨٤هـ، وعمي قبل موته بخمس سنين.

إِذَا ما الرّعد زَمْجَرَ خِلْتَ أُسْداً غِضاباً في السّحاب لها زَئيرُ[١]

١٩ ـ وقال السّريُّ الرَّفَّاءُ[٢] في وصف شمعة:

مَفْتُولَةٌ مجدُولةٌ تَحْكي لنا قَدَّ الأَسَلْ[٣]

كأنّها عُمْرُ الفتى والنارُ فيها كالأجلْ

٢٠ ـ وقال أعرابي في الذم:

لقد صغَّر فلاناً في عيني عِظَمُ الدنيا في عينه، وكأنَّ السائل إذا أتاه ملَكُ الموْتِ إذا لاقاه.

٢١ ـ وقال أعرابي لأمير: اِجْعلْني زِماماً من أَزِمَّتِكَ التي تَجُرُّ بها الأعداء[٤].

٢٢ ـ وقال الشاعر:

كَمْ وُجُوه مِثْلِ النّهارِ ضِياءٌ لِنُفُوسٍ كالليْلِ في الإظلامِ

٢٣ ـ وقال آخر:

أَشْبهْتَ أَعْدائِي فَصِرْتُ أُحِبُّهُمْ إذ كان حَظّي مِنكَ حظّي مِنْهُمْ

٢٤ ـ وقال البحتري في المديح:

كالسيف في إِخْذَامِهِ والْغَيْثِ في إرْهامِهِ والليْثِ في إقدامِه[٥]

٢٥ ـ وقال المتنبي في وصف شعره:

إنَّ هذَا الشّعْرَ في الشّعْر ملَكْ سَارَ فَهْو الشَّمْسُ والدُّنيا فَلَكْ[٦]

٢٦ ـ وقال في المديح:

فَلَوْ خُلِقَ النّاسُ مِنْ دهْرِهِمْ لكانُوا الظّلَامَ وكُنتَ النهارا

---

(١) زمجر: رعد.

(٢) السري الرفاء: كان في صباه يرفو ويطرز بدكان بالموصل، وكان مع ذلك يتعلق بالأدب وينظم الشعر، ولم يزل كذلك حتى جاد شعره، وكان عذب الألفاظ كثير الافتنان في التشبيه والوصف، ومات ببغداد سنة ٣٦٠هـ.

(٣) مفتولة مجدولة: أي محكمة، والقد: القامة، الأسل: الرماح.

(٤) الزمام: حبل تقاد به الدابة.

(٥) الإخذام: القطع، والإرهام: دوام سقوط المطر.

(٦) الملك: واحد الملائكة، والفلك: مدار الشمس، أي أن شعري أعلى من سائر الشعر.

٢٧ ـ وقال في مدح كافور:

وأَمْضى سِلاحٍ قَلَّدَ الْمَرْءُ نَفْسَهُ رجاءُ أَبِي الْمِسْكِ الكَرِيم وقَصْدهُ

٢٨ ـ فلان كالمِئْذَنَة في استقامة الظاهر واعوجاج الباطن.

٢٩ ـ وقال السَّرِيُّ الرَّفَّاء:

بِركٌ تَحلَّتْ بِالكَواكِبِ أَرْضُها فَارْتَدَّ وجْهُ الأَرْض وهُو سماءُ[١]

٣٠ ـ وقال البُحْتُرِي:

بِنْتَ بِالفَضْلِ والعُلُوِّ فَأَصْبَحْـ ـتَ سماءً وأَصْبح النَّاسُ أَرْضا[٢]

٣١ ـ وقال في روضة:

وَلَوْ لَمْ يَسْتَهِلَّ لَها غَمامٌ بِرِيِّقِهِ لكُنْتَ لَها غَمامَا[٣]

٣٢ ـ الدنيا كالمِنْجَلِ استواؤها في اعوجاجها[٤].

٣٣ ـ الحِمْيةُ من الأَنامِ، كالحِمْيةِ من الطعام[٥].

٣٤ ـ وقال المعري:

فَكأنِّي ما قُلتُ والليْلُ طِفْلٌ وشَبابُ الظَّلْماءِ فِي عُنْفُوانِ[٦]

لَيْلتِي هذِهِ عَروسٌ مِن الزَّنْـ ـج عليْها قلائِدٌ مِنْ جُمَانِ[٧]

هربَ النَّوْمُ عنْ جُفُونِي فيها هربَ الأَمْنِ عَنْ فؤادِ الجبانِ

٣٥ ـ وقال ابن التعاويذي:

---

(١) أي أن خيال الكواكب ظهر فوق الماء الذي يغطي هذه البرك.

(٢) أي بعدت بفضلك وعلو منزلتك عن أن تشبه الناس.

(٣) استهل الغمام: انصب مطره بشدة وصوت، والريق من كل شيء أوله، والمعنى: لو لم ينزل المطر بهذه الأرض لقمت مقام الغمام في إحيائها.

(٤) المنجل: آلة من الحديد معوجة يقطع بها الزرع.

(٥) الحمية: الوقاية والابتعاد.

(٦) يقصد بطفولة الليل أوله، وعنفو الشباب وعنفوانه أوله.

(٧) الزنج وتكسر الزاي: جيل من السودان واحدهم زنجي، والجمان: حب من الفضة كاللؤلؤ.

رَكِبُوا الدَّيَاجِيَ والسُّرُوجُ أَهِلَّةٌ وهُمُ بُدُورٌ والأَسِنَّةُ أَنْجُمُ[١]

٣٦ ـ وقال ابن وكيع:

سُلَّ سَيْفُ الْفَجْرِ مِنْ غِمْدِ الدُّجَى وتعرى اللَّيْلُ مِنْ ثَوْبِ الغَلَسْ[٢]

(٢)

اجعل كل تشبيه منَ التشبيهين الآتيين مفصَّلاً مؤكَّداً ثم بليغاً:

وكأنَّ إيماضَ السُّيُوفِ بَوَارِقٌ وعَجَاجَ خَيْلِهِم سَحَابٌ مُظْلِمُ[٣]

(٣)

إجعل كلَّ تشبيه من التشبيهين الآتيين مرسلاً مفصلاً ثم مرسلاً مجملاً:

أَنَا نَارٌ فِي مُرْتَقَى نَظَرِ الحَا سِدِ مَاءٌ جَارٍ مَعَ الإِخْوَانِ[٤]

(٤)

إجعل التشبيه الآتي مؤكداً مفصلاً ثم بليغاً، وهو في وصف رجلين اتفقا على الوشاية بين الناس:

كَشِقَّيْ مقص تجمعتما على غَيْرِ شَيْءٍ سِوى التَّفَرقهْ[٥]

(٥)

كوِّن تشبيهات مرسلةً بحيث يكون كلٌّ مما يأتي مشبهاً.

الماءُ ـ القِلاع[٦] ـ الأزهار ـ الهلال ـ السيارة ـ الكريم ـ الرعد ـ المطر.

---

(١) ركبوا الدياجي: أي ركبوا الخيل السود، والأسنة: أطراف الرماح.

(٢) الدجى: ظلام الليل، والغلس: ظلام آخر الليل.

(٣) الإيماض: اللمعان، والبوارق: جمع بارق وهو البرق، والعجاج: الغبار.

(٤) المرتقى: موضع الارتقاء، وفي ذلك إشارة إلى رفعة المحسود وضعة الحاسد.

(٥) الشق بكسر الشين: الجانب، وقد يطلق على النصف من كل شيء.

(٦) جمع قلعة وهي الحصن.

(٦)

كَوِّن تشبيهات مؤكدةً بحيث يكون فيها كلٌ مما يأتي مشبَّهاً به:

نَسيم ماءٌ زُلال جنَّة الخُلْدِ بُرْجُ بَابل

دُرٌ زهرة ناضرة نار مُوقَدة البدر المتألِّق

(٧)

كَوِّن تشبيهات بليغةً يكون فيها كلٌ مما يأْتي مشبهاً:

اللسان ـ المال ـ الشرف ـ الأبناء ـ الملاهي ـ الذليل ـ الحسد ـ التعليم.

(٨)

اشرح قول ابن التعاويذي بإيجاز في وصف بِطِّيخَة، وبيِّن أنواع التشبيه فيه:

حُـلْوةُ الـريـق حـلَالٌ دمُـهـا فِـي كـلِّ مِـلَّهْ

نِـصْـفُـهـا بـدْرٌ وإنْ قـسِّـمْـتَـهـا صَـارتْ أهِـلَّهْ

(٩)

وازن بين قَوْلي أبي الفتح كُشاجم[1] في وصف روضتين ثم بيِّن نوع كل تشبيه بهما:

ورَوْض عـنْ صـنِـيـعُ الـغـيـثِ رَاض كـمـا رَضـيَ الـصَّـدِيـقُ عَـنِ الـصَّـدِيـقِ

يُـعِـيـرُ الـرِّيـح بـالـنَّـفَـحـات رِيـحـاً كـأَنَّ ثَـراهُ مِـنْ مِـسْـك فَـتِـيـق[2]

كـأنَّ الـطَّـلَّ مُـنْـتَـشِـراً عـلَـيْـهِ بـقـايـا الـدَّمْـعِ فـي الْخَـدِّ الْمَـشُـوق

* * *

غَـيْـثٌ أتـانـا مُـؤْذِنـاً بـالـخَـفْـضِ مُـتَّـصِـلِ الْوَبْـلِ سـريـعُ الـرَّكْـضِ[3]

---

(١) شاعر مفتن مطبوع ومنشىء بارع، كان يعد ريحانة الأدب في زمانه، أقام بمصر مدة فاستطابها وله تصانيف عدة، وتوفي سنة ٣٣٠هـ.

(٢) المسك الفتيق: ما مزج بغيره لتظهر رائحته.

(٣) الخفض: الدعة وهناءة العيش، والركض: الجري.

فـالأرضُ تُـجْـلى بـالـنَّـبـاتِ الـغَـضِّ ... فِي حلـيِـهـا الـمُـحْـمرّ والـمُـبْـيَـضِّ[١]
وأُقْـحُـوان كـالـلجـيْـن الْمـحْـضِ ... ونـرْجـس زَاكِـي الـنَّـسِـيـم بـضِّ[٢]
مِـثْـلِ الـعُـيُـون رُنِّـقَـتْ لِلْغـمْـضِ ... تَـرْنُـو فـيـغـشـاهَـا الْكـرى فـتُـغْـضـي[٣]

(١٠)

صف بإيجاز ليلة مُمْطِرة، وهاتِ في غضون وصفك تشبيهين مرسلين مجملين، وآخرين بليغين.

(٣) تَشْبيهُ التَّمثيل

الأمثلة:

١ ـ قال البُحْتُريُّ:

هُـوَ بَـحْـرُ الـسَّـمـاحِ والـجُـودِ فَـازْدَدْ ... مِـنْـهُ قُـرْبـاً تَـزْدَدْ مِـن الْفَـقْـر بُـعْـدَا[٤]

٢ ـ وقال امْرُؤُ الْقَيْس:

وَلَيْـلٍ كَـمَـوْجِ الـبَـحْـر أَرْخَـى سُـدُولـهُ ... عـليّ بـأَنْـواعِ الْهُـمُـومِ لِيَـبْـتَـلِي[٥]

* * *

٣ ـ وقال أبو فِراس[٦]:

والْمـاءُ يَـفْـصِـلُ بَـيْـنَ رَوْض الـ ... زَهْـر فـي الـشَّـطَّـيـن فَـضْـلَا[٧]

---

(١) الغض: الناضر الطري، الحلي: ما يتزين به.
(٢) الأقحوان: نبت من نبات الربيع طيب الرائحة أبيض النور في وسطه دائرة صغيرة صفراء، وأوراق زهره مفلجة صغيرة، يشبهون بها الأسنان، واحدته أقحوانة والجمع أقاحي، والمحض: الخالص، والزاكي: الطاهر النقي، والبض: الطري الرخص.
(٣) رنقت: أخذت تميل للنعاس، والغمض: الكرى والنوم، والإغضاء: انطباق الجفنين.
(٤) السماح: الجود.
(٥) أرخى: أرسل وأسبل، والسدول: جمع سدل وهو الحجاب والستر، ويبتلي: من الابتلاء وهو الاختبار.
(٦) هو أبو فراس الحمداني، كان فريد عصره في الأدب والكرم والشجاعة، وكان شعره جيداً سهلاً قال الصاحب بن عباد: بدىء الشعر بملك وختم بملك، يعني امرأ القيس وأبا فراس. وكان المتنبي يشهد له ويخشاه، ومات قتيلاً سنة ٣٥٧هـ.
(٧) الشط: جانب النهر.

كَبِساطِ وَشْيٍ جرَّدَتْ ... أَيْدِي الْقُيُون عَلَيْهِ نَصْلَا[١]

٤ ـ وقال المتنبي في سَيْفِ الدولة:

يَهُزُّ الْجَيْشُ حولَكَ جَانِبَيْهِ ... كما نَفَضَتْ جَناحَيْها الْعُقابُ[٢]

٥ ـ وقال السَّرِيُّ الرَّفَّاءُ:

وَكأَنَّ الْهِلَالَ نُونُ لُجَيْنٍ ... غَرِقَتْ فِي صَحِيفَةٍ زَرْقاء

البحث:

يُشَبِّه البحتري ممدوحَه بالبحر في الجود والسماح، وينصح للناس أن يقتربوا منه ليبتعدوا من الفقر، ويشبِّه امرؤ القيس الليل في ظلامه وهوْله بموج البحر، وأَنَّ هذا الليل أرخَى حُجُبَهُ عليه مصحوبةً بالهموم والأحزان ليختبر صبْرَهُ وقوة احتماله. وإذا تأملت وجْه الشبه في كل واحد من هذين التشبيهين رأيت أنه صفة أو صفاتٌ اشتركت بين شيئين ليس غيرُ، هي هنا اشتراك الممدوح والبحر في صفة الجود، واشتراكُ الليل وموج البحر في صفتين هما الظلمة والروعة. ويسمى وجه الشبه إذا كان كذلك مفرداً، وكونه مفرداً لا يمنع من تعدُّد الصفات المشتركة، ويسمى التشبيه الذي يكون وجه الشبه فيه كذلك تشبيهاً غير تمثيل.

انظر بعد ذلك إلى التشبيهات التالية:

يشبِّه أَبو فِراس حال ماء الجدول، وهو يجري بين روضتين على شاطئيه حلّاهما الزَّهْر ببدائع أَلوانه مُنَبِّثًا بين الخُضرة الناضرة، بحال سيف لمّاع لا يزال في بريق جدَّته، وقد جرّدَه القُيُون على بساط من حرير مُطَرَّز. فأَين وجه الشبه؟ أَتظنُّ أن الشاعر يريد أن يَعْقِد تشبيهين: الأول تشبيه الجدول بالسيف، والثاني تشبيه الروضة بالبِساط الْمُوَشّى؟ لا، إنه لم يرد ذلك، إنما يريد أن يشبّه صورةً رآها بصورة تخيّلها، يريد أن يشبّه حال الجدول وهو بين الرياض بحال السيف فوق البساط الموشّى، فوجه الشبه هنا صورة لا مفرد، وهذه الصورة مأْخوذة أو مُنْتَزَعَةٌ من أَشياء عدّة، والصورة المشتركة بين الطرفين هي وجود بياض مستطيل حوله اخضرار فيه أَلوان مختلفة.

---

(١) الوشي: نوع من الثياب المنقوشة، وجرد السيف: سله، والقيون: جمع قين وهو صانع الأسلحة، والنصل: حديدة السيف أو السهم أو الرمح أو السكين.

(٢) العقاب: طائر كاسر معروف بالعز والمنعة، ويضرب به المثل في ذلك فيقال: «أمنع من عقاب الجو» وهو خفيف الجناح سريع الطير.

ويشبّه المتنبي صورة جانبي الجيش: مَيْمَنَتِه ومَيْسَرَتِه، وسيفُ الدولة بينهما، وما فيهما من حركة واضطراب.. بصورة عُقَابٍ تَنْفُض جَناحَيْها وتحركهما، ووجه الشبه هنا ليس مفرداً ولكنه مُنْتَزَع من متعدد وهو وجود جانبين لشيءٍ في حال حركة وتموُّج.

وفي البيت الأخير يشبّه السّرِيُّ حال الهلال أبيض لمّاعاً مقوّساً وهو في السماء الزرقاء، بحال نون من فضةٍ غارقةٍ في صحيفة زرقاء، فوجه الشبه هنا صورةٌ منتزعة من متعدد، وهو وجود شيءٍ أبيض مقوّس في شيء أزرق. فهذه التشبيهات الثلاثة التي مرّت بك والتي رأيت أن وجه الشبه فيها صورةٌ مكوّنة من أشياء عِدَّةٍ يسمّى كل تشبيه فيها **تمثيلاً**.

القاعدة

(٨) يُسمّى التشبيه تمثيلاً إذا كان وجه الشبه فيهِ صورة مُنْتَزَعَة من متعدد، وغيْرَ تَمْثِيل إِذَا لم يَكُنْ وجْهُ الشَّبَهِ كذلك.

نَمُوذَجٌ

١ ـ قال ابن المعتز:

قَدِ انْقَضَتْ دَوْلةُ الصِّيام وقَدْ ... بَشَّرَ سُقْمُ الْهِلالِ بِالْعِيدِ
يَتْلُو الثُّرَيَّا كَفَاغِرٍ شَرِه ... يَفْتَحُ فَاهُ لأَكْلِ عُنْقُود[1]

٢ ـ وقال المتنبي في الرثاء:

وما الموت إلا سارِقٌ دَقَّ شَخْصُه ... يصُولُ بلا كفٍّ ويسْعى بلا رِجْل[2]

٣ ـ وقال الشاعر:

وتراه في ظُلَمِ الْوَغَى فتَخَالُه ... قَمَراً يَكُرُّ عَلى الرِّجال بكَوْكب

---

(١) الثريا: نجوم مجتمعة تشبه العنقود، وفغر فاه: فتحه.

(٢) يقول: الموت أشبه بلص دقيق الشخص خفي الأعضاء يسعى إلينا من غير أن نشعر به، ويسطو من حيث لا ندري، فلا سبيل لنا إلى الاحتراس منه.

الإجابة

المشبَّه	المشبَّه به	الوجه	نوع التشبيه من حيث الوجه
١ ـ صورة الهلال والثريا أمامه	صورة شره فاتح فاه لأكل عنقود من العنب	صورة شيء مقوّس يتبع شيئاً آخر مكوناً من أجزاء صغيرة بيضاء	تمثيل
٢ ـ الموت	اللص الخفي الأعضاء	الخفاء وعدم الظهور	غير تمثيل
٣ ـ صورة الممدوح وبيده سيف لامع يشق به ظلام الغبار	صورة قمر يشق ظلمة الفضاء ويتصل به كوكب مضيء	ظهور شيء مضيء بلوح بشيء متلألىء في وسط الظلام	تمثيل

تمرينات

(١)

بيِّن المشبَّه والمشبَّه به فيما يأتي:

١ ـ قال ابن المعتز يصف السماء بعد تقشُّع سحابة:

كأن سماءنا لما تجَلَّتْ ... خِلالَ نُجُومهَا عِندَ الصباح

رِياضُ بنَفْسجٍ خضِلٍ نَدَاه ... تفتَّح بيْنهُ نَوْرُ الأقاحي(١)

٢ ـ وقال ابن الرومي:

ما أنْس لا أنس خَبَّازاً مَرَرْتُ به ... يَدْحُو الرُّقاقَة وشْكَ اللمْح بالبصر(٢)

ما بيْنَ رُؤْيتهَا في كَفِّهِ كُرَةً ... وبَيْنَ رُؤْيتِهَا قَوْراء كالقَمر(٣)

إلا بمقْدَار ما تَنْدَاحُ دائرةٌ ... في صفْحَةِ الْماءِ تَرْمي فِيهِ بالحجر(٤)

٣ ـ وقال في المشيب:

أوّلُ بدْءِ المشيب واحِدةٌ ... تُشْعِلُ ما جاوَرَتْ مِنَ الشعَر

---

(١) الخضل: الرطب، يقول: بعد أن انقشعت هذه الغمامة صارت السماء بين النجوم المنتثرة وقت الفجر كرياض من البنفسج المبتل بالماء تفتحت في أثنائه أزهار الأقاحي.

(٢) يدحو: يبسط، وشك اللمح: أي في سرعة اللمح. واللمح: اختلاس النظر.

(٣) القوراء: المستديرة.

(٤) تنداح: تنبسط وتتسع.

مِثْلُ الحريقِ العظيمِ تَبْدؤه أولُ صولٍ صغيرةُ الشَّرَرِ[١]

٤ ـ وقال آخر:

تقلّدتْني الليالي وهي مُدْبِرةٌ كأنني صارمٌ في كفّ مُنْهَزِمِ[٢]

٥ ـ وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا[٣] أَتَاهَا أَمْرُنَا[٤] لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا[٥] كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ[٦]﴾.

٦ ـ وقال صاحب كليلة ودمنة:

يبقى الصَّالحُ من الرجال صالحاً حتى يُصاحِبَ فاسِداً فإذا صاحبه فسد، مثل مياهِ الأنهار تكون عذْبةً حتى تُخَالِط ماء البحر فإذا خالطته مَلحتْ. وقال: مَن صَنَعَ معروفاً لِعاجِل الجزاءِ فهو كَمُلْقِي الحب للطير لا لِيَنْفَعها بل لِيَصِيدَها به.

٧ ـ وقال البحتري:

وجدْتُ نَفْسك مِنْ نَفْسي بمنزلةٍ هيَ الْمُصافاةُ بَين الماءِ والرّاحِ[٧]

٨ ـ وقال أبو تمّام في مُغَنّيَةٍ تُغنّي بالفارسية:

وَلَمْ أَفْهَمْ مَعانِيَها ولكن ورتْ كَبِدِي فَلَمْ أَجْهلْ شجاها[٨]

فبتُّ كأنني أعْمَى مُعنَّى يحبُّ الغانِياتِ ولا يراها[٩]

٩ ـ وقال في صديق عاقّ:

إنّي وَإيَّاكَ كالصادي رَأى نَهَلاً ودُونَهُ هُوّةٌ يخشى بها التّلَفا[١٠]

---

(١) الصول: مصدر صال يصول بمعنى وثب وسطا.

(٢) الصارم: السيف القاطع.

(٣) متمكنون من تثميرها.

(٤) أتاها أمرنا: أي أصبناها بآفة تهلك زرعها.

(٥) الحصيد: ما يحصد من الزرع، والمراد جعل زرعها يابساً جافاً.

(٦) كأن لم تغن بالأمس: أي كأن لم يكن بها زرع.

(٧) الراح: الخمر.

(٨) ورت كبدي: ألهبته، والشجا مصدر شجى يشجي أي حزن، والمعنى لم أجهل ما بعثته في نفسي من الحزن.

(٩) المعنى: المتعب الحزين.

(١٠) الصادي: الظمآن، والمراد بالنهل هنا مورد الماء، والهوة: ما انهبط من الأرض.

رأى بعينيه ماءً عزّ مورده ... وليس يملك دون الماء منصرفا

١٠ ـ وقال الله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾.

١١ ـ وقال تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ[١] أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ[٢] نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا[٣] ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾.

١٢ ـ وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ[٤] بِقِيعَةٍ[٥] يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ[٦] يَغْشَىٰهُ[٧] مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ[٨] إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾[٩]﴾.

(٢)

ميِّز تشبيه التمثيل من غيره فيما يأتي:

١ ـ قال البوصيري[١٠]:

والنفس كالطفل إنْ تُهمِله شبَّ على ... حُبّ الرضاعِ وإن تفطِمْهُ ينفطِم

---

(١) الغيث: المطر.

(٢) الكفار: الزرّاع.

(٣) الحطام: الشجر اليابس المفتّت. يشبه الله سبحانه وتعالى الحياة الدنيا، وهي حياة اللعب واللهو والزينة والمباهاة بالأحساب والأنساب، بمطر أنبت زرعاً فنما حتى صار بهجة النفس وقرة العين، ثم أصابته آفة فاصفر ثم صار شجراً يابساً لا ينفع.

(٤) السراب: هو ما يرى في الفلوات والصحاري عند شدة الحر كأنه ماء وليس به.

(٥) البقيعة: منبسط من الأرض.

(٦) اللجي: العميق.

(٧) يغشاه: يغطيه.

(٨) ظلمات بعضها فوق بعض: هي ظلمة السحاب وظلمة الموج وظلمة البحر.

(٩) ومَن لم يجعل... إلخ: أي مَن لم يهده الله فما له من هاد.

(١٠) البوصيري: كاتب شاعر متصوف حسن الديباجة مليح المعاني، وأشهر شعره البردة والهمزية، وقد نظمها في مدح الرسول ﷺ، وتوفي بالإسكندرية سنة ٦٩٦هـ وقبره بها مشهور يزار.

٢ ـ وقال في وصف الصحابة:

كأنهم في ظهور الخيل نبت رُباً — مِن شِدَّةِ الحَزْم لا مِنْ شِدَّةِ الحُزُمِ[١]

٣ ـ وقال المتنبي في وصف الأسد:

يطأُ الثرى مُترفّقاً مِنْ تِيهِهِ — فكأنه آسٍ يَجُسُّ عَليلا[٢]

٤ ـ وقال في وصف بحيرة في وسط رياض:

كأنها في نهارها قَمَرٌ — حفَّ بِهِ مِنْ جِنانِها ظُلَمُ[٣]

٥ ـ وقال الشاعر:

رُب ليلٍ قَطعتهُ كصُدودٍ — وفِراقٍ ما كانَ فيهِ وَداعُ

موحِشٍ كالثقيلِ تَقذَى به العيْـ — ـنُ وتأبى حديثه الأسماعُ[٤]

٦ ـ وقال تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ۝٤١﴾.

٧ ـ وقال ابن خفاجة[٥]:

لِلّهِ نَهرٌ سالَ في بَطحاءِ — أحلى وُروداً مِن لَمى الحَسناءِ[٦]

مُتعطِّفٌ مِثلُ السِّوار كأنَّهُ — والزهرُ يكنُفُه مجرُّ سماءِ[٧]

٨ ـ وقال أعرابي في وصف امرأة:

تِلكَ شمسٌ باهتْ — بها الأرض شمسَ السماءِ

٩ ـ وقال تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ۝٤٩ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ۝٥٠ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ۝٥١﴾[٨].

---

(١) أي أن ثباتهم فوق خيولهم ناشىء من قوة حزمهم وحيطتهم لا من إحكام أحزمة السروج.

(٢) الثرى: الأرض، والتيه: الكبرياء، والآسي: الطبيب.

(٣) حف به: أحاط، والجنان: جمع جنة وهي البستان.

(٤) تقذى به: تتأذى به.

(٥) شاعر من أهل الأندلس، تعفّف عن استماحة ملوك الطوائف مع تهافتهم على الأدب وأهله، توفي سنة ٥٣٣هـ.

(٦) البطحاء: مسيل واسع فيه رمل وحصى، واللمى: سمرة في الشفتين.

(٧) مجر السماء والمجرة: نجوم كثيرة لا تدرك بالبصر وإنما ينتشر ضوؤها فيرى كأنه طريق بيضاء ملتوية.

(٨) القسورة: الأسد والرماة من الصيادين، الواحد قسور.

١٠ ـ وقال الشاعر:

في شجر السرو منهم مثلٌ   له رُواءٌ وما له ثمر[١]

١١ ـ وقال التهامي[٢]:

فالعيش نومٌ والمنيّة يقظةٌ   والمرءُ بينهما خيالٌ سار

١٢ ـ وقال آخر في وصف امرأة تبكي:

كأنّ الدموعَ على خدِّها   بقيّةُ طلٍّ على جُلّنار[٣]

١٣ ـ وقال تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا[٤] فَٱنسَلَخَ مِنْهَا[٥] فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ[٦] وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ[٧] يَلْهَثْ[٨] أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

١٤ ـ وقال تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا[٩] فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ[١٠] ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ[١١] مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟[١٢] ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾.

---

(١) السرو: شجر حسن الهيئة قويم الساق، والرواء: الحسن.
(٢) هو علي بن محمد التهامي شاعر مشهور من تهامة، جاء مصر فاعتقل في سجن القاهرة وقتل سجيناً سنة ٤١٦هـ.
(٣) الطل: أخف من الندى، الجلنار: زهر الرمان وهو أحمر.
(٤) الذي آتيناه آياتنا: هو عالم من بني إسرائيل أعطي علم بعض كتب الله.
(٥) فانسلخ منها: خرج من الآيات بأن كفر بها.
(٦) أخلد إلى الأرض: مال إلى الدنيا وحطامها.
(٧) إن تحمل عليه: تزجره وتطرده.
(٨) يلهث: يخرج لسانه من النفس الشديد عطشاً أو تعباً.
(٩) مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً: أي حال المنافقين في نفاقهم كحال الذي أوقد ناراً ليستضيء بها.
(١٠) لا يرجعون: أي لا يعودون إلى سبيل الحق.
(١١) أو كصيب، الصيب: المطر الشديد، والمراد أصحاب صيب نزل بهم، فالكلام على حذف مضاف.
(١٢) قاموا: وقفوا في مكانهم، وفي هذه الآيات تشبيه معجز لمن وقع في الحيرة والدهش.

١٥ ـ وقال أبو الطيّب:

أغارُ مِنَ الزُّجاجةِ وهْي تجْرِي | على شفةِ الأمِير أبي الحُسَيْن[١]
كأن بَياضَها والراح فِيهَا | بياضٌ مُحْدِقٌ بسوادِ عيْنِ[٢]

١٦ ـ وقال السريُّ الرَّفَّاء:

والشّهبتُ نارُها فمنْظَرُها | يُغْنيك عنْ كُلّ منْظَرٍ عجَبِ
إذا ارْتَمَتْ بالشّرَار واطَّرَدتْ | على ذرَاها مَطارفُ اللهَبِ[٣]
رأيْتَ يَاقوتةً مُشبّكةً | تطيرُ عنْها قُرَاضَةُ الذهَبِ[٤]

١٧ ـ وقال في وصف دولاب[٥]:

أنْظُرْ إلَيْهِ كأنّه وكأنما | كِيزانُه والمَاء مِنْها ساكِبُ
فَلكٌ يَدُورُ بأنْجُمٍ جُعِلَتْ لهُ | كالعِقْدِ فَهْي شوارِقٌ وغوارِبُ

(٣)

إجعل كلًّا مما يأتي مشبهاً في تشبيه تمثيل:

١ ـ جَيْشٌ منهزم يتْبعهُ جيش ظافر.

٢ ـ الرجل العالم بين مَن لا يعرفون منزلته.

٣ ـ الحازم يعمل في شبابه لِكبره.

٤ ـ السفينة تجْري وقد تَرَكَتْ وراءها أثراً مستطيلاً.

٥ ـ المذنب لا يزيدُه النُّصح إلا تمادياً.

٦ ـ الشمس وقد غَطاها السحاب إلا قليلاً.

---

(١) الأمير أبو الحسين: هو الحسين بن إسحق التنوخي.
(٢) الراح: الخمر، وأحدق به: أحاط.
(٣) اطرد الشيء: تبع بعضه بعضاً، والذرا: جمع ذروة وهي أعلى الشيء، والمطارف: جمع مِطرف أو مُطرف وهو رداء من حرير.
(٤) القراضة: فتات المعدن الذي يسقط منه بالقرض.
(٥) الدولاب: آلة كالناعورة يستقى بها الماء (الساقية).

٧ ـ الماء وقد سطعتْ فوقه أَشعة الشمس وقت الأَصِيل[١].

٨ ـ المتردد في الأُمور يَجْذِبُه رَأْيٌ هنا ورأْي هناك.

٩ ـ الكلِمَة الطيبة لا تُثمر في النفوس الخبيثة.

١٠ ـ المريض وقد أَحسَّ دبيبَ العافية بعد اليأْس.

(٤)

إجعل كلًّا مما يأْتي مشبَّهاً به في تشبيه تمثيل:

١ ـ الشعْلة إذا نُكِسَت زادت اشتعالاً.

٢ ـ الشمس تَحْتجِب بالغمام ثم تظهر.

٣ ـ الماءُ يُسرعُ إِلى الأَماكنِ المنخفضة ولا يَصل إِلى المرتفعة.

٤ ـ الجزار يطعم الغنم ليذبحها.

٥ ـ الأَزهار البيضاء في مروج خضراء[٢].

٦ ـ الجدْوَل لا تسمع له خريراً وآثارُه ظاهرة في الرياض.

٧ ـ الماء الزلال في فم المريض.

٨ ـ القمر يبدو صغيراً ثم يصير بدراً.

٩ ـ الريح تُميلُ الشجيرات اللدْنَة وتقْصِف الأَشجار العالية[٣].

١٠ ـ الحَمَلُ بين الذئاب[٤].

---

(١) الأصيل: من العصر إلى الغروب.

(٢) المروج: جمع مرج وهو مرعى الدواب.

(٣) اللدنة: اللينة، تقصف: تكسر.

(٤) الحمل: الخروف.

(٥)

إجعل كل تشبيهين مما يأتي تشبيه تمثيل:

١ الناس كركاب السفينة. ١ الأسنة كالنجوم.
٢ الحوادث كبحر مضطرب. ٢ القتام[1] كالليل.

١ الشيب كالصبح. ١ القمر كوجه الحسناء.
٢ الشعر الفاحم كالليل[2]. ٢ البحيرة كالمرآة.

(٦)

اشرح قول مسلم بن الوليد[3] وبيِّن ما فيه من حُسْن وروعة:

وإنِّـي وإسْـمـاعـيـل يَـوْم وفـاتِـه لكالغمْد يوْم الرَّوْعِ فارَقهُ النَصْلَ[4]
فـإنْ أغْـشَ قـوْمـاً بـعْـدَه أو أزُرْهـم فكالْوحْش يُدْنيها من الأنسِ المَحْلُ[5]

(٧)

صف بإيجاز حال قوم اجترف سيْلٌ قريتَهم واْعملْ على أن تأْتي بتشبيهيْ تمثيل في وصفك.

(٤) التَّشْبيه الضمني

الأمثلة:

١ ـ قال أبو تمّام:

لَا تُنْكِرِي عَطَلَ الْكَرِيم مِنَ الْغِنَى فَالسَّيلُ حَرْبٌ لِلْمَكانِ الْعالِي[6]

---

(١) الفاحم: الأسود.

(٢) القتام: الغبار.

(٣) كان يلقب بصريع الغواني، وكان شاعراً متصرفاً في شعره، ويقال إنه أول مَن تعمَّد البديع في شعره، وهو من شعراء الدولة العباسية، وكانت وفاته سنة ٢٠٨هـ.

(٤) في رواية يوم وداعه، النصل: حديدة السهم والرمح والسيف والسكين.

(٥) الأنس: مصدر أنس ضد توحش، والمحل: الجوع الشديد.

(٦) العطل: الخلو من الحلي.

٢ ـ وقال ابن الرومي:

قَدْ يَشِيبُ الْفَتَى وَلَيْسَ عَجِيباً أَنْ يُرَى النَّورُ فِي الْقَضِيبِ الرَّطِيبِ

٣ ـ وقال أبو الطيب:

مَنْ يَهُنْ يَسْهُلِ الْهَوَانُ عَلَيهِ مَا لِجُرْحٍ بِمَيِّتٍ إِيلَامُ

البحث:

قد يَنْحو الكاتب أو الشاعر منْحًى من البلاغة يوحي فيه بالتشبيه من غير أن يُصرِّح به في صورة من صوره المعروفة[١]، يفْعل ذلك نُزوعاً إلى الابتكار؛ و إقامةً للدليل على الحكم الذي أسنده إلى المشبه، ورغبةً في إخفاء التشبيه؛ لأن التشبيه كلما دقّ وخفيَ كان أبلغ وأفعل في النفس.

أُنظر بيت أبي تمام فإنه يقول لمَن يخاطبها: لا تستنكري خلوّ الرجل الكريم من الغنى فإن ذلك ليس عجيباً لأن قِمَمَ الجبال وهي أشرف الأماكن وأعلاها لا يستقر فيها ماءُ السيل. ألم تلمح هنا تشبيهاً؟ ألم ترَ أنه يشبه ضِمْناً الرجل الكريم المحروم الغِنى بِقمّة الجبل وقد خلت من ماء السيل؟ ولكنه لم يضَعْ ذلك صريحاً بل أتى بجملة مستقلة وضمّنها هذا المعنى في صورة برهان.

ويقول ابن الرومي: إنَّ الشابَّ قد يشيب ولم تتقدم به السن، وإن ذلك ليس بعجيب فإن الغصن الغض الرطب قد يظهر فيه الزهر الأبيض. فابن الرومي هنا لم يأْت بتشبيه صريح فإنه لم يقل: إن الفتى وقد وَخَطَهُ الشيب كالغصن الرطيب حين إزهاره، ولكنه أتى بذلك ضمناً.

ويقول أبو الطيب: إنَّ الذي اعتادَ الهوان يسهلُ عليه تحملهُ ولا يتألم له، وليس هذا الادعاءُ باطلًا؛ لأن الميت إذا جُرِحَ لا يتألم، وفي ذلك تلميح بالتشبيه في غير صراحة.

---

(١) صور التشبيه المعروفة هي ما يأتي: ما ذكرت فيه الأداة نحو الماء كاللجين. أو حذفت والمشبه به خبر نحو الماء لجين وكان الماء لجيناً. أو حال نحو سال الماء لجيناً. أو مصدر مبين للنوع مضاف نحو صفا الماء صفاء اللجين. أو مضاف إلى المشبه نحو سال لجين الماء. أو مفعول به ثان لفعل من أفعال اليقين والرجحان نحو علمت الماء لجيناً، أو صفة على التأويل بالمشتق نحو سال ماء لجين، أو أضيف المشبه إلى المشبه به بحيث يكون الثاني بياناً للأول نحو ماء اللجين أي ماء هو اللجين. أو بين المشبه بالمشبه به نحو جرى ماء من لجين.

ففي الأبيات الثلاثة تجِدُ أركان التشبيه وتَلْمحُهُ ولكنك لا تجدُه في صورة من صوره التي عرفتها، وهذا يسمى بالتشبيه الضمني.

القاعدة

(٩) التشبيهُ الضمنيُ: تشبيهٌ لا يُوضعُ فيه الْمُشَبَّهُ والمشبَّهُ بهِ في صورةٍ من صُور التشبيه المعروفةِ بَلْ يُلْمَحان فِي التَرْكِيبِ. وهذا النوع يُؤْتَى به لِيُفيدَ أن الحُكْم الذي أُسْنِدَ إِلَى المشَبَّه مُمكنٌ.

نَمُوذَجٌ

١ ـ قال المتنبي:

وأصبح شِعْرِي منهما في مكانه ... وفي عنُقِ الحَسْناء يسْتحْسَنُ العِقْدُ[١]

٢ ـ وقال:

كَرَمٌ تَبَيَّن فِي كلامِك مَاثلًا ... ويبين عِتقُ الْخيْل من أصوَاتِها[٢]

الإجابة

المشبَّه	المشبَّه به	وجه الشبه	نوع التشبيه
١ ـ حال الشعر يثنى به على الكريم فيزداد الشعر جمالاً لحسن موضعه	حال العقد الثمين يزداد بهاء في عنق الحسناء	زيادة جمال الشيء لجمال موضعه	ضمني
٢ ـ حال الكلام وأنه ينم عن كرم أصل قائله	حال الصهيل الذي يدل على كرم الفرس	دلالة شيء على شيء	ضمني

(١) أي أصبح شعري في مدح الأمير وأبيه في المكان اللائق به لأنهما أهل الثناء فاستحسن وقعه فيهما كما يستحسن العقد في عنق الحسناء.

(٢) يقول: مَن سمع كلامك عرف منه كرم أصلك كما يعرف الفرس العتيق الكريم من صهيله.

تمرينات

(١)

بَيِّن المشبَّه والمشبَّه به ونوع التشبيه فيما يأتي مع ذكر السبب:

١ ـ قال البحتري:

ضَحوكٌ إلى الأبطال وهْوَ يَروعُهم ... وللسَّيفِ حدٌّ حين يسْطُو ورونَقُ[1]

٢ ـ وقال المتنبي:

ومن الْخَيْرِ بطءُ سَيْبِكَ عنِّي ... أَسْرَعُ السُّحْبِ فِي المسِيرِ الْجَهَام[2]

٣ ـ وقال:

لَا يُعْجِبَنَّ مَضِيماً حُسنُ بِزِّتِه ... وهلْ يروق دَفيناً جوْدة الكَفَن[3]

٤ ـ وقال:

ومَا أنا مِنْهُمُ بالعَيشِ فيهمْ ... وَلكِنْ معْدِن الذهبِ الرّغامُ[4]

٥ ـ وقال أبو فراس:

سَيذْكُرني قَوْمي إذَا جدّ جِدُّهمْ ... وفِي اللَّيْلَة الظَّلْماءِ يُفْتَقَدُ الْبَدْرُ[5]

٦ ـ تَزْدَحِمُ القُصّادُ فِي بابِهِ ... والمنْهلُ العَذْبُ كثيرُ الزحام

(٢)

بيِّن التشبيه الصريح ونوعه والتشبيه الضمني فيما يأتي:

١ ـ قال أبو العتاهية[6]:

تَرْجو النَّجاةَ ولَمْ تَسلك مسالِكَها؟ ... إنَّ السَّفينَةَ لا تجْري على اليَبَس

---

(١) يروعهم: يخيفهم ويفزعهم، وورونق السيف: بريقه.

(٢) السيب: العطاء، والجهام: السحاب لا ماء فيه. يقول: بطء وصول عطائك خير لي ويقيم البرهان.

(٣) المضيم: المظلوم، والبزة: اللباس، وراقه الشيء: أعجبه.

(٤) الرغام: التراب، والمقصود في البيت أنه ليس مشابهاً للناس الذين يعيش بينهم.

(٥) جد جدهم: أي اشتد بهم الأمر وحلّ بهم الكرب، ويفتقد: يطلب عند غيبته.

(٦) هو أبو إسحق إسماعيل بن القاسم، ولد ونشأ بالكوفة سنة ١٣٠هـ، وكان شعره سهل اللفظ كثير المعاني قليل التكلُّف، وأكثر شعره في الزهد والأمثال، توفي سنة ٢١١هـ.

٢ ـ قال ابن الرومي في وصف المِدَاد:

جِبْرُ أبي حفْصٍ لُعابُ الليلِ كأنَّه ألْوانُ دهْم الْخَيْلِ[(١)]
يَجْرِي إلى الإخْوانِ جرْيَ السَّيْلِ بغيْرِ وَزْنٍ وبِغَيْرِ كَيْلِ

٣ ـ قال الشاعر:

وبَلاهُ إنْ نظَرتْ وإنْ هي أعْرضتْ وقْعُ السِّهام ونَزْعُهُن أليمُ

٤ ـ المؤمن مِرآة المؤمن.

٥ ـ وقال البحتري في وصف أخلاق ممدوحه:

وقدْ زادهَا إفْرَاط حُسْن جِوارُها خلائِقَ أصْفَار مِنَ المَجْدِ خُيَّبِ[(٢)]
وحُسْنُ دَرارِيءِ الكَواكِب أنْ تُرى طوالِعَ في داجٍ مِن الليْل غَيْهَب[(٣)]

(٣)

حوّل التشبيهات الضمنيةَ الآتية إلى تشبيهات صريحة:

١ ـ قال أبو تمام:

اصْبرْ على مَضَض الحسُو د فإنَّ صبْركَ قاتِلُه[(٤)]
النار تأكل بَعْضَها إن لَم تجد ما تأكلهْ

٢ ـ وقال:

لَيْس الْحِجابُ بمقْصٍ عنك لي أملًا إنَّ السَّماء تُرجَّى حين تحتَجِب[(٥)]

٣ ـ وقال أبو الطيب:

فإنْ تَفقِ الأنام وأنت مِنْهمْ فإنَّ المسْكَ بعْضُ دمِ الغَزال[(٦)]

---

(١) دهم: جمع أدهم وهو الأسود.

(٢) الصفر مثلثة الصاد: الخالي.

(٣) الدراريء بالهمزة ويسهل: النجوم العظام التي لا تعرف أسماؤها، والغيهب: المظلم.

(٤) المضض: وجع المصيبة.

(٥) يقصد بالحجاب هنا احتجاب الأمير الممدوح عن قصاده، وتحتجب: تختفي عن الناس بالغمام.

(٦) يقول لا عجب أن فضلت الناس وأنت واحد منهم؛ فإن بعض الشيء قد يفوق جملته كالمسك فإنه بعض دم الغزال وهو يفضله.

٤ ـ وقال:

أَعْيا زَوالُك عن محلٍّ نِلْتَه لا تخْرُجُ الأقمارُ عنْ هالاتِها[1]

٥ ـ وقال:

أعاذَك اللّهُ مِن سِهامِهم ومخطِىءٌ منْ رميُهُ الْقمرُ[2]

٦ ـ وقال:

لَيس بالمنْكَر أنْ برَزْتَ سبْقاً غيْر مدْفوع عن السَّبْق الْعِرابُ[3]

(٤)

حوِّل التشبيهات الصريحة الآتية إلى تشبيهات ضمنيَّة.

١ ـ قال مسلم بن الوليد في وصف الراح وهي تُصَبُّ من إبريق:

كأنّها وَحبابُ الماءِ يقْرَعُها دُرٌّ تَحدَّر في سِلكٍ مِنَ الذَّهَب[4]

٢ ـ قال ابن النبيه[5]:

والليل تَجْري الدّراري في مجَرّتِه كالرَّوْض تطْفو على نهرٍ أزاهِره[6]

٣ ـ وقال بشار بن بَرْد[7]:

كأنّ مُثارَ النَّقعِ فَوْق رُؤوسِنا وأسْيافنا ليلٌ تهاوى كواكِبُهُ[8]

---

(١) يقول: تعذر انتقالك من المنزلة السامية التي نلتها، والهالة: دائرة من شعاع تحيط بالقمر.

(٢) أعاذك الله: حفظك، والرمي: المرمى يقول: إن من يرمي القمر بسهم مخطىء لا محالة؛ لأنه أرفع محلاً من أن يبلغه سهم راميه.

(٣) برز: سبق أصحابه، وسبقا مفعول مطلق مرادف أو حال بمعنى سابقاً، والعراب: الخيل العربية.

(٤) حباب الماء: فقاقيعه التي تطفو.

(٥) هو شاعر منشىء من أهل مصر، مدح الأيوبيين، وتولى ديوان الإنشاء للملك الأشرف موسى، ورحل إلى نصيبين فتوفي فيها سنة ٦١٩هـ.

(٦) المجرة: نجوم كثيرة لا ترى، ويرى ضوؤها في انبساط واعوجاج.

(٧) كان شاعراً مشهوراً، أجمعت الرواة على تقدمه طبقات المحدثين المجيدين من الشعراء، وهو من شعراء الدولتين الأموية والعباسية، توفي سنة ١٦٧هـ.

(٨) النقع: الغبار، وتهاوى أصله تتهاوى: أي تتساقط. والشاعر يصف قومه في ساعة القتال.

(٥)

كوّن تشبيهاً ضمنيًّا من كل طرفين مما يأتي:

١ ـ ظهور الحق بعد خفائه وبروز الشمس من وراءِ السحب.

٢ ـ المصائب تظهر فضل الكريم والنار تزيد الذهب نقاء.

٣ ـ وعد الكريم ثم عطاؤه والبرق يعْقُبه المطر.

٤ ـ الكلمة لا يستطاع ردها والسهم يخرج من قوسه فيتعذّر رده.

(٦)

هات تشبيهين ضمنيين، الأول في وصف حديقة، والثاني في وصف طيّارة.

(٧)

اشرح قول أبي تمام في رثاءِ طفلين لعبد الله بن طاهر[1] وبيّن نوع التشبيه الذي به:

لهفي على تِلكَ الشّواهِد منهما ... لو أُمْهِلَتْ حَتى تكونَ شمائِلا[2]

إن الهلالَ إذا رأيت نمُوّه ... أيقَنْتَ أنْ سَيَصِيرُ بَدْراً كامِلا

(٥) أَغراض التشبيه

الأَمثلة:

١ ـ قال البحتري:

دَانٍ إلى أيْدِي العُفاةِ وشَاسِعٌ ... عَنْ كلِّ نِدٍّ في النّدى وضَرِيبِ

كالبَدْر أفرَطَ في العُلُوّ وضَوْؤُهُ ... لِلْعُصْبَةِ السّارِينَ جِدُّ قَرِيبِ

* * *

(١) هو أمير خراسان، ومن أشهر الولاة في العصر العباسي، ولد سنة ١٨٢هـ وتوفي بنيسابور سنة ٢٣٠هـ وكان من أكثر الناس بذلاً للمال مع علم ومعرفة وتجربة.

(٢) يقصد بالشواهد دلائل النبل والنبوغ، والشمائل جمع شمال: وهو الطبع.

٢ ـ وقال النّابغة الذُّبْيانيُّ[١]:

كَأَنَّكَ شَمْسٌ والْمُلوكُ كَواكِبٌ إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُنَّ كَوْكَبُ

* * *

٣ ـ وقال المتنبي في وصف أسد:

مَا قُوبِلَتْ عَيْنَاهُ إِلَّا ظُنَّتَا تَحتَ الدُّجَى نارَ الْفَرِيقِ حُلولا[٢]

* * *

٤ ـ وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ﴾.

* * *

٥ ـ وقال أبو الحسن الأَنباريّ[٣] في مصلوب:

مَدَدْتَ يَدَيْكَ نَحْوَهُمُ ٱحْتِفَاءً كَمَدِّهِمَا إِلَيْهِمْ بِالْهِبَاتِ[٤]

* * *

وقال أعرابي في ذم أمرأته:

وتَفْتَحُ ـ لَا كانَتْ ـ فَماً لَوْ رَأَيْتَهُ تَوَهَّمْتَهُ باباً مِنَ النَّارِ يُفْتَحُ

البحث:

وصف البحتري ممدوحه في البيت الأول بأنه قريب للمحتاجين، بعيدُ المنزلة، بينه وبين نُظَرَائه في الكرم بَوْنٌ شاسع. ولكن البحتري حينما أحسّ أنه وصف

---

(١) شاعر من شعراء الجاهلية، وسمي النابغة لنبوغه في الشعر، شهد له عبد الملك بن مروان بأنه أشعر العرب وكان خاصًا بالنعمان ومن ندمائه، وكانت تنصب له قبة حمراء بسوق عكاظ فيأتي إليه الشعراء ينشدونه أشعارهم فيحكم فيها، وقد مات قبيل البعثة.

(٢) الدجى: جمع دجية وهي الظلمة، والفريق: الجماعة، وحلولا: أي مقيمين وهو حال من الفريق.

(٣) هو أبو الحسن الأنباري أحد الشعراء المجيدين عاش في بغداد، وتوفي سنة ٣٢٨هـ، وقد اشتهر بمرثيته التي رثى بها أبا طاهر بن بقية وزير عز الدولة لما قتل وصلب، وهي من أعظم المراثي ولم يُسمع بمثلها في مصلوب، حتى إن عضد الدولة الذي أمر بصلبه تمنى لو كان هو المصلوب وقيلت فيه.

(٤) الاحتفاء: المبالغة في الإكرام، والهبات: جمع هبة والمقصود بها العطية.

ممدوحه بوصفين متضادين، هما القُرب والبُعد، أراد أن يبين لك أن ذلك ممكن، وأن ليس في الأمر تناقض؛ فشبَّه ممدوحه بالبدر الذي هو بعيد في السماءِ ولكنّ ضوءه قريب جدًّا للسائرين بالليل، وهذا أحد أغراض التشبيه وهو بيان إمكان المشبَّه.

والنَّابغة يُشبّه ممدوحه بالشمس ويشبّه غيره من الملوك بالكواكب، لأن سطوة الممدوح تَغُضُّ من سطوةِ كل ملك كما تخفِي الشمس الكواكب فهو يريد أن يبين حال الممدوح وحال غيره من الملوك، وبيان الحال من أغراض التشبيه أيضاً.

وبيت المتنبي يصف عيْني الأسد في الظلام بشدة الاحمرار والتوقُّد حتى إن مَن يراهما من بُعْدٍ يظنهما ناراً لقوم حُلول مقيمين، فلو لم يعْمِدِ المتنبي إلى التشبيه لقال: إنَّ عَيْنَيِ الأسد محمرتان ولكنه اضْطُرَّ إلى التشبيه لِيُبيِّن مقدار هذا الاحمرار وعِظَمه، وهذا من أغراض التشبيه أيضاً.

أما الآية الكريمة فإنها تتحدث في شأْن مَن يعْبدون الأوثان، وأنهم إذا دعوْا آلهتَهم لا يستجيبون لهم، ولا يرْجع إليهم هذا الدعاءُ بفائدة، وقد أراد الله جلّ شأْنه أن نُقرّر هذه الحال ويُثْبتَها في الأذهان، فشبّه هؤلاء الوثنيين بمَن يبسُط كفيه إلى الماء ليشرب فلا يصل الماءُ إلى فمه بالبداهة؛ لأنه يَخْرُجُ من خلال أصابعه ما دامت كفاه مبسوطتين، فالغرض من هذا التشبيه تقرير حال المشبّه، ويأْتي هذا الغرض حينما يكون المشبّه أمراً معنويًّا؛ لأن النفس لا تجزم بالمعنويات جزمها بالحسيّات فهي في حاجة إلى الإقناع.

وبيت أبي الحسن الأنباري من قصيدة نالت شهرة في الأدب العربي لا لشيءٍ إلا أنها حسّنت ما أجمع الناس على قبحه والاشمئزاز منه «وهو الصَّلْب» فهو يشبّه مدّ ذراعي المصلوب على الخشبة والناس حولَه بمدّ ذراعيه بالعطاءِ للسائلين أيام حياته، والغرض من هذا التشبيه التزيين، وأكثر ما يكون هذا النوع في المديح والرثاء والفخر ووصف ما تميل إليه النفوس.

والأعرابي في البيت الأخير يتحدث عن امرأته في سخط وألم، حتى إنه ليدعو عليها بالحرمان من الوجود فيقول: «لا كانت»، ويشبّه فمها حينما تفتحه بباب من أَبواب جهنم، والغرض من هذا التشبيه التقبيح، وأكثر ما يكون في الهجاءِ ووصفِ ما تنفِر منه النفس.

القاعدة

(١٠) أَغْرَاضُ التشبيهِ كثيرةٌ[1] منها ما يأتي:

أ ـ بيانُ إِمْكان المشبَّه: وذلك حِينَ يُسْنَدُ إِلَيْهِ أَمْرٌ مُسْتغْرَبٌ لا تزول غرابتهُ إِلاَّ بذكر شبيهٍ له.

ب ـ بيانُ حالِهِ: وذلك حينما يكونُ المشبَّهُ غيرَ معروفِ الصفةِ قَبْلَ التشبيه فَيُفيدُهُ التشبيهُ الوصفَ.

ج ـ بيانُ مقدار حالِهِ: وذلك إذا كان المشبَّهُ معروفَ الصفةِ قَبْلَ التشبيهِ مَعْرفَةً إِجْماليَّةً وكان التشبيه يُبَيِّنُ مقدارَ هذه الصفةِ.

د ـ تَقْريرُ حالِهِ: كما إذا كان ما أُسْنِدَ إِلى المشبَّه يحتاج إِلى التثبيت والإِيضاح بالمثال.

هـ ـ تَزْيينُ الْمُشَبَّهِ أو تَقْبيحُهُ.

نموذج

١ ـ قال ابن الرومي في مدح إسماعيل بن بُلْبُل:

وكم أَبٍ قَدْ علا بِابْنٍ ذُرَا شَرفٍ ... كَمَا علا بِرسولِ الله عَدْنَانُ

٢ ـ وقال أبو الطيِّب في المديح:

أرَى كلَّ ذِي جُودٍ إِلَيْكَ مَصِيرُه ... كَأَنَّكَ بَحْرٌ والمُلُوكُ جَداوِلُ

الإِجابة

المشبَّه	المشبَّه به	وجه الشبه	الغرض من التشبيه
١ ـ علو الأب بالابن	علو عدنان بالرسول	ارتفاع شأن الأول بالآخر	إمكان المشبَّه
٢ ـ الضمير في كأنك	بحر	العظم	بيان حال المشبَّه
٣ ـ الملوك	جداول	الاستمداد من شيء أعظم	بيان حال المشبَّه

---

(١) الأغراض المذكورة في القاعدة ترجع جميعها كما ترى إلى المشبه، وهذا هو الغالب، وقد ترجع إلى المشبه به وذلك في التشبيه المقلوب وسيأتي.

تمرينات
(١)

بيِّن الغرض من كل تشبيه فيما يأتي:

١ - قال البحتري:

دنـوْتَ تـواضُـعـاً وعَـلَوت مـجْـداً فَـشـأنـاك انْـخِـفـاض وارْتِـفـاعُ

كـذاك الـشَّـمْـسُ تَـبْـعُـدُ أنْ تُـسامـى ويـدْنُـو الـضَّـوْءُ مـنـهـا والـشـعـاعُ

٢ - قال الشريف الرضي[1]:

أُحِبـكِ يـا لَـوْنَ الـشَّـبـاب لأنـنـي رأَيْتُكما في القلْبِ والعينِ تَوْءَمَا[2]

سَكَنْتِ سوادَ القَلْب إذ كنْتِ شِبهَهُ فلمْ أدر منْ عِزٍّ من القَلْبُ منْكما

٣ - وقال صاحب كليلة ودمنة:

فضلُ ذي العلم وإن أخفاه كالمسك يُسْتر ثم لا يَمْنَعُ ذلك رائحته أن تفوح.

٤ - وقال الشاعر:

وأصْبَحْتُ مِنْ لَيْلَى الغَداة كقابضٍ عَلَى الماءِ خانَتْه فُرُوجُ الأصابعِ

٥ - وقال المتنبي في الهجاء:

وإذا أشَـارَ مُـحـدِّثـاً فـكـأنَّـه قِـرْدٌ يُـقَـهْـقِـه أوْ عـجـوزٌ تـلْطِـمُ

٦ - وقال السريّ الرَّفاء:

لِي مـنـزِلٌ كـوِجـار الـضَّـبِّ أنـزِلُهُ ضَنْكٌ تقَارَبَ قُطْراهُ فقدْ ضَاقا[3]

أرَاهُ قـالَبَ جِـسْـمِـي حـيـن أدْخُـلُهُ فـمـا أمُـدُّ بِـهِ رِجـلًا ولا سَـاقـا

٧ - وقال ابن المعتز:

غـديـرٌ تُـرجـرِج أمْـواجَـهُ هُـبُـوبُ الـرِّيـاحِ ومـرُّ الـصَّـبـا[4]

---

(١) هو أبو الحسن محمد ينتهي نسبه إلى الحسين بن علي كرّم الله وجهه، وكان ذا هيبة وعفة وورع، ويقال إنه أشعر قريش، لأن المجيد منهم ليس بمكثر، والمكثر ليس بمجيد أما هو فقد جمع بين الإجادة والإكثار، ولد ببغداد وتوفي بها سنة ٤٠٦هـ.

(٢) التوءم من جميع الحيوان: المولود مع غيره في بطن، ويقال هما توءمان وهما توءم، يريد بالتوءم هنا النظيرين.

(٣) الوجار: الجحر، الضنك: الضيق، والقطر: الجانب.

(٤) الصبا: ريح مهبها من الشرق.

إذا الشَّمْسُ مِنْ فَوْقِهِ أشرَقَتْ ... تَوَهَّمْتَه جَوْشَناً مُذْهَبا[١]

٨ ـ وقال سعيد بن هاشم الخالدي[٢] من قصيدة يصف فيها خادماً له:

مـا هُـو عَـبْـدٌ لَكِـنَّـه وَلَدٌ ... خَوَّلَنيهِ المُهَيْمِنُ الصَّمَدُ
وشَدَّ أزرِي بحُسْنِ خِدْمَتِهِ ... فَهْوَ يَدِي والذِّرَاعُ والعَضُدُ

٩ ـ وقال المعري في الشيب والشباب:

خَبِّرِيني مَاذا كرِهْتِ مِن الشَّيْـ ... ـبِ فَلَا عِلْمَ لي بِذَنْبِ الْمشِيبِ
أضِياءُ النَّهارِ أم وَضَحُ اللؤْ ... لُؤ أمْ كَوْنُهُ كَثَغْرِ الحبيبِ[٣]؟
واذكُري لِي فَضْلَ الشبابِ وما يجْـ ... ـمعُ مِنْ مَنْظَرٍ يَرُوقُ وطِيبِ
غَدْرُهُ بِالخَليلِ أم حُبه لِـ ... ـلْغَيِّ أمْ أنَّهُ كَعَيْشِ الأدِيبِ؟

١٠ ـ ومما ينسب إلى عنترة[٤]:

وأنا ابْنُ سوْداء الجَبِينِ كأنّها ... ذِئْبٌ تَرَعْرَعَ في نَواحِي المنْزِلِ
السَّاقُ مِنْهَا مِثْلُ ساقِ نَعَامَةٍ ... والشَّعْرُ مِنْها مِثلُ حبِّ الفُلفلِ

١١ ـ وقال ابن شُهَيْدٍ الأندلسي[٥] يصف بُرْغُوثاً:

أَسْودُ زَنجي، أهليٌّ وحشيّ، ليس بِوانٍ ولا زُمّيل[٦]، وكأنه جزْءٌ لا يتجزأ من ليْل، أو نقطةُ مِداد، أو سويداءُ[٧] فؤاد، شُرْبُهُ عبّ[٨]، ومشيه وثْبٌ، يَكمنُ نهارهُ، ويسير ليلَه، يُدارِكُ[٩] بطعن مؤلم، ويستحلُ دم البريء والمجرم، مُساورٌ[١٠] للأساوِرة[١١]، ومُجرِّدٌ

---

(١) الجوشن: الدرع.
(٢) شاعر من بني عبد القيس كان أعجوبة في قوة الحافظة، وله تصانيف في الأدب وديوان شعر، توفي سنة ٤٠٠هـ.
(٣) الوضح: الضوء والبياض.
(٤) هو من شعراء الطبقة الأولى كانت أمه حبشية. وقد اشتهر بالشجاعة والإقدام وتوفي قبل ظهور الإسلام بسبع سنين.
(٥) هو من بني شهيد الأشجعي أحد أفراد الأندلس أدباً وعلماً، وله شعر جيد وتصانيف بديعة، وتوفي بقرطبة مسقط رأسه سنة ٤٢٦هـ.
(٦) الزميل: الضعيف.
(٧) السويداء: حبة القلب.
(٨) العب: شرب بلا مص.
(٩) يدارك: يتابع.
(١٠) مساور: مواثب ومهاجم.
(١١) الأساورة: جمع أسوار وهو قائد الفرس، أو مَن يحسن رمي السهام، أو الثابت على ظهر الفرس.

نصْله[١] على الجبابرة لا يُمْنعُ منه أمير، ولا تَنفعُ فيه غيرةُ غيور، وهو أحقرُ حقير، شرُّهُ مبعوث[٢]، وعهدُه منكوث[٣]، وكَفى بهذا نقصاناً للإنسان، ودلالةً على قدرة الرحمْن.

(٢)

١ ـ كوّن تشبيهاً الغرضُ منها بيان حال النَّمِر.

٢ ـ كوّن تشبيهاً الغرضُ منه بيان حال الكرة الأرضية.

٣ ـ كوّن تشبيهاً الغرضُ منه بيان مقدار حال دواءٍ مرّ.

٤ ـ كوّن تشبيهاً الغرضُ منه بيان مقدار حال نار شبّت في منزل.

٥ ـ كوّن تشبيهاً الغرضُ منه تقرير حال طائش يرمي نفسه في المهالك ولا يدري.

٦ ـ كوّن تشبيهاً الغرضُ منه بيان حال مَن يعيش ظلام الباطل ويؤذيه نور الحق.

٧ ـ كوّن تشبيهاً الغرضُ منه بيان إمكان العظيم من شيء حقير.

٨ ـ كوّن تشبيهاً الغرضُ منه بيان إمكان أن التعب يُنتج راحة ولذة.

٩ ـ كوّن تشبيهاً لتزيين الكلب.

١٠ ـ كوّن تشبيهاً لتزيين الشيخوخة.

١١ ـ كوّن تشبيهاً لتقبيح الصَيف.

١٢ ـ كوّن تشبيهاً لتقبيح الشتاء.

(٣)

إشرح بإيجاز الأبيات الآتية وبيّن الغرض من كل تشبيه فيها:

وَقَانَا لَفْحةَ الرَمْضاءِ وادٍ ... سقاهُ مُضاعَفُ الغَيْث العَميم[٤]

نَزَلْنا دوْحهُ فَحنَا علَيْنَا ... حُنُوّ المُرْضِعاتِ على الفَطِيمِ[٥]

وأرْشَفَنَا على ظمإٍ زُلالا ... ألذَّ من المُدامةِ للنَّدِيم[٦]

---

(١) النصل: حديدة السيف والسهم والرمح والسكين.

(٢) مبعوث: منتشر.

(٣) منكوث: منقوض.

(٤) لفح النار: إحراقها، والرمضاء: شدة الحر أو الأرض الحارة من شدة حر الشمس.

(٥) الدوح: واحده دوحة وهي الشجرة، والمعنى نزلنا ظل دوحة.

(٦) أرشفنا: سقانا.

(٦) التشبيه المقلوب

الأمثلة:

١ - قال محمد بن وُهَيب الحِمْيَرِيُّ[1]:

وبَدَا الصَّباحُ كأنَّ غُرَّتَهُ ... وَجْهُ الخليفةِ حِينَ يُمْتَدَحُ

٢ - وقال البحتريّ:

كأنَّ سَناها بالعَشيِّ لِصُبْحِها ... تَبَسُّمُ عِيسَى حِينَ يَلْفِظُ بالوَعْدِ

٣ - وقال آخر:

أَحِنُّ لَهُمْ ودُونَهُمُ فَلاةٌ ... كأنَّ فَسِيحَها صَدْرُ الحَلِيمِ

البحث:

يقول الْحِمْيَرِي: إن تباشير الصباح تشبه في التلألؤ وجه الخليفة عند سماعه المديح، فأنت ترى هنا أنَّ هذا التشبيه خرج عما كان مستقرًّا في نفسك من أن الشيء يُشَبَّه دائماً بما هو أقوى منه في وجه الشبه، إذ المألوف أن يقال إنَّ وجه الخليفة يشبه الصباح، ولكنه عكس وقلب للمبالغة والإغراق بادعاءِ أن وجه الشبه أقوى في المشبَّه؛ وهذا التشبيه مظهر من مظاهر الافتنان والإبداع[2].

ويشبِّه البحتري برق السحابة الذي استمر لمّاعاً طوال الليل بتبسُّم ممدوحه حينما

---

(١) هو متشيع من شعراء الدولة العباسية بصري الأصل بغدادي النشأة، اتصل بالمأمون ومدحه ثم لم يزل منقطعاً إليه حتى مات.

(٢) يقرب من هذا النوع ما ذكره الحلبي في كتاب حسن التوسل وسماه تشبيه التفضيل، وهو أن يشبه شيء بشيء لفظاً أو تقديراً ثم يعدل عن التشبيه لادعاء أن المشبه أفضل من المشبه به، ومثل له بقول الشاعر:

حسبت جماله بدراً مضيئاً ... وأين البدر من ذاك الجمال

ومنه قول المتنبي في سيف الدولة:

ولما تلقاك السحاب بصوبه ... تلقاه أعلى منه كعباً وأكرم

وقول الشاعر:

من قاس جدواك يوماً ... بالسحب أخطأ مدحك

السحب تعطي وتبكي ... وأنت تعطي وتضحك

يَعِدُ بالعطاءِ، ولا شك أن لمعان البرق أقوى من بريق الابتسام، فكان المعهود أن يشبه الابتسام بالبرق كما هي عادة الشعراء، ولكن البحتري قلب التشبيه.

وفي المثال الثالث شُبِّهت الفلاة بصدر الحليم في الاتساع، وهذا أيضاً تشبيه مقلوب.

القاعدة

(١٢) التشبيهُ المقلوبُ هو جعل المشبَّهِ مشبَّهاً به بادِّعاءِ أنَّ وجه الشبه فيه أقوى وأظهر.

نمُوذَجٌ

١ ـ كأن النسيم في الرقة أخلاقه. ٢ ـ وكأن الماء في الصفاء طباعه.

٣ ـ وكأن ضوء النهار جبينه. ٤ ـ وكأن نشر الروض حسن سيرته.

الإِجابة

المشبَّه	المشبَّه به	وجه الشبه	نوع التشبيه
١ ـ النسيم	أخلاقه	الرقة	مقلوب
٢ ـ الماء	طباعه	الصفاء	مقلوب
٣ ـ ضوء النهار	جبينه	الإِشراق	مقلوب
٤ ـ نشر الروض	حسن سيرته	جميل الأثر	مقلوب

تمرينات

(١)

لِمَ كان التشبيه مقلوباً فيما يأتي؟

١ ـ قال ابن المعتز:

والصُّبْحُ في طُرَّةِ لَيْلٍ مُسْفِرِ كأنَّهُ غُرَّةُ مُهْرٍ أَشْقَرِ[1]

---

(١) طرة الشيء: طرفه، وليل مستفر: أي دخل في الإسفار وهو ظهور الفجر، والغرة: بياض في جبهة الفرس، والمهر الأشقر: الأحمر الشعر.

٢ ـ وقال البحتري:

فِي حُمْرَةِ الْوردِ شيْءٌ من تَلهُّبِهَا ... وللقَضِيب نَصِيبٌ من تَثَنِّيها

٣ ـ وقال أيضاً في وصف بركة المتوكل:

كأنّها حِين لَجّتْ في تدفقِها ... يدُ الْخَليفةِ لَمَّا سال وَاديها[١]

٤ ـ سارت بنا السفينة في بحر كأنه جذْواك، وقد سطع نور البدر كأنّه جَمال مُحياك.

(٢)

ميِّز التشبيه المقلوب من غير المقلوب فيما يأْتي وبيِّن الغرض من كل تشبيه:

١ ـ كأن سواد الليل شعرٌ فاحم.

٢ ـ قال أبو الطيب:

يزُور الأعادِي في سماءِ عجاجةٍ ... أسِنّتُهُ في جانِبَيْها الكواكِبُ[٢]

٣ ـ كأنَّ النَّبْلَ كلامُه وكأن الوَبْل[٣] نواله.

٤ ـ قال الأَبِيوَرْدي[٤]:

كلِماتي قلائدُ الأعْناقِ ... سوْف تَفْنَى الدّهُورُ وهْي بواق

٥ ـ أرسل أحدُ كتّاب المأمون[٥] إليه فرساً وقال:

قَدْ بَعَثْنا بِجَوَادٍ ... مِثْلُهُ لَيْس يُرامُ

فَرَسٌ يُزْهَى بِهِ لِلْـ ... ـحُسْنِ سرْجٌ ولِجَامُ[٦]

وجْهُهُ صُبْحٌ ولكِنْ ... سائر الجِسْم ظَلامُ

والّذِي يَصْلح لِلمَوْ ... لَى على العَبْدِ حرامُ

---

(١) لجّ في الأمر من (بابي ضرب وفتح): تمادى واستمر.

(٢) العجاجة، الغبار، والأسنة جمع سنان: وهو طرف الرمح.

(٣) الوبل: المطر الشديد المستمر، والنوال: العطاء.

(٤) شاعر فصيح راوية نسابة له مصنفات في اللغة لم يسبق إلى مثلها، وقد مات بأصبهان سنة ٥٥٨هـ والأبيوردي نسبة إلى أبيورد بليدة بخراسان.

(٥) هو ابن الخليفة هرون الرشيد، كان عالماً فاضلاً، وقد برع في العربية ومهر في الفلسفة، واشتهر بجوده وفصاحته، وكان من أكبر رجال بني العباس حزماً وعزماً ودهاءً وشجاعة، توفي سنة ٢١٨هـ.

(٦) يزهي بكذا: يتيه ويتكبر، وسرج نائب فاعل.

(٣)

حوّل التشبيهات الآتية إلى تشبيهات مقلوبة وبيّن أيُّها أبلغ:

١ ـ قال البحتريّ يصف قصراً فوق هضبة:

فـي رأس مـشـرفـةٍ حـصـاهـا لُؤْلُؤ ... وتُـرابـهـا مِـسْـك يـشـاب بِـعـنـبَـرِ

٢ ـ وقال:

وكـانـتْ يَـد الـفَـتْـح بنِ خَـاقـان عـنْـدَكـم ... يدَ الغَيْث عنْد الأرْض حرّقها المحْل[1]

٣ ـ وقال في الغزل:

لَـسْـتُ أنـسـاه بـادِيـاً مِـنْ بَـعـيـدٍ ... يَـتَـثَـنَّـى تـثـنّـيَ الـغُـصْـن غَـضّـا

٤ ـ وقال في المديح:

وأشرق عن بِشر هو النوْرُ في الضُحا ... وصافَى بِأخْلاق هي الطَل في الصُبحِ[2]

(٤)

حوّل التشبيهات المقلوبة الآتية إلى تشبيهات غير مقلوبة:

١ ـ ركبنا قطاراً كأنه الجواد السبّاق.

٢ ـ فاح الزهر كأنه ذكرك الجميل.

٣ ـ ظهر الصبح كأنه حجّتُك الساطعة.

٤ ـ تقلّد الفارس سيفاً كأنه عزيمته يوم النزال.

(٥)

كوّن تشبيهاً مقلوباً من كل طرفين من الأطراف الآتية مع وضع كل طرف مع ما يناسبه:

---

(١) الفتح بن خاقان: شاعر فصيح، كان في نهاية الفطنة والذكاء، وهو فارسي الأصل من أبناء الملوك، اتخذه المتوكل العباسي أخاً له واستوزره، وقدّمه على أهله وولده، واجتمعت له خزانة كتب حافلة، وقتل مع المتوكل سنة ٢١٧هـ، واليد: النعمة والعطاء، والمحل: الجدب وانقطاع المطر.

(٢) البشر: الفرح والبشاشة، ويكون الزهر وقت الضحا متفتحاً، والطل في وقت الصبح في أكمل أحوال نقائه وصفائه.

قصْفُ الرعد	غضْبة	لَمْعُ البرق	أخلاقه
نور جبينه	الصاعقة	شَعْرُهُ	ابتسامه
شعاعُ الشمس	صوته	سواد الليل	أزهار الربيع.

(٦)

أتمم التشبيهات المقلوبة الآتية:

١ ـ كأنَّ... قدومك لزيارتي.
٢ ـ كأنَّ... جرأتك.
٣ ـ كأنَّ... صوته المنكر.
٤ ـ كأن... حرارة حقده.
٥ ـ كأنَّ... حدُّ عزيمتك.
٦ ـ كأنَّ... احتياله.

(٧)

أتمم التشبيهات المقلوبة:

١ ـ كأن عصف الريح...
٢ ـ كأن ذل اليتيم...
٣ ـ كأن نَضرة الورد...
٤ ـ كأن الدُّرر...
٥ ـ كأن صفاء الماءِ...
٦ ـ كأن السِّحر...

(٨)

جاء في كتب الأدب أن أبا تمام حينما قال في مدح أحمدِ بن المعتصم[١]:

إقْدامُ عمرٍو[٢] في سَمَاحةِ حاتِم[٣] ... في حِلْمِ أحْنَفَ[٤] في ذَكاء إيَاس[٥]

قال بعض حُساده أمام ممْدُوحه: «ما زدت على أن شبَّهت الأمير بمَن هم دونه».

فقال أبو تمام:

لا تُنكِروا ضَرْبِي له مَنْ دُونَه ... مثلًا شَروداً في النَدى والباسِ[٦]

---

(١) هو ابن الخليفة العباسي الثامن (أمير المؤمنين المعتصم).

(٢) هو عمرو بن معدي كرب الزبيدي فارس اليمن وصاحب الغارات المشهورة، وأخبار شجاعته كثيرة توفي سنة ٢١هـ.

(٣) هو أحد أجواد العرب المشهورين.

(٤) هو الأحنف بن قيس من سادات التابعين، كان شهماً حليماً عزيزاً في قومه، إذا غضب غضب له مائة ألف سيف لا يسألون لماذا غضب، توفي سنة ٦٧هـ.

(٥) هو قاضي البصرة وأحد أعاجيب الدهر في الفطنة والذكاء يضرب المثل بذكائه وصدق حدسه توفي سنة ١٢٢هـ.

(٦) شروداً: سائراً، والندى: الكرم، والبأس: الشجاعة والقوة.

فَـالـلّهُ قَـدْ ضـرب الأقـلّ لِنُـورِهِ مَـثـلًا مِـن الـمِشْـكـاةِ والـنِّـبْـرَاس[١]

فما معنى الرد الذي ساقه أبو تمام في البيتين السابقين؟ وهل في استطاعتك أن تدافع عن أبي تمام بحجة أُخرى بعد أن تنظر في البيت جميعه؟ وما نوع التشبيه الذي يُرضي هؤلاء النقاد؟

(٩)

هاتِ تشبيهات مقلوبة في وصف جريء مقدام، ثم في وصف سفينة، ثم في وصف كلام بليغ.

(١٠)

ولَوْلا احْتِقَارُ الأسدِ شَبَّهْتُهُمْ بِها ولـكِـنَّـهَـا مـعْـدودةٌ فـي الـبـهَـائـم

تكلَّمْ على ما في البيت السابق من ضروب الحسن البياني، وهل تَرى أن المدح يكون أبلغ لو قال «شبهتها بهم» وماذا يكون التشبيه إذاً؟

(٧) بلاغة التشبيه وبعض ما أُثِرَ منه عن العرب والمُحْدَثين[٢]

تَنْشأُ بلاغة التشبيه من أنه ينتقل بك من الشيءِ نفسه إلى شيء طريف يشبهه، أو صورة بارعة تمثّله. وكلما كان هذا الانتقال بعيداً قليل الخطورة بالبال، أو ممتزجاً بقليل أو كثير من الخيال، كان التشبيه أروع للنفس وأدعى إلى إعجابها واهتزازها.

فإذا قلت: فلان يُشبه فلاناً في الطول، أو إنَّ الأرض تشبه الكرة في الشكل، أوْ إنَّ الجزر البريطانية تشبه بلاد اليابان، لم يكن لهذه التشبيهات أثر للبلاغة؛ لظهور المشابهة وعدم احتياج العثور عليها إلى براعة وجهْد أدبيّ. ولخلوها من الخيال.

وهذا الضرب من التشبيه يُقْصَد به البيان والإيضاح وتقريب الشيء إلى الأفهام، وأكثر ما يستعمل في العلوم والفنون.

---

(١) المشكاة: فتحة في الحائط غير نافذة، والنبراس: المصباح.

(٢) المحدث في اللغة: المتأخر، والمراد به هنا مَن جاء بعد عهد العرب الذين يحتج بكلامهم في اللغة.

ولكنك تأْخذك رَوْعة التشبيه حينما تسمع قول المعري يَصِف نجماً:

يُسْرِعُ اللّمْحَ في احْمِرارٍ كما تُسْـ ـرِعُ في اللمْحِ مُقْلَةُ الغضبانِ[1]

فإن تشبيه لمحات النجم وتألقه مع احمرار ضوئه بسرعة لمحة الغضبان من التشبيهات النادرة التي لا تنقاد إلا لأديب. ومن ذلك قول الشاعر:

وكأنّ النُّجوم بين دُجاها سُنَنٌ لاح بَيْنَهُنّ ابْتِدَاع

فإنّ جمال هذا التشبيه جاء من شعورك ببراعة الشاعر وحذقه في عقد المشابهة بين حالتين ما كان يخطر بالبال تشابههما، وهما حالة النجوم في رُقْعة الليل بحال السنن الدينية الصحيحة متفرقة بين البدع الباطلة. ولهذا التشبيه روْعة أُخرى جاءت من أن الشاعر تخيّل أن السنن مضيئة لمّاعة، وأن البدع مظلمة قاتمة.

ومن أبدع التشبيهات قول المتنبي:

بليتُ بِلى الأطْلَالِ إنْ لَمْ أَقِفْ بِهَا وقُوف شَحيح ضاع في التُّرْبِ خاتَمُه

يدعو على نفسه بالبِلى والفناءِ إذا هو لم يقف بالأطْلال ليذكر عهد مَن كانوا بها. ثم أراد أن يصوِّر لك هيئة وقوفه فقال: كما يقف شحِيح فقد خاتمه في التراب؛ مَن كان يُوفق إلى تصوير حال الذاهل المتحير المحزون المطرق برأسه المنتقل من مكان إلى مكان في اضطراب ودهشة بحال شحيح فقد في التراب خاتماً ثميناً؟ ولو أردنا أن نورد لك أمثلة من هذا النوع لطال الكلام.

* * *

هذه هي بلاغة التشبيه من حيث مبلَغ طرافته وبُعد مرماه ومقدار ما فيه من خيال، أما بلاغته من حيثُ الصورةُ الكلامية التي يوضع فيها أيضاً. فأقل التشبيهات مرتبة في البلاغة ما ذكرتْ أركانه جميعها. لأن بلاغة التشبيه مبنيَّة على ادعاءِ أن المشبّه عين المشبّه به، ووجود الأداة ووجه الشبه معاً يحولان دون هذا الادعاء، فإذا حذفت الأداة وحدها، أو وجه الشبه وحده، ارتفعت درجة التشبيه في البلاغة قليلًا، لأن حذف أحد هذين يقوي ادعاء اتحاد المشبّه والمشبّه به بعض التقوية. أما أبلغ أنواع التشبيه فالتشبيه البليغ؛ لأنه مبنيٌّ على ادعاء أن المشبّه والمشبّه به شيءٌ واحد.

* * *

هذا ـ وقد جرى العرب والمُحدَثون على تشبيه الجواد بالبحر والمطر، والشجاع بالأسد، والوجه الحسن بالشمس والقمر، والشَّهم الماضي في الأُمور بالسيف، والعالي

---

(١) لمح البرق والنجم: لمعانهما، ولمح البصر: اختلاس النظر.

المنزلة بالنجم، والحليم الرزين بالجبل، والأمانيّ الكاذبة بالأحلام، والوجه الصبيح بالدينار، والشعر الفاحم بالليل، والماء الصافي باللجَيْن، والليل بموج البحر، والجيش بالبحر الزاخر، والخيْل بالريح والبرْق، والنجوم بالدرر والأزهار، والأسنان بِالبَرْدِ واللؤلؤ، والسفُنِ بالجبال، والجداولِ بالحيات الملتوية، والشَيْبِ بالنهار ولمْع السيوف، وغُرّةِ الفرس بالهلال. ويشبهون الجبانَ بالنَّعامة والذُبابة، واللئيم بالثعلب، والطائشَ بالفَراش، والذليلَ بالوتدِ، والقاسي بالحديد والصخر، والبليد بالحِمار، والبخِيل بالأرض المُجْدِبَة.

* * *

وقد اشتهر رجال من العرب بِخلال محمودة فصاروا فيها أعلاماً فجرى التشبيه بهم. فيشبه الوفيُّ بالسَّموْءل[1]، والكريم بحاتم، والعادل بعُمر[2]، والحليم بالأحْنَف، والفصيح بسحْبان، والخطيب بقُسّ[3] والشجاع بعمْرو بن مَعْديكرب، والحكيمُ بلقمان[4]، والذَكيُّ بإياس.

واشتهر آخرون بصفاتٍ ذميمة فجرى التشبيه بهم أيضاً، فيشبه العييُّ بباقِل[5]، والأحمقُ بهبَنَّقَةَ[6]، والنادمُ بالكُسعِيّ[7]، والبخيل بمارد[8]، والهجّاءُ بالحُطيئة[9]، والقاسي بالحجاج[10].

---

(١) هو السموءل بن حيان اليهودي، يضرب به المثل في الوفاء، وهو من شعراء الجاهلية توفي سنة ٦٢ق هـ.

(٢) هو أمير المؤمنين وخليفة المسلمين وأحد السابقين إلى الإسلام والأولين، اشتهر بعدله وتواضعه وزهده، وقد نصر الله به الإسلام وأعزّه.

(٣) هو ابن ساعدة الإيادي خطيب العرب قاطبة، ويضرب به المثل في البلاغة والحكمة.

(٤) حكيم مشهور آتاه الله الحكمة أي الإصابة في القول والعمل.

(٥) رجل اشتهر بالعي، اشترى غزالاً مرة بأحد عشر درهماً فسئل عن ثمنه فمدّ أصابع كفيه يريد عشرة وأخرج لسانه ليكملها أحد عشر ففرّ الغزال، فضرب به المثل في العي.

(٦) هو لقب أبي الودعاء يزيد بن ثروان القيسي، ويضرب به المثل في الحمق.

(٧) هو غامد بن الحرث، خرج مرة للصيد فأصاب خمسة حمر بخمسة أسهم، وكان يظن كل مرة أنه مخطىء، فغضب وكسر قوسه، ولما أصبح رأى الحمر مصروعة والأسهم مخضبة بالدم، فندم على كسر قوسه، وعضّ على إبهامه فقطعها.

(٨) لقب رجل من بني هلال اسمه مخارق، وكان مشهوراً بالبخل واللؤم.

(٩) شاعر مخضرم كان هجّاءً مرًّا، ولم يكد يسلم من لسانه أحد، هجا أمه وأباه ونفسه، وله ديوان شعر، وتوفي سنة ٣٠هـ.

(١٠) هو الحجاج بن يوسف الثقفي، كان عاملاً على العراق وخراسان لعبد الملك بن مروان ثم للوليد من بعده، وهو أحد جبابرة العرب وله في القتل والعقوبات غرائب لم يسمع بمثلها. توفي بمدينة واسط سنة ٩٧هـ.

الحقيقة والمجاز
المجاز اللغوي

الأمثلة:

١ ـ قال ابنُ العَميد[١]:

قـامَـتْ تُـظَـلِّلُـنـي مِـنَ الـشَّـمْـسِ ... نَـفْـسٌ أَحَـبُّ إليَّ مِـنْ نَـفْـسـي

قـامَـتْ تُـظَـلِّلُـنـي ومِـنْ عَـجَـبٍ ... شَـمْـسٌ تُـظَـلِّلُـنـي مِـنَ الـشَّـمْـسِ

٢ ـ وقال البحتري يَصِف مبارزة الفَتْح بن خاقان لأسد:

فَلَمْ أَرَ ضِرْغَامَيْن أَصْدَق مِنْكُما ... عِراكاً إذا الْهَيَّابَة النِّكْسُ كَذَّبا[٢]

هِـزَبـرٌ مَشَى يَبْغِي هِـزَبْراً وأَغْـلَبٌ ... مِنَ الْقَوْم يَغْشَى باسِل الْوجْه أغْلَبا[٣]

٣ ـ وقال المتنبي وقد سقط مطرٌ على سيف الدولة:

لِعَـيْـنـي كُـلَّ يَـوْمٍ مِـنْـكَ حَـظٌّ ... تَـحَـيَّـرُ مِـنْـهُ فِـي أَمْـرٍ عُـجَـابِ[٤]

حِـمَـالَـةُ ذَا الْـحُـسَـامِ عـلى حُـسـامٍ ... وَمَـوْقِـعُ ذَا الـسَّـحَـابِ عـلى سَـحَـابِ[٥]

٤ ـ وقال البحتريّ:

إِذَا الـعَـيْـنُ رَاحَـتْ وَهْـي عَـيْـنٌ عـلى الـجَـوَى ... فَـلَـيْـسَ بِـسِـرٍّ مَـا تُـسِـرُّ الأضَـالِـعُ

---

(١) هو الوزير أبو الفضل محمد بن العميد نبغ في الأدب وعلوم الفلسفة والنجوم، وقد برز في الكتابة على أهل زمانه حتى قيل: «بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد» توفي سنة ٣٦٠هـ.

(٢) الضرغام: الأسد، الهيابة: الجبان، والنكس: الضعيف.

(٣) الهزبر: الأسد، والأغلب: الأسد أيضاً، والباسل: الشجاع.

(٤) تحير: أصلها تتحير حذف منها إحدى التاءين.

(٥) حمالة السيف: ما يحمل به.

البحث:

انظر إلى الشطر الأخير في البيتين الأولين، تجد أن كلمة «الشمس» استعملت في معنيين: أحدهما المعنى الحقيقي للشمس التي تعرفها، وهي التي تظهر في المشرق صبحاً وتختفي عند الغروب مساءً، والثاني إنسان وضاءُ الوجه يشبه الشمس في التلألؤ، وهذا المعنى غير حقيقي، وإذا تأملتَ رأيْتَ أنَّ هناك صِلَةً وعلاقة بين المعنى الأصليّ للشمس والمعنى العارض الذي اسْتُعْمِلَتْ فيه. وهذه العلاقة هي المشابهة، لأن الشخص الوضيء الوجه يُشْبِه الشمس في الإشراق، ولا يمكن أن يلتبس عليك الأمر فتَفْهَم من «شمس تظللني» المعنى الحقيقي للشمس، لأن الشمس الحقيقية لا تُظَلِّل، فكلمة تظلّلني إذاً تمنع من إرادة المعنى الحقيقي، ولهذا تسمى قرينة دالة على أن المعنى المقصود هو المعنى الجديد العارض.

وإذا تأملت البيت الثاني للبحتريْ رأيت أن كلمة «هِزَبْراً» الثانية يراد بها الأسد الحقيقي، وأن كلمة «هزبر» الأولى يراد بها الممدوح الشجاع، وهذا معنى غير حقيقي، ورأيت أن العلاقة بين المعنى الحقيقي للأسد والمعنى العارض هي المشابهة في الشجاعة، وأن القرينة المانعة من إرادة المعنى الحقيقي للأسد هي أن الحال المفهومة من سياق الكلام تدل على أن المقصود المعنى العارض، ومثل ذلك يقال في «أغلبٌ من القَوْم» و«باسِل الوَجْه أغلبا» فإن الثانية تدل على المعنى الأصلي للأسد، والأولى تدل على المعنى العارض وهو الرجل الشجاع، والعلاقة المشابهة، والقرينة المانعة من إرادة المعنى الأصلي هنا لفظية وهي «من القوم».

تستطيع بعد هذا البيان أن تدرك في البيت الثاني للمتنبي أن كلمة «حسام» الثانية استعملت في غير معناها الحقيقي لعلاقة المشابهة في تحمُّل الأخطار. والقرينة تُفهم من المقام فهي حالِية، ومثل ذلك كلمة «سحاب» الأخيرة فإنها استعملت لتدل على سيف الدولة لعلاقة المشابهة بينه وبين السحاب في الكرم، والقرينة حاليّة أيضاً.

أما بيت البحتري فمعناه أنّ عين الإنسان إذا أصبحت بسبب بكائها جاسوساً على ما في النفس من وجْدٍ وحُزْن. فإن ما تَنْطَوي عليه النفس منهما لا يكون سرًّا مكتوماً، فأنت ترى أن كلمة «العين» الأولى استعملت في معناها الحقيقي وأن كلمة «عين» الثانية استعملت في الجاسوس وهو غير معناها الأصلي، ولكن لأن العين جزء من

الجاسوس وبها يَعْمل، أطلقها وأراد الكل شأن العرب في إطلاق الجزء وإرادة الكلّ، وأنت ترى أن العلاقة بين العين والجاسوس ليست المشابهة وإنما هي الجزئية والقرينة «على الجوى» فهي لفظيّة.

ويتّضح من كل ما ذكرنا أن الكلمات: شمس، وهِزَبْر، وأغْلب، وحُسام، وسحاب، وعيْن، استعملت في غير معناها الحقيقي لعلاقة وارتباط بين المعنى الحقيقي والمعنى العارض وتسمى كل كلمة من هذه مجازاً لغويًّا.

القاعدة

(١٢) المَجاز اللّغَويُّ هُوَ اللفظُ المُسْتَعْمَلُ في غير ما وُضِعَ لَه لِعَلاقةٍ مع قَرينَةٍ مانِعةٍ مِنْ إرادَةِ المعْنَى الحقيقيّ. والعَلاقةُ بَيْنَ ٱلمَعْنَى الحقيقيّ والمعنى المَجازيّ قدْ تكونُ المُشَابَهةَ، وقد تكونُ غيرَها، والقَرينَةُ قد تكونُ لفظيةً وقد تكونُ حَاليَّةً.

نَمُوذَجٌ

١ ـ قال أبو الطيب حين مرض بالحمّى بمصر:

فإن أمْرض فما مرضَ اصْطِباري ... وإن أُحْمَمْ فما حُمَّ اعْتِزامي

٢ ـ وقال حينما أنْذر السحابُ بالمطر وكان مع ممدوحه:

تعَرّض لي السّحابُ وقد قَفلْنا ... فقُلْتُ إلَيْكَ إن معِي السّحَابا[1]

٣ ـ وقال آخر:

بِلادي وإنْ جارتْ عليّ عزِيزةٌ ... وقَوى وإنْ ضَنُّوا عليَّ كِرامُ

---

(١) قفلنا: رجعنا، وإليك: اكفف.

الإجابة

المجاز	السبب	العلاقة	توضيح العلاقة	القرينة
أ ـ مرض	لأن الاصطبار لا يمرض	المشابهة	شبه قلة الصبر بالمرض لما لكل منهما من الدلالة على الضعف	لفظية وهي اصطباري
ب ـ حم	لأن الاعتزام لا يحم	المشابهة	شبه انحلال العزم بالإصابة بالحمى لما لكل منهما من التأثير السيء	لفظية وهي اعتزامي
٢ ـ السحاب الأخيرة	لأن السحاب لا يكون رفيقاً	المشابهة	شبّه الممدوح بالسحاب لما لكليهما من الأثر النافع	لفظية وهي معي
٣ ـ بلادي	لأن البلاد لا تجور	غير المشابهة	ذكر البلاد وأراد أهلها فالعلاقة المحلية	لفظية وهي جارت

تمرينات

(١)

الكلمات التي تحتها خط استُعْمِلَتْ مرَّةً استعمالًا حقيقيًّا، ومرَّة استعمالًا مجازيًّا؛ بيِّن المجازيَّ منها مع ذكر العلاقة والقرينة لفظيةً أو حاليَّةً:

١ ـ قال المتنبي في المديح:

فيوْماً بخيْلٍ تَطرُدُ الرومَ عنْهُمُ ‏ ‏ ‏ وَيَوْماً بجُودٍ تطرُدُ الفَقْرَ والْجَدْبا

٢ ـ وقال:

فَلا زالَتِ الشَّمسُ التي في سمائه ‏ ‏ ‏ مُطالعةَ الشَّمسِ التي في لثامه[1]

---

(١) المطالعة هنا المشاركة في الطلوع ـ أي لا زال باقياً بقاء الشمس فكلما طلعت في السماء كان وجهه طالعاً بإزائها.

٣ ـ وقال:

عيبٌ عليكَ تُرَى بِسيْفٍ في الوَغَى ... ما يفعل الصَّمْصامُ بالصَّمْصام[1]

٤ ـ وقال:

إذا اعْتَلّ سيفُ الدولة اعتلّت الأرْض[2].

٥ ـ وقال أبو تمام في الرِّثاء:

وما ماتَ حتى ماتَ مضْربُ سَيفه ... منَ الضرب واعتلّتْ عليه القنا السُّمْر[3]

٦ ـ كان خالد بن الوَليدِ[4] إذا سارَ سارَ النصر تحت لِوائهِ.

٧ ـ بنَيْتَ بيوتاً عالِياتٍ وقَبْلَها ... بنيْتَ فَخاراً لا تُسامَى شواهِقهْ

(٢)

١ ـ أمِنَ الحقيقةِ أم مِنَ المجاز كلمة «الشمسين» في قول المتنبي يَرْثي أخت سيف الدولة؟:

فلَيْتَ طالِعَةَ الشمْسَيْنِ غائِبةٌ ... وليْتَ غائبة الشمْسيْنِ لَمْ تَغِبِ[5]

٢ ـ أحقيقةٌ أمْ مجازٌ كلمة «بدراً» في قول الشاعر؟:

وقَدْ نَظَرتْ بدْر الدُّجى ورأيْتُهَا ... فَكانَ كِلانا ناظِراً وَحْدَه بَدْرَا

٣ ـ أحقيقةٌ أمْ مجازٌ كلمة «ليالي» في قول المتنبي؟:

نَشَرَتْ ثلاث ذَوائِبٍ مِن شَعْرِها ... في لَيلةٍ فَأرَتْ لَيالي أربعا[6]

---

(١) الوغى: الحرب، والصمصام: السيف؛ يريد أنك كالسيف في المضاء فلا حاجة بك إلى السيف.

(٢) اعتل: مرض.

(٣) مضرب السيف: حده، والقنا: الرماح، والسمر: الرماح أيضاً، أي لم يمت في ساحة الحرب حتى تثلم سيفه وضعفت الرماح عن المقاومة.

(٤) صحابي جليل وقائد كبير من قواد جنود المسلمين، قاتل المرتدين في عهد أبي بكر رضي الله عنه، ثم فتح الحيرة وجانباً عظيماً من العراق، وكان موفقاً في غزواته وحروبه، قال أبو بكر: عجزت النساء أن يلدن مثل خالد، وقد توفي سنة ٢١هـ.

(٥) يقصد بطالعة الشمسين الشمس الحقيقية، وبغائبة الشمسين أخت سيف الدولة.

(٦) الذوائب: جمع ذؤابة وهي الخصلة من الشعر.

٤ ـ أحقيقة أم مجازٌ كلمة «القمرين» في قول المتنبي؟:

واسْتقبلَتْ قمرَ السماءِ بوجْهِها   فأرَتْنِي القمريْنِ في وقتٍ معا

(٣)

أ ـ استعمل الأسماء الآتية استعمالاً حقيقيًا مرّة ومجازيًا أُخرى لعلاقة المشابهة:

البَرق ـ الرّيح ـ المطر ـ الدُرَر ـ الثعلب ـ النسْر ـ النجوم ـ الحَنْظَل.

ب ـ استعمل الأفعال الآتية استعمالاً حقيقيًا مرّة ومجازيًا أُخرى لعلاقة المشابهة:

غرِقَ ـ قتَلَ ـ مزّقَ ـ شرِب ـ دَفن ـ أراق ـ رمى ـ سقَطَ.

(٤)

ضع مفعولًا به في المكان الخالي يكون مستعملًا استعمالًا مجازًا، ثم اشرح العلاقة والقرينة:

أحيا طلعت حرب...	نثر الخطيب...	زَرع المحْسن...
قوّم المعلم...	قتَلَ الكسلان...	حاربتْ أوربا...

(٥)

ضع في جملةٍ كلمة «أُذُن» لتدل على الرجل الذي يميل لسماع الوشايات، وفي جملةٍ أُخرى كلمة «يمين» لتدل على القوة، ثم بيّن العلاقة.

(٦)

كوّن أربع جمل تشتمل كل منها على مجازٍ لغويٍّ علاقتُه المشابهة.

(٧)

اشرح بيْتَي البحتري في المديح ثم بيّن ما تضمنته كلمة «شمسين» من الحقيقة والمجاز:

طَلعَت لهمْ وقتَ الشرُوق فعاينُوا سنا الشمس من أُفْقٍ ووجْهَكَ من أُفْق[١]
فما عاينوا شمْسيْنِ قَبْلَهُما التقى ضِياؤُهما وفْقاً مِن الغَرْبِ والشرْقِ[٢]

(١) الاستعارة التصريحية والْمَكنيَّة

الأمثلة:

١ ـ قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾.

٢ ـ وقال المتنبي وقد قابله مَمْدُوحُه وعانقَه:

فَلَمْ أرَ قَبْلِي مَنْ مَشى الْبَحْر نَحوَهُ ولا رَجُلًا قامَتْ تُعانِقُهُ الأُسْدُ

٣ ـ وقال في مدح سيف الدولة:

أمَا تَرَى ظَفراً حُلْواً سِوَى ظَفَرٍ تَصَافَحَتْ فيهِ بيضُ الهِنْدِ واللِّمم[٣]

* * *

١ ـ وقال الحجّاجُ في إحْدَى خُطَبه:

إني لأرَى رُؤُوساً قَدْ أَيْنَعَتْ وحَانَ قِطافُها وإني لَصَاحِبُهَا[٤].

٢ ـ وقال المتنبي:

ولَمَّا قَلَّتِ الإبلُ امْتَطَيْنَا إلَى ابنِ أبي سُلَيْمَانَ الخُطُوبَا[٥]

٣ ـ وقال:

الْمَجْدُ عُوفِيَ إذْ عُوفيتَ وَالكَرَمُ وزَالَ عَنْكَ إلَى أعْدَائِكَ الألَمُ

---

(١) السنا: النور، والأفق: الناحية.

(٢) وفقا: أي متفقين في الميعاد.

(٣) بيض الهند: السيوف، واللمم جمع لمة: وهي الشعر المجاور شحمة الأذن، والمراد بها هنا الرؤوس. يقول: لا ترى الانتصار لذيذاً إلا بعد معركة تتلاقى فيها السيوف بالرؤوس.

(٤) أينعت من أينع الثمر إذا أدرك ونضج، وحان قطافها: آن وقت قطعها، يريد أنه بصير بحال القوم من الشقاق والخلاف في بيعة أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان، فهو يحذرهم عاقبة ذلك.

(٥) امتطينا: ركبنا، والخطوب: الأمور الشديدة، يقول: لما عزت الإبل عليه لفقره حملته الخطوب على قصد هذا الممدوح فكانت له بمنزلة مطية يركبها.

البحث:

في كل مثال من الأمثلة السابقة مجاز لُغويٌ: أي كلمة استُعْملت في غير معناها الحقيقي فالمثال الأول من الأمثلة الثلاثة الأولى يشتمل على كلمتي الظلمات والنور ولا يُقْصد بالأولى إلّا الضلال، ولا يراد بالثانية إلّا الهدى والإيمان، والعلاقة المشابهة والقرينة حالية؛ وبيت المتنبي يحتوي على مجازين هما «البحرُ» الذي يراد به الرجل الكريم لعلاقة المشابهة، والقرينة «مشى» و«الأسْد» التي يراد بها الشجعان لعلاقة المشابهة، والقرينة «تعانقه»؛ والبيت الثالث يحتوي على مجاز هو «تصافحت» الذي يراد منه تلاقت، لعلاقة المشابهة والقرينة «بيض الهند واللمم».

وإذا تأملت كل مجاز سبق رأيت أنه تضمَّن تشبيهاً حُذِف منه لفظ المشبَّه واستعير بدله لَفْظ المشبَّه به ليقوم مقامه بادعاءِ أنَّ المشبَّه به هو عين المشبَّه، وهذا أبعد مدى في البلاغة، وأدخلَ في المبالغة، ويسمَّى هذا المجاز استعارة، ولما كان المشبَّه به مصرَّحاً به في هذا المجاز سمّي استعارة تصريحية.

نرجع إذاً إلى الأمثلة الثلاثة الأخيرة؛ ويكفي أن نوضح لك مثالًا منها لتَقيس عليه ما بعده، وهو قول الحجاج في التهديد: «إنّي لأرى رؤُوساً قد أيْنعت» فإن الذي يفهَم منه أن يشبِّه الرؤوس بالثمرات، فأصل الكلام إني لأرى رؤُوساً كالثمرات قد أينعت، ثم حذف المشبَّه به فصار إني لأرى رؤُوساً قد أينعت، على تخيُّل أن الرؤُوس قد تمثلت في صورة ثمار، ورُمز للمشبَّه به المحذوف بشيءٍ من لوازمه وهو أينعت، ولما كان المشبَّه به في هذه الاستعارة مُحتجباً سميت استعارة مكنية، ومثل ذلك يقال في «امتطينا الخطوبا» وفي كلمة «المجد» في البيت الأخير.

القاعدة

(١٣) الاسْتِعارَةُ مِنَ المجاز اللُّغَويّ، وهي تَشْبيهٌ حُذِفَ أَحَد طَرَفَيْهِ، فَعلاَقتها المشابهةُ دائماً، وهيَ قِسْمان:

أ ـ تَصْريحيّة، وهيَ ما صُرِّحَ فيها بلَفظِ المشبَّه بهِ.

ب ـ مَكنيَّة، وهيَ ما حُذِفَ فيها المشَبَّهُ بهِ ورُمِزَ لهُ بشيءٍ مِنْ لوازمِه.

نَموذَجٌ

١ ـ قال المتنبي يَصِفُ دخول رسول الرّوم على سيف الدولة:

وأَقْبل يمشي في البِساطِ فَما درى ... إلى البحْر يسْعى أمْ إلى البدْر يرْتقي

٢ ـ وصف أعرابي أخاً له فقال:

كان أخِي يَقْري العينَ جَمالاً والأذنَ بياناً[١].

٣ ـ وقال تعالى على لسان زكريا:

﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾.

٤ ـ وقال أعرابي في المدح:

فُلانٌ يَرمي بِطَرْفِهِ حَيْثُ أَشارَ الكَرم[٢].

الإجابة

١ ـ أ ـ شُبّه سيفُ الدولة بالبحر بجامع[٣] العطاء ثم استُعير اللفظُ الدال على المشبّه به وهو البحر للمشبّه وهو سيف الدولة، على سبيل الاستعارة التصريحية، والقرينة «فأقبل يمشي في البساط».

ب ـ شُبّه سيف الدولة بالبدر بجامع الرّفعة، ثم استعير اللفظ الدال على المشبّه به وهو البدر للمشبّه وهو سيف الدولة، على سبيل الاستعارة التصريحية، والقرينة «فأقبل يمشي في البساط».

٢ ـ شبّه إمتاع العين بالجمال وإمتاع الأُذن بالبيان بقرى الضيف، ثم اشتُقّ من القِرى يَقْري بمعنى يُمْتِع على سبيل الاستعارة التصريحية، والقرينة جمالاً وبياناً.

٣ ـ شُبّه الرأس بالوقود ثم حذِف المشبّه به، ورُمِزَ إليه بشيءٍ من لوازمه وهو «اشتعل» على سبيل الاستعارة المكنية، والقرينة إثبات الاشتعال للرأس.

٤ ـ شبّه الكرم بإنسان ثم حُذِفَ ورُمِزَ إليه بشيءٍ من لوازمه وهو «أشار» على سبيل الاستعارة المكنية، والقرينة إثبات الإشارة للكرم.

تمرينات

(١)

أجرِ الاستعارةَ التصريحية التي تحتها خط فيما يأتي:

---

(١) القرى: إكرام الضيف وإطعامه.

(٢) الطرف: البصر.

(٣) الجامع في الاستعارة هو ما يعبر عنه في التشبيه بوجه الشبه.

١ ـ كلُّ زَنْجيَّة كأن سوَاد الـ ... لَيْل أهْدَى لها سَوادَ الإهَاب[١]

٢ ـ وقال في وصف مزيَّن:

إذا لمع البرْقُ في كفّه ... أفاض على الْوجه ماء النعيمْ[٢]
له راحةٌ سيْرُها راحةٌ ... تمرُّ على الْوجْهِ مرّ النّسيمْ[٣]

٣ ـ وقال ابن المعتز:

جُمِعَ الْحقُّ لَنا في إمام ... قتَل البُخْلَ وأحْيا السَّماحا

(٢)

أجرِ الاستعارة المكنية التي تحتها خط فيما يأتي:

١ ـ مدح أعرابي رجلاً فقال:

تَطَلَّعتْ عيونُ الفضلِ لكَ، وأصغتْ آذانُ المجدِ إليك.

٢ ـ ومدح آخر قوماً بالشجاعة فقال: أقسمَتْ سيوفُهمْ ألا تُضيع حقًا لهم.

٣ ـ وقال السريُّ الرَّفاء:

مَوَاطِنُ لمْ يَسْحَبْ بِها الْغَيُّ ذَيْلَهُ ... وكم لِلعَوالي بَيْنَها مِن مَساحِبِ[٤]

(٣)

عيِّن التصريحية والمكنية من الاستعارات التي تحتها خط مع بيان السبب:

١ ـ قال دِعبِل الخزاعِيّ[٥]:

لا تَعجَبي يا سَلمُ مِن رَجُلٍ ... ضحِكَ المَشيبُ برأسِه فبَكى[٦]

---

(١) الإهاب: الجلد، يقول: إن القار الذي طليت به السفن لشدة سواده كأنه جزء من الليل أهداه الليل إليها.

(٢) ماء النعيم: رونقه ونضارته.

(٣) الراحة الأولى: باطن الكف، والراحة الثانية: ضد التعب، يصف اليد باللطف والخفة.

(٤) العوالي: جمع عالية وهي الرماح، يقول: إن هذه الأماكن طاهرة من أدران الغواية وإنها منازل شجعان طالما جرت فيها الرماح.

(٥) كان شاعراً هجاءً، ولد بالكوفة وأقام ببغداد، وشعره جيد؛ وقد أولع بالهجو والحط من أقدار الناس فهجا الخلفاء ومَن دونهم، وتوفي سنة ٢٤٦.

(٦) يا سلم: يا سلمى.

٢ ـ ذمّ أعرابي قوماً فقال: أولئك قومٌ يصومون عن المعروف، ويُفْطرون على الفحشاء.

٣ ـ وذمّ آخر رجلاً فقال: إنه سمين المال مهزول المعروف.

٤ ـ وقال البحتري يرثي المتوكل[1] وقد قتل غِيلة:

فما قاتلَت عنهُ المَنايا جُنودُهُ ولا دافعتْ أمْلاكُه وذَخائرُه[2]

٥ ـ وإذا العِنايةُ لاحظتْك عيونُها نَمْ فالمخاوِف كلُّهنّ أمانُ

٦ ـ وقال أبو العتاهية يهنّئ المهدي[3] بالخلافة:

أتتْه الخِلافةُ منقادة إليْهِ تُجرِّرُ أذْيالها

(٤)

ضع الأسماء الآتية في جمل بحيث يكُون كلٌّ منها استعارةً تصريحية مرة ومكنيةً أخرى:

الشمس ـ البلبل ـ البحر ـ الأزهار ـ البرق

(٥)

حوّل الاستعارات الآتية إلى تشبيهات:

١ ـ قال أبو تمام في وصف سحابة:

دِيمَةٌ سمْحَةُ القِيادِ سَكوبُ مُسْتغِيثٌ بِها الثرى المكْروبُ[4]

٢ ـ وقال السّريّ في وصف الثلج وقد سقطَ على الجبال:

ألَمّ بِرَبْعِها صُبْحاً فألْفى مُلِمّ الشيبِ في لمم الجِبال[5]

---

(١) هو المتوكل العباسي، بويع بالخلافة بعد وفاة أخيه الواثق سنة ٢٣٢هـ، وكان جواداً محباً للعمران، وقد نقل مقر الخلافة من بغداد إلى دمشق، وقتل غيلة سنة ٢٤٧هـ.

(٢) يقول: إن جيشه لم ينفعه حين هجم عليه الأعداء في قصره فلم يقاتل دونه، وإن أملاكه وأمواله لم تغنِ عنه شيئاً.

(٣) هو من خلفاء الدولة العباسية في العراق، أقام في الخلافة عشر سنين محمود العهد والسيرة محبباً إلى الرعية وكان جواداً، توفي سنة ١٦٩هـ.

(٤) الديمة: السحابة الممطرة. وسمحة القياد أي أن الريح تقودها وهي لينة لا تمانع، وسكوب: كثيرة سكب المطر وصبه، والثرى: التراب.

(٥) ألم: نزل. والضمير يعود على الثلج، بربعها: بمنزلها والمقصود بمكانها، والضمير يعود إلى البقعة، واللمم جمع لمة وهي شعر الرأس.

٣ ـ وقال في وصف قلم:

وأهيف إنْ زعْزعتْه البَنا نُ أمْطر في الطِّرس ليْلًا أحمْ[١]

(٦)

حوّل التشبيهات الآتية إلى استعارات:

١ ـ إنَّ الرسول لنورٌ يُسْتضاءُ به.

٢ ـ أنا غُصْنٌ من غصونِ سَرْحتِك، وفَرعٌ من فروع دوْحَتِك[٢].

٣ ـ أنا السَّيْفُ إلا أنَّ لِلسَّيْفِ نبْوةً ومِثْليَ لا تَنْبُو عليْكَ مضاربُهْ[٣]

٤ ـ ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾.

٥ ـ وإنَّ صَخْراً لتَأْتَمُّ الهُداةُ بهِ كأنَّه عَلَمٌ في رأسِه نارُ[٤]

٦ ـ أنا غَرْسُ يديك.

٧ ـ أسَدٌ عليَّ وفي الحُرُوبِ نَعامةٌ ربْداءُ تَجْفِلُ مِنْ صَفِير الصَّافِر[٥]!

(٧)

اشرح قول ابن سِنان الخفاجيّ[٦] في وصف حمامة، ثم بيِّن ما فيه من البيان:

وهاتِفَةٍ في الْبانِ تُمْلي غَرامَها علَيْنا وتتْلُو مِنْ صبابَتِها صُحُفَا[٧]

ولوْ صَدَقَتْ فِيما تقُولُ من الأسى لما لَبِسَتْ طَوْقاً وما خَضَبَتْ كَفَّا[٨]

---

(١) الهيف في الأصل: رقة الخصر، وزعزعته: هزته، والبنان: الأصابع أو أطرافها، الطرس: القرطاس، والأحم: الأسود.

(٢) السرحة: الشجرة العظيمة وكذلك الدوحة.

(٣) نبوة السيف: عدم قطعه، يقول: أنا سيف لا ينبو عند مقاتلتك وإن نبا السيف الحقيقي.

(٤) العلم: الجبل، وكان العرب يوقدون ناراً بأعلى الجبال لهداية السارين.

(٥) ربداء: أي ذات لون مغبر، تجفل: أي تسرع في الهرب.

(٦) شاعر، أديب كان يرى رأي الشيعة، وقد ولي قلعة من قلاع حلب من قبل الملك محمود بن صالح فشق عصا الطاعة بها؛ فاحتال عليه الملك حتى سمّه فمات سنة ٤٦٦هـ.

(٧) هتفت الحمامة: مدت صوتها، والبان: ضرب من الشجر، وفي قوله (تتلو من صبابتها صحفاً) حسن وإبداع.

(٨) الأسى: الحزن.

(٢) تَقْسِيمُ الاستعارة إِلى أَصْلِيَّة وتَبَعِيَّة

الأمثلة:

١ ـ قال المتنبي يَصِف قَلماً:

يَـمُـجُّ ظَـلَامـاً فِـي نـهـارٍ لِسَـانُـهُ ... ويَـفـهَـمُ عَـمَّـنْ قـال ما لَيْسَ يَـسْـمَـعُ

٢ ـ وقال يخاطب سيف الدولة:

أُحِـبـك يـا شَـمْـسَ الـزَّمـان ويَـدْرَهُ ... وإِنْ لَامـني فـيكَ السُّـها وَالفَـرَاقِدُ[1]

٣ ـ وقال المعرّي في الرِّثاءِ:

فَـتًـى عَـشِـقَـتْـهُ الْبَـابـلِيَّـةُ حِـقْـبَـةً ... فَـلم يَـشْـفِهَا مِـنْـهُ بِـرَشْـفٍ وَلَا لَثْـم[2]

* * *

٤ ـ قال تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾﴾.

٥ ـ وقال المتنبي في وصف الأسد:

وَرْدٌ إِذَا وَردَ الْبُـحَـيْـرَةَ شـاربـاً ... وَرَدَ الْفُـرَاتَ زَئِـيـرُهُ والـنِّـيـلَا[3]

البحث:

في الأبيات الثلاثة الأولى استعارات مكنية وتصريحية، ففي البيت الأول شُبِّه القلم (وهو مَرْجع الضمير في لسانه) بإنسان ثم حذف المشبَّه به ورُمز إليه بشيءٍ من لوازمه وهو اللسان، فالاستعارة مكنية، وشُبِّه المداد بالظلام بجامع السواد واستعير اللفظ الدال على المشبَّه به للمشبَّه على سبيل الاستعارة التصريحية. وشبِّه الورق بالنهار بجامع البياض ثم استعير اللفظ الدالّ على المشبَّه به للمشبَّه على سبيل الاستعارة التصريحية.

---

(١) السها: نجم خفي يمتحن الناس به أبصارهم، والفراقد جمع فرقد: وهو نجم قريب من القطب، وفي السماء فرقدان ليس غير.

(٢) الحقبة: المدة من الزمان ويراد بها المدة الطويلة، ورشف الماء: مصه، واللثم: التقبيل.

(٣) الورد: الذي يضرب لونه إلى الحمرة، والمراد بالبحيرة بحيرة طبرية، أي أن زئير الأسد شديد فإذا زأر في طبرية سمع زئيره مَن في العراق ومصر.

وفي البيت الثاني شبّه سيف الدولة مرّة بالشمس، ومرّة بالبدر بجامع الرفعة والظهور، ثم استعير اللفظ الدال على المشبّه به وهو الشمس والبدر للمشبّه على سبيل الاستعارة التصريحية في الكلمتين، وشبّه منْ دونه مرّة بالسُّها ومرّة بالنجوم بجامع الصِّغَر والخفاءِ، ثم استعير اللفظ الدالّ على المشبّه به وهو السُّها والفراقد للمشبّه على سبيل الاستعارة التصريحية في الكلمتين.

وفي البيت الثالث شُبّهت البابلية وهي الخمر بامرأة ثم حذف المشبّه به ورُمِزَ إليه بشيءٍ من لوازمه وهو «عشِقْتُهُ» على سبيل الاستعارة المكنية.

وإذا رجَعْتَ إلى كل إجراءٍ أجريناه للاستعارات السابقة، رأيت أننا في التصريحية استعرنا اللفظ الدال على المشبّه به للمشبّه وأننا لم نَعْمل عملًا آخر، ورَمَزْنا إليه بشيءٍ من لوازمه، وأن الاستعارة تمْت أيضاً بهذا العمل؛ وإذا تأملت ألفاظ الاستعارات السابقة رأيتها جامدة غيرَ مشتقة. ويسمى هذا النوع من الاستعارة **بالاستعارة الأصلية**.

انظر إذاً إلى المثالين الأخيرين تجد بكل منهما استعارة تصريحية، وفي إجرائها نقول: شبّه انتهاءُ الغضب بالسكوت بجامع الهدوء في كلٍّ، ثم استعير اللفظ الدالُّ على المشبّه به وهو السكوت للمشبّه وهو انتهاءُ الغضب ثم اشتق من السكوت بمعنى انتهاءِ الغضب سكت بمعنى انتهى.

وشُبّه وصول صوت الأسد إلى الفرات بوصول الماءِ بجامع أن كلًّا ينتهي إلى غاية ثم استعير اللفظ الدالّ على المشبّه به وهو الورود للمشبّه وهو وصول الصوت ثم اشتُقّ من الورود بمعنى وصول الصوت ورد بمعنى وصل.

فإذا أنت وازنت بين إجراءِ هاتين الاستعارتين وإجراء الاستعارات الأولى رأيت أن الإجراء هنا لا ينتهي عند استعارة المشبّه به للمشبّه كما انتهى في الاستعارات الأولى، بل يزيد عملًا آخر وهو اشتقاق كلمة من المشبّه به، وأن ألفاظ الاستعارة هنا مشتقةٌ لا جامدة، ويسمى هذا النوع من الاستعارة **بالاستعارة التبعية**، لأن جريانها في المشتق كان تابعاً لجريانها في المصدر.

ارجع بنا ثانياً إلى المثالين الأخيرين لنتعلّم منهما شيئاً جديداً، ففي الأول وهو ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ﴾ يجوز أن يشَبّه الغضب بإنسان ثم يُحذف المشبّه به ويرْمز إليه بشيءٍ من لوازمه وهو سكت فتكون في «الغضب» استعارة مكنية. وفي الثاني وهو «ورد الفرات زئيره» يجوز أن يشبّه الزئير بحيوان ثم يُحذف ويُرمز إليه بشيءٍ من لوازمه وهو ورد فيكون في «زئيره» استعارة مكنية، وهكذا كل استعارة تبعية يصحُّ أن يكون في قرينتها استعارة

مكنية غير أنه لا يجوز لك إجراء الاستعارة إلا في واحدة منهما لا في كلتيهما معاً.

القواعد

(١٤) تَكُونُ الاستعارةُ أَصْلِيَّةً إِذا كان اللفظ الذي جَرَتْ فيه اسماً جامداً.

(١٥) تكون الاستعارةُ تَبَعِيَّةً إِذا كانَ اللفظُ الذي جَرَتْ فيه مُشْتَقًّا أَوْ فِعْلاً[١].

(١٦) كلُّ تَبَعِيَّةٍ قَرِينَتُها مَكْنِيَّةٌ، وإِذا أُجْرِيت الاستعارةُ في واحدة منهما امْتَنَعَ إِجْرَاؤُها في الأُخْرَى.

نموذج

قال الشاعر:

١ ـ عَضَّنا الدَّهرُ بِنابِه ... لَيْتَ ما حَلَّ بِنا بِهْ

٢ ـ وقال المتنبي:

حَمَلْتُ إِلَيْهِ مِنْ لِسَانِي حَدِيقَةً ... سقاها الحِجا سَقْيَ الرِّياضِ السَّحائِب[٢]

٣ ـ وقال آخر يخاطب طائراً:

أَنْتَ في خَضْراء ضاحِكَةٍ ... مِنْ بُكاءِ العارِض الهَتِن[٣]

الإِجابة

١ ـ شُبِّه الدهر بحيوان مفترس بجامع الإِيذاءِ في كلٍّ، ثم حُذف المشبَّه به ورُمز إِليه بشيءٍ من لوازمه وهو «عض» فالاستعارة مكنية أصلية.

٢ ـ شُبِّه الشِّعر بحديقة بجامع الجمال في كلٍّ، ثم استعير اللفظ الدالّ على المشبَّه به للمشبَّه فالاستعارة تصريحية أصلية، وشُبِّه الحجا وهو العقل بالسحاب بجامع

---

(١) تقسيم الاستعارة إلى أصلية وتبعية عام في الاستعارة سواء أكانت تصريحية أم مكنية، ومثال الاستعارة المكنية التبعية أعجبني إراقة الضارب دم الباغي، فقد شبه الضرب الشديد بالقتل بجامع الإيذاء في كل، واستعير القتل للضرب الشديد، واشتق منه قاتل بمعنى ضارب ضرباً شديداً، ثم حذف ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الإراقة على طريق الاستعارة المكنية التبعية.

(٢) الرياض مفعول به للمصدر وهو سقى، سقى مضاف والرياض مضاف إليه، وأصل الكلام سقى السحائب الرياض.

(٣) في خضراء: أي في روضة خضراء، والعارض الهتن: السحاب الكثير الأمطار.

التأثير الحسن في كلّ وحذف المشبّه به ورُمز إليه بشيءٍ من لوازمه وهو «سقَى» فالاستعارة مكنية أصلية.

٣ ـ شُبّه الإزْهار بالضحِك بجامع ظهور البياض في كلٍّ، ثم استعير اللفظ الدال على المشبّه بهِ للمشبّه، ثم اشتُقّ من الضحك بمعنى الإزْهار ضاحِكة بمعنى مُزْهِرة؛ فالاستعارة تصريحية تبعية.

ويجوز أن نضرب صفْحاً عن هذه الاستعارة، وأن نجْريها في قرينتها فنقول: شبّهت الأرض الخضراءُ بالآدميّ، ثم حُذف المشبّه به ورُمز إليه بشيءٍ من لوازمه وهو ضاحكة فتكون الاستعارة مكنية.

وشُبّه نزول المطرِ بالبكاءِ بجامع سقوط الماءِ في كلٍّ، ثم استعير اللفظ الدال علَى المشبّه به للمشبّه، فالاستعارة تصريحية أصلية، ويجوز أن تُجْرَى الاستعارةُ مكنيةً في العارض.

تمرينات

(١)

بيّن الاستعارةَ الأصليةَ والتبعية فيما يأْتي:

١ ـ قال السّريُّ الرّفاءُ يَصِف شِعْرَهُ:

إذا ما صافَح الإسْماعَ يوْماً تَبسّمتِ الضّمائِرُ والقُلُوبُ

٢ ـ وقال ابن الرُّوميّ:

بلدٌ صحِبْتُ بهِ الشّبِيبَةَ والصّبَا ولَبِسْتُ ثوْبَ اللّهْو وهْوَ جديدُ

٣ ـ وقال:

حيّتْك عنّا شمالٌ طَافَ طائِفُها بجنّةٍ نفحتْ روحاً وريْحانا[١]

هبّتْ سُحيْراً فناجى الْغُصْن صاحِبَه سِرًّا بهَا وتداعى الطيرُ إعْلَانا[٢]

---

(١) الشمال: الريح التي تهب من ناحية القطب، ونفحت روحاً وريحاناً: أولت راحة وطيباً.

(٢) الضمير في هبت يعود على الشمال. سحيراً: قبيل الصبح، وناجى: حدث سرًّا، وتداعى: دعا بعضه بعضاً.

٤ ـ وقال البحتري في وصف جيش:

وإذا السّلاحُ أضاء فيهِ رأى العِدَا بَرْقًا تألّق فيهِ بحْرُ حديدِ[١]

٥ ـ وقال ابن نُباتة السّعْدِيّ[٢] في وصف مُهرٍ أغرّ[٣]:

وأدْهمَ يَسْتَمِدُّ الليلُ مِنْهُ وتطْلُع بَيْن عَيْنَيْهِ الثُّريا

٦ ـ وقال التّهاميّ في رثاءِ ابنه:

يا كَوْكباً ما كانَ أقْصرَ عُمْرَهُ وكَذاكَ عُمْرُ كَواكِبِ الأسْحار

٧ ـ وقال الشريف في الشّيب:

ضَوْءٌ تَشَعْشَعَ في سوادِ ذَوَائبي لا أسْتَضِيءُ بِهِ ولا أسْتَصْبِحُ[٤]

بغَتُ الشبابَ بهِ على مِقَةٍ له بَيْعَ العليمِ بِأنّه لا يَرْبَحُ[٥]

٨ ـ وقال البحتري في وصف قَصْر:

مَلأتْ جَوانِبُهُ الفضاء وعَانقَتْ شُرُفاتُهُ قِطَعَ السّحابِ المُمْطرِ

٩ ـ وقال في وصف روضة:

يُضاحكها الضحى طَوْراً وطوْراً عليْها الغيْثُ ينْسجِمُ انْسِجاما[٦]

١٠ ـ وقال في الشّيْب:

ولِمّةٍ كُنْتُ مشْغُوفاً بِجِدَّتِها فَما عفا الشّيْبُ لي عَنْها ولا صَفَحَا

١١ ـ وقال ابن التّعاوِيذي في وصف روضة:

وأعطافُ الغُصُونِ لَها نشَاطٌ وأنْفاسُ النَسِيم بها فُتُورٌ[٧]

---

(١) تألق البرق: لمع.

(٢) هو أبو نصر عبد العزيز، كان شاعراً مجيداً جمع بين حسن السبك وجودة المعنى، ومعظم شعره جيد، وله ديوان كبير، توفي سنة ٤٠٥هـ.

(٣) الغرة: بياض في جبهة الفرس.

(٤) تشعشع الضوء: انتشر، واستصبح: استضاء بالمصباح.

(٥) المقة: الحب.

(٦) ينسجم: يسيل.

(٧) الأعطاف: جمع عطف وهو الجانب، الفتور: الضعف.

١٢ ـ وقال مِهيار[١]:

مـا لِسَـارِي الـلهْـوِ فـي لَيْـلِ الـصِّـبَـا ضَـلَّ فـي فَـجْـرٍ بـرأسـي وضَـحـا

(٢)

اجعل الاستعاراتِ التبعية الآتية أصليَّة:

١ ـ إنْ أمْطرتْ عيْنَايَ سَحًّا فعنْ بَـوَارِقٍ فـي مَـفْـرِقـي تَـلْـمَـعُ[٢]

٢ ـ إنَّ الـتَّـبـاعُـد لا يَـضُـرُّ إذَا تـقـاربـت الـقُـلُوبُ

٣ ـ وقال ابن المعتز يصف سحابة:

بـاكِـيـةٌ يَـضْـحَـكُ فـيـهَـا بَـرْقُـهَـا مَـوْصُـولَةٌ بِـالأرْض مُـرْخَـاةُ الطُّـنُـبْ[٣]

(٣)

اجعل الاستعارات الأصليةَ تبعيةً فيما يأتي:

١ ـ شرُّ الناس مَنْ يرْضى بهدم دِينهِ لبناءِ دنياه.

٢ ـ شِراءُ النفوس بالإحسان خيرٌ من بيْعِها بالعُدْوان.

٣ ـ إن خَوض المرءِ فيما لا يَعْنيهِ وفِراره من الحق من أَسباب عِثاره.

٤ ـ خيْرُ حِليةٍ للشباب كَبْحُ النفس عند جُموحِها.

(٤)

هات ست استعارات منها ثلاث أصلية وثلاث تبعية.

---

(١) هو أبو الحسن مهيار بن مرزويه الكاتب الفارسي الديلمي، كان مجوسياً وأسلم على يد الشريف الرضي وتخرّج في الشعر عليه، ويمتاز في شعره بجزالة القول ورقة الحاشية وطول النفس، وتوفي سنة ٤٢٨هـ.

(٢) سحًّا: صبًّا، والبوارق جمع بارق وهو البرق، والمفرق: وسط الرأس وهو الموضع الذي يفرق فيه الشعر.

(٣) الطنب: الحبل تشد به الخيمة، يقول: إن السحابة لثقلها بالماء تقرب أطرافها من الأرض.

(٥)

اشرح قول السريّ الرّفاءِ في وصف دولاب[١] وبيّن ما فيه من استعارات:

فمِنْ جنّان تريك النّوْرَ مُبْتَسماً ... في غيْر إبّانِهِ والماء مُنْسَكِبا[٢]
كأنّ دُولابها إذ أنّ مُغْتَرِبٌ ... نأى فحنّ إلى أوْطانِهِ طَرَبا[٣]
باكٍ إذا عقّ زهْرَ الروْض والدُهُ ... مِنَ الغَمام غَدا فيهِ أباً حَدِبا[٤]
مُشَمّرٌ في مسيرٍ لَيْس يُبْعِدُهُ ... عن المَحلّ ولا يُبْدِي له تَعبا[٥]
ما زالَ يَطْلُبُ رِفْدَ البحْرِ مُجْتَهِداً ... لِلْبَرّ حتّى ارْتَدَى النّوّارَ والعُشُبا[٦]

(٣) تقسيمُ الاستعارة إلى مرشَّحة ومجرَّدة ومُطلَقة

الأمثلة:

أ
١ - قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ﴾.
٢ - وقال البحتري:
يُؤدُّونَ التَّحِيَّةَ مِنْ بَعيدٍ ... إلى قَمرٍ مِنَ الإيوان بَادِ[٧]
٣ - وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾[٨].

* * *

(١) الدولاب: آلة كالناعورة يستقى بها الماء وهي المعروفة «بالساقية».
(٢) إبان الشيء بالكسر والتشديد: وقته، يقال كل الفاكهة في إبانها: أي في وقتها.
(٣) أنين الدولاب: صوته عند دورانه، وحنين المغترب: شوقه وبكاؤه عند ذكر الوطن، والطرب: خفة تصيب الإنسان لشدة حزن أو سرور.
(٤) عقه: ضد بره، والأب الحدب: الأب الذي يتعلق بابنه ويعطف عليه، ويقول إذا جفا الغمام زهر الروض فلم يمطره قام الدولاب مقامه فكان الزهر بمنزلة الأب الحاني على ولده فتعهده وسقاه.
(٥) يقول: إن الدولاب مجد في سيره ومن العجب أنه لا يبتعد عن مكانه ولا تبدو عليه علامات التعب.
(٦) الرفد: العطاء، يقول: إن الدولاب ما برح يستجدي البحر للبر فيأخذ من مائه ويسقيه حتى ارتوى البر ونما زرعه واكتسى أثواباً من الأزهار والنبات.
(٧) الإيوان: مكان مرتفع في البيت يجلس عليه.
(٨) الجارية: السفينة.

ب
٤ - وقال البحتريّ:

وأرى الْمنايا إنْ رَأتْ بكَ شَيْبَةً ... جَعَلَتْكَ مَرْمى نَبْلِهَا الْمُتَواتِرِ[١]

٥ - كان فُلانٌ أكْتَبَ الناس إذا شرب قلمُهُ من دَوَاتِهِ أوْ غنّى فوْقَ قِرْطاسه.

٦ - وقال قُرَيْظُ بن أُنَيف[٢]:

قوْمٌ إذَا الشَرُّ أبْدَى ناجذيْهِ لَهُمْ ... طارُوا إلَيْهِ زرافاتٍ ووُحْدانا[٣]

البحث:

في الأمثلة الأولى استعارات تصريحية في «اشتروا» بمعنى اختاروا، وفي «قمر» الذي يراد به شخص الممدوح، وفي «طغى» بمعنى زاد، وقد استوفت كلُّ استعارة قرينتَها، فقرينة الأولى «الضلالة»، وقرينة الثانية «يؤدون التحية» وقرينة الثالثة «الماء»، وإذا تأملت الاستعارة الأولى رأيت أنها قد ذكِر معها شيء يلائم المشبّه به، وهذا الشيء هو ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ﴾، وإذا نظرتَ إلى الاستعارة الثانية رأيت بها شيئاً من ملائمات المشبّه، وهو «من الإيوان باد»، وإذا تأملت الاستعارة الثالثة رأيتها خالية مما يلائم المشبّه به أو المشبّه.

والأمثلة الثلاثة الثانية تشتمل على استعارات مكنية هي «الضمير» في رأت الذي يعود على المنايا التي شُبِّهتْ بالإنسان. و«القلم» الذي شُبّه بالإنسان أيضاً و«الشر» الذي شُبّه بحيوان مفترس، وقد تمّتْ لكل استعارة قرينتها، إذْ هي في الأولى إثبات الرؤية للمنايا، وفي الثانية إثبات الشرب والغِناء للقلم، وفي الثالثة إثبات إبداءِ الناجذيْن للشر.

وإذا تأملتَ رأيتَ أن الاستعارة الأولى اشتملت على ما يُلائم المشبّه به وهو «جعلتك مرمى نبلها»، وأنّ الاستعارة الثانية اشتملت على ما يلائم المشبّه وهو «دواته وقرطاسه»، وأنّ الاستعارة الثالثة خلَتْ مما يلائم المشبّه أو المشبّه به، والاستعارة التي من النوع الأول تسمّى مرشّحة، والتي من النوع الثاني تسمّى مجرّدة، والتي من النوع الثالث تسمّى مطلقة.

---

(١) النبل المتواتر: الكثير المتوالي.

(٢) هو قريظ بن أنيف من شعراء الحماسة وهو شاعر إسلامي.

(٣) الناجذان: النابان، وإبداء الشر ناجذيه كناية عن شدته وصعوبته. يصفهم بالإقدام على المكاره والإسراع إلى الشدائد وأنهم لا يتواكلون ولا يتخاذلون.

القواعد

(١٧) الاستعارة ٱلْمُرَشَّحَةُ: ما ذُكِرَ معها مُلائِم المشبَّه بِهِ.

(١٨) الاستعارةُ المجرَّدَةُ: ما ذكِرَ معها مُلاَئمُ المشبَّه.

(١٩) الاستعارةُ الْمُطْلَقة: ما خَلَتْ من مُلائماتِ المشبَّه به أو المشبَّه[١].

(٢٠) لا يُعْتَبَرُ الترشيحُ أو التجريدُ إلا بَعْدَ أَنْ تَتِمَّ الاستعارةُ باستيفائها قَرينَتَها لفظيةً أو حاليَّةً، ولهذا لا تُسَمَّى قَرينةُ التصريحية تجريداً، ولا قَرينةُ المكْنيةِ تَرْشِيحاً.

نَمُوذَجٌ

١ ـ خُلُقُ فلانٍ أرقُّ من أنفاس الصَّبا إذا غازلت أزْهارَ الرُّبا[٢].

٢ ـ فَإنْ يَهْلِك فكلُّ عمودِ قَوْم ... مِن الدُّنْيا إلى هُلْك يَصِيرُ

٣ ـ إنِّي شديد العطشِ إلى لقائِك.

٤ ـ ولَيْلَةٍ مَرِضَتْ مِنْ كلِّ ناحِيَةٍ ... فَمَا يضِيءُ لَها نَجمٌ ولا قَمَرُ

٥ ـ سقاكِ وحيَّانا بِكِ الله إنَّما ... على العِيس نَوْرٌ والخُدور كمائِمهْ[٣]

الإجابة

١ ـ في كلمة الصَّبا ـ وهي الريح التي تَهُبُّ من مطلَع الشمس ـ استعارة مكنية لأنها شُبِّهت بإنسان وحذِف المشبَّه به ورُمِزَ إليه بشيءٍ من لوازمه وهو أنفاس الذي هو قرينة المكنية، وفي «غازلت» ترشيح.

٢ ـ في عمود استعارة تصريحية أصلية، شُبِّه رئيس القوم بالعمود بجامع أنَّ كلاً يحمِل، والقرينة «يهلِك»، وفي «إلى هُلْك يصير» تَجريد.

---

(١) من نوع الاستعارة المطلقة الاستعارة التي تشمل على ترشيح وتجريد معاً، مثالها في التصريحية، نطق الخطيب بالدرر، براقة ثمينة، فارتاحت لها الأسماع. ومثالها في المكنية، قصف الموت شبابه قبل أن يزهر ويصل إلى الكهولة.

(٢) الربا: الأماكن العالية.

(٣) الخطاب في سقاك لمحبوبته، يدعو لها بالسقيا وأن يحيًا بها كما يحيًا الناس بالأزهار. والعيس الإبل. والكمائم جمع كمامة: وهي غلاف الزهرة.

٣ ـ شُبِّه الاشتياق بالعطش بجمع التطلُّع إلى الغاية، فالاستعارة تصريحية أصلية، والقرينة «إلى لقائك» وهي استعارة مطلقة.

٤ ـ في مرضت استعارة تبعية شُبِّهت الظلمة بالمرض والجامع خَفَاء مظاهر النشاط، ثم اشتُقّ من المرض مرِضت، فالاستعارة تصريحية تبعية، وفي «ما يضيءُ لها نجم ولا قمر» تجريد.

٥ ـ النورُ: الزَّهر، أو الأبيض منه، والمراد به هنا النساء، والجامع الحُسْن؛ فالاستعارة تصريحية أصلية، وفي ذكر الخُدور تجريد، وفي ذكر الكمائم ترشيح فالاستعارة مطلقة.

تمرينات

(١)

بيِّن نوع كل استعارة فيما يأتي، وعيِّن الترشيح الذي بها:

١ ـ قال السريّ الرفاء:

وقَدْ كتَبَتْ أيْدي الرَّبيع صحائفاً ... كأنَّ سُطُورَ السَّرْوِ حُسْناً سُطُورُهَا[(١)]

٢ ـ إذا ما الدَّهرُ جرَّ على أُناسٍ ... كلاكله أناخَ بآخرينا[(٢)]

٣ ـ وقال المتنبي في ذمّ كافور:

نَامَت نَواطِيرُ مِصرَ عن ثَعالِبِها ... وقَدْ بشِمْن وما تَفْنى العناقيد[(٣)]

٤ ـ وقال آخر في وصف مَوْقِعةٍ:

والمَوْت يَخْطُرُ في الجُموعِ وحَوْلَهُ ... أجْنادهُ مِنْ أنْصُلٍ وعَوَالي[(٤)]

٥ ـ رأيت حبَال الشمسِ كفة حابلٍ ... تُحيط بِنا مِنْ أشْمُلٍ وجَنُوب[(٥)]

---

(١) السرو: شجر عال.

(٢) الكلكل: الصدر، يقول: إن عادة الدهر تكدير العيش فهو يصيب قوماً بأذاه ثم ينتقل إلى إصابة غيرهم.

(٣) الناطور: حارس الزرع، وبشم: أخذته تخمة وثقل من كثرة الأكل، يقول: إن سادات مصر غفلوا عن العبيد فعبثوا بالأموال حتى أكلوا فوق الشبع.

(٤) الأنصل جمع نصل: وهو حديدة السيف، والعوالي: الرماح.

(٥) المراد بحبال الشمس أشعتها، وكفة الحابل: فخ الصياد، وأشمل جمع شمال.

نَروحُ بِهَا والموْتُ ظَمْآنُ ساغِبٌ يلاحِظُنا في جيئةٍ وذُهوبِ[1]

٦ ـ وقال المتنبي:

أتى الزَّمانَ بَنُوهُ في شَبِيبتِهِ فسرَّهم وأتيْناه على الهَرَمِ[2]

٧ ـ وقال أبو تمام:

نامَت هُمومِي عنّي حِينَ قُلْتُ لَهَا هذا أبو دُلَفٍ حَسْبي بِهِ وكَفَى!

٨ ـ حاذِرْ أن تقتُلَ وقْتَ شبابِك، فإنَّ لكلِّ قتلٍ قِصَاصاً.

٩ ـ وقال بعضهم في وصف الكتب:

لنَا جُلَسَاءُ لا نَمَلُّ حَدِيثَهُمْ أَلِبَّاءُ مأمُونُون غَيْباً وَمَشْهَدَا

١٠ ـ وقال أبو تمام:

لمّا انتضَيْتُك لِلْخُطُوبِ كُفِيتُها والسَّيْفُ لا يكْفِيك حتى يُنْتَضى[3]

١١ ـ تَلطَّخَ فلان بعار لن يُغْسل عنه أبداً.

(٢)

ما نوع الاستعارات الآتية وأين التجريد الذي بها؟

١ ـ رَحِمَ الله امرأً ألجمَ نَفْسَه بإبعادها عن شهواتها.

٢ ـ اشتَرِ بالمعروف عِرْضَكَ من الأذى.

٣ ـ أضاء رأيُهُ مُشكلاتِ الأمور.

٤ ـ انطلق لسانُه عن عِقاله فأوْجز وأعْجزَ.

٥ ـ ما اكتحلت عينُه بالنوم أرقاً وتَسهيداً.

٦ ـ قال المتنبي:

وغَيَّبَتِ النّوَى الظَّبيَاتِ عنّي فَسَاعَدَتِ البَراقِعَ والحِجالا[4]

---

(١) ساغب: أي جائع.

(٢) الهرم: الشيخوخة، يقول: إن بني الزمان من الأمم السالفة جاؤوا في حداثة الدهر ونضرته فسرهم، ونحن أتيناه وقد هرم فلم يبقَ عنده ما يسرنا.

(٣) انتضى السيف: جرّده من غمده.

(٤) النوى: البُعد والفراق، والمقصود بالظبيات هنا الحسان، والحجال: الخدور ومفردها حجلة.

٧ ـ لا تَخض في حديثٍ ليس من حقِّك سماعه.

٨ ـ لا تتفكَّهُوا بأعراض الناس؛ فَشَرُّ الخُلُقِ الغِيبة.

٩ ـ بين فَكَّيْهِ حُسام مُهَنَّدٌ، له كلام مُسَدَّد.

١٠ ـ اكتست الأَرضُ بالنباتِ والزهْر.

١١ ـ تَبسَّم البَرق فأضاء ما حولَه.

(٣)

بيِّن لِمَ كانت الاستعارات الآتية مطلقة واذكر نوعها:

١ ـ قال أعرابي في الخمر: لا أشرب ما يَشْربُ عقلي.

٢ ـ وقال المتنبي يخاطب ممدوحه:

يا بدْرُ يا بحرُ يا غمامةُ يا ليـ ... ـثَ الشَّرَى يا حِمامُ يا رَجُلُ[1]

٣ ـ ووصف أعرابي قَحْطاً فقال: الترابُ يابسٌ والمال عابس[2].

٤ ـ وقال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡعَذَابَ بِٱلۡمَغۡفِرَةِۚ فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ ١٧٥﴾.

٥ ـ رأيتُ جِبالاً تَمْخُر العُباب.

٦ ـ طار الخبَرُ في المدينة.

٧ ـ غنّى الطيرُ أُنْشودَتهُ فوق الأغصان.

٨ ـ برزَتِ الشمسُ من خِدْرِها.

٩ ـ يَهْجُم علينا الدهْرُ بجيش من أيامِهِ ولياليه.

(٤)

بيِّن الاستعارات الآتية وما بها من ترشيح أو تجريد أو إطلاق:

١ ـ قال المتنبي:

في الخدِّ إنْ عزَم الخَليطُ رحِيلا ... مطرٌ تزيدُ بهِ الخُدُودُ محولا[3]

---

(١) الشرى: مكان في بلاد العرب يوصف بكثرة الأسود.

(٢) المال: ما ملكته من كل شيء، وعند أهل البادية الإبل.

(٣) الخليط: الرفيق المعاشر، والمحول: الجدب، والمراد به هنا الشحوب وزوال النضرة بسبب الحزن.

٢ ـ قال التّهاميُّ يعتذر لحسّاده:

لا ذَنْب لي قدْ رُمْتُ كَتم فَضائلي ... فكأنّما برقعْتُ وَجْهَ نهار

٣ ـ قال أبو تمام في المديح:

نَال الْجزيرةَ إمْحالٌ فقلْتُ لهمْ ... شِيموا نَداه إذا ما البرْقُ لَم يُشَمِ[1]

٤ ـ وقال بدرُ الدين يوسُف الذهبي[2]:

هلم يَا صاحِ إلى رَوْضَةٍ ... يجْلُو بِها العانِي صدَا هَمِّهِ[3]

نَسيمُهَا يَعْثُرُ فِي ذيْلهِ ... وَزَهْرُهَا يضْحك فِي كُمّهِ

٥ ـ قال ابن المعتز:

ما تَرى نِعْمةَ السّماءِ على الأرْ ... ض وشُكْرَ الرّياضِ للأمْطارِ[4]؟

٦ ـ قال سعيدُ بن حُميد[5]:

وعَد البدْرُ بالزيارةِ لَيْلًا ... فإذا ما وفى قَضَيْتُ نُذُوري

٧ ـ زارني جبل ضِقْتُ ذَرْعاً بِثرْثرتِهِ[6].

٨ ـ قال أعرابي: ما أَشدَّ جَوْلَة الرأي عند الهوَى، وأشقَّ فِطامَ النفس عند الصّبا[7].

٩ ـ ووصف أعرابي بَنِي بَرْمك فقالَ: رأيتهم وقد لبسُوا النعمة كأنها مِنْ ثيابهم.

(٥)

اجعل الاستعارات الآتية مرّة مرشحة ومرّة مجرّدة:

لا تلبَس الرياء، ولا تَجرِ وراء الطيش، ولا تعبَثْ بمودةِ الإخوان، ولا تصاحب

---

(١) الإمحال: الجدب، وشام البرق: نظر إليه منتظراً مطره، والمعنى اطلبوا نداه إذا ينستم من صدق البرق.

(٢) من الشعراء المعدودين بالشام في طليعة عصر المماليك، وكان سهل الشعر عذبه مولعاً بالمحسنات اللفظية، وتوفي سنة ٦٨٠هـ.

(٣) العاني: المتعب الحزين.

(٤) في البيت استفهام محذوف، أي أما ترى إلخ، والمراد بشكر الرياض ازدهارها.

(٥) كاتب مترسل وشاعر رقيق الشعر نحا فيه منحى ابن أبي ربيعة، وقلّده المستعين العباسي ديوان رسائله، وتوفي سنة ٢٥٠هـ.

(٦) ضاق به ذرعاً: ضعفت طاقته عنه ولم يجد منه مخلصاً، والثرثرة: كثرة الكلام وترديده.

(٧) الصبا: الميل إلى الجهل والفتوة.

الشرّ، ولا تنخدع إذا نظرتَ في الأُمور ـ بسراب[١] بل اتّبع النور دائماً في هذه الدنيا، واجتنب الظلام، وإذا عَثرت فقم غير يائس. وإذا حاربك الدهر، فتجمّل غير عابس.

(٦)

أ ـ هات ستَّ استعارات تصريحية فيها المرشّحة والمجرّدة والمطلقة.

ب ـ هات ستَّ استعارات مكنية فيها المرشّحة والمجرّدة والمطلقة.

(٧)

اشرح الأبيات الآتية وبيّن ما فيها من ضروب الحُسْنِ البياني:

قال الشريف في وصف ليلة:

وليلةٍ خُضْتُها على عجَلٍ ... وصُبْحُها بالظَّلام مُعْتَصِمُ[٢]

تَطَلَّع الفجرُ في جوانبِها ... وانفلَتتْ مِنْ عِقَالِها الظُلَمُ[٣]

كأنّما الدَّجْنُ في تَزاحُمِهِ ... خيْلٌ، لها مِنْ بُرُوقِهِ لُجمُ[٤]

(٤) الاستعارةُ التمثيليّة

الأَمثلة:

١ ـ عادَ السَّيْفُ إلى قِرَابِهِ، وحَلَّ اللَّيْثُ منيعَ غابه.

(لمجاهد عاد إلى وطنه بعد سفر)

٢ ـ قال المتنبي:

وَمَنْ يَكُ ذا فَمٍ مُرٍّ مَريضٍ ... يَجِدْ مُرًّا بهِ الْمَاءَ الزُّلَالَا

(لمَن لم يُرزق الذَّوق لفَهْم الشعر الرائع)

٣ ـ قطعَتْ جَهيزةُ قَوْلَ كلِّ خَطيب.

(لمَن يأتي بالقول الفَصْل)

---

(١) السراب: ما تراه نصف النهار كأنه ماء.

(٢) معتصم: أي مستمسك بالظلام متحصن به.

(٣) العقال: قيد الدابة.

(٤) الدجن: الغيم يملأ أقطار السماء، واللجم: جمع لجام.

البحث:

حينما عاد الرجل العامل إلى وطنه لم يَعُد سيف حقيقيّ إلى قرابه، ولم يَنزِل أَسَدٌ حقيقيّ إلى عرِينه، وإذاً كل تركيب من هذين لم يستعمل في حقيقته، فيكون استعماله في عوْدة الرجل العامل إلى بلده مجازاً، والقرينة حاليّة، فما العلاقة بين الحالين يا ترى، حالِ رجوع الغريبِ إلى وطنه، وحال رجوع السيف إلى قِرَابه؟ العلاقة المشابهة. فإن حال الرجل الذي نزح عن الأوطان عاملًا مجِدًّا ماضياً في الأمور ثم رجوعه إلى وطنه بعد طول الكدّ، تشْبه حال السيف الذي استُلّ للحرب والجِلاد حتى إذا ظفِر بالنصر عاد إلى غِمْده. ومثل ذلك يقال في: «وحلّ الليثُ مَنِيع غابهِ».

وبيت المتنبي يدل وضْعهُ الحقيقيّ على أن المريض الذي يصاب بمرارة في فمه إذا شربَ الماء العذبَ وجده مُرًّا، ولكنه لم يستعمله في هذا المعنى بل استعمله فيمن يَعيبون شِعْرَه لعيْب في ذوقهم الشعريّ. وضعْف في إدراكهم الأدبيّ، فهذا التركيب مجاز قرينته حاليّة، وعلاقته المشابهة، والمشبّه هنا حال المُولَعين بذمه والمشبّه به حال المريض الذي يجد الماء الزلال مرًّا.

والمثال الثالث مَثلٌ عربيٌ، أصلُهُ أن قوماً اجتمعوا للتشاور والخطابة في الصلح بين حييْن قَتلَ رجل من أحدهما رجلًا من الحي الآخر، وإنهم لكذلك إذا بجارية تُدْعى جَهيزَة أقبلت فأنبأتهم أنّ أولياء المقتول ظَفِرُوا بالقاتل فقتلوه، فقال قائل منهم: «قَطَعَتْ جَهيزَةُ قَوْلَ كلِّ خَطِيب»، وهو تركيب يُتَمَثلُ به في كل موطن يؤتى فيه بالقول الفصْل.

فأنت ترى في كل مثال من الأمثلة السابقة أنّ تركيباً استعمل في غير معناه الحقيقيّ، وأنّ العلاقة بين معناه المجازي ومعناه الحقيقيّ هي المشابهة. وكل تركيب من هذا النوع يُسمّى استعارة تمثيلية[١].

القاعدة

(٢١) الاستعارةُ التمثيلية تركيبٌ اسْتُعْمِلَ في غير ما وُضِعَ له لِعلاَقَةِ المشابَهةِ مَعَ قَرينَةٍ مَانِعةٍ مِنْ إرادةِ مَعْناهُ الأصْليّ.

---

(١) لا بد أن يكون كل من المشبه والمشبه به في الاستعارة التمثيلية صورة منتزعة من متعدد كما تراه واضحاً في الأمثلة.

نَمُوذَجٌ

١ ـ من أمثال العرب:

قَبْلَ الرِّماءِ تُمْلأُ الْكنَائِن[1] (إذا قُلْتَه لِمَن يريد بناء بيت مثلاً قبل أن يتوافر لديه المال).

٢ ـ أنت ترقُمُ على الماءِ (إذا قلته لِمَن يلِحُّ في شأن لا يمكن الحصولُ منه على غاية).

الإجابة

١ ـ شُبِّهَتْ حال مَن يريد بناء بيت قبل إعداد المال له، بحال مَن يريد القتال وليسَ في كِنانته سهام، بجامع أن كلاً منهما يتعجّل الأمر قبل أن يُعِدَّ له عُدتَهُ، ثم استعير التركيب الدال على حال المشبّه به للمشبّه على سبيل الاستعارة التمثيلية، والقرينة حاليّة.

٢ ـ شُبِّهت حالُ مَن يُلِحُّ في الحصول على أمر مستحيل، بحال مَن يرقُمُ على الماءِ، بجامعِ أن كلاً منهما يعْملُ عملا غيْر مُثْمِرٍ، ثم استعير التركيب الدال على المشبّه به للمشبّه على سبيل الاستعارة التمثيلية، والقرينة حاليّة.

تمرينات

(١)

إفرض حالًا تجْعَلُها مشبهاً لكُلٍّ من التراكيب الآتية، ثم أجْرِ الاستعارة في خمسة تراكيب.

١ ـ إنَّك لا تَجْني من الشَّوْكِ العنبَ.
٢ ـ أنت تنْفُخُ في رَمَادٍ.
٣ ـ لا تنْثُرِ الدُّر أمام الخنازير.
٤ ـ يبتغي الصَّيْدَ فِي عِرِّيسَة الأَسد[3].
٥ ـ لكل صارم نبْوَة[2].
٦ ـ لا يُلْدَغُ المؤمنُ من جُحْرٍ مَرَّتيْنِ.
٧ ـ الْموْرِدُ الْعَذْبُ كثير الزِّحام.
٨ ـ اعْقِلْهَا وتوَكلْ[4].

---

(١) الرماء: رمي السهام، والكنائن جمع كنانة وهي وعاء السهام.

(٢) النبوة: عدم قطع السيف.

(٣) العريسة: مأوى الأسد.

(٤) الضمير في اعقلها يعود على الناقة: أي قيِّدها ثم توكل على الله، أما أن تتركها بلا عقال ثم تتوكل على الله في حفظها فلا يجوز.

٩ ـ أخذ القَوْسَ باريها.
١٠ ـ إستسْمَنْت ذا وَرَم.
١١ ـ أنت تَضرب في حديد بارد.
١٢ ـ هو يَبني قصوراً بغير أساس.
١٣ ـ لا بُدَّ لِلمصدُور أن يَنفُث[٢].
١٤ ـ لكلِّ جوادٍ كَبْوة[٤].
١٥ ـ أنتَ تحصُدُ ما زَرَعْتَ.
١٦ ـ ألْقِ دَلْوَكَ في الدِّلاءِ.
١٧ ـ يُخرِّبون بيوتَهم بأيديهم.
١٨ ـ إنَّ الحديد بالحديد يُفلحُ[١].
١٩ ـ ومَن قصَد البَحرَ استقلَّ السَّواقيا[٣].
٢٠ ـ أحَشفاً وسوء كِيلة[٥].

(٢)

بيِّن نوع كل استعارة من الاستعارات الآتية وأجرها:

١ ـ قال المتنبي:

غـاض الْوفَـاءُ فـمـا تـلقـاهُ فِـي عِـدَةٍ ... وأعْوز الصِّدْقُ فِي الأخبار والقسمِ[٦]

٢ ـ قال البحتري:

إذا مـــا الْجُــرْحُ رُمَّ عــلَى فــسَــادٍ ... تـبَـيَّـنَ فِـيـهِ إهـمـال الـطَّـبـيـبِ[٧]

٣ ـ وقال الشاعر:

مـتـى يـبـلغُ الـبُـنْـيـانُ يـوْمـاً تـمـامـهُ ... إذا كُـنْـتَ تـبـنِـيـهِ وغـيْـرُكَ يـهْـدِمُ؟

٤ ـ وقال تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.

٥ ـ وقال تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾.

٦ ـ وقال البارودي[٨]:

---

(١) يفلح: يقطع.
(٢) المصدور: المصاب بمرض في صدره، والنفث النفخ، ورمى النفاثة.
(٣) السواقي: الأنهار الصغيرة.
(٤) كبوة الجواد: عثرته.
(٥) الحشف: رديء التمر، والكيلة اسم بمعنى الكيل.
(٦) غاض الماء: قلّ ونقص، والعدة: الوعد، وأعوز: عز وقل.
(٧) رمّ الجرح: أصلح وعولج.
(٨) هو محمود سامي البارودي حامل لواء النهضة الشعرية الحديثة، شعره يشاكل شعر الفحول في صدر العصر العباسي، مات سنة ١٣٢٢هـ.

في لُجَّةِ البَحْرِ ما يُغْنِي عَنِ الوَشَلِ[١]!

٧ ـ وقال آخر:

وَمَــن مَـلك الـبـلادَ بـغـيْـر حـرْبٍ   يــهــونُ عــلَيْــهِ تــسْــلـيــمُ الــبــلاد

٨ ـ وقال:

أضـاءتْ لـهـمْ أحْـسَـابُـهُـم ووجُـوهُـهُـمْ   دُجَى الليل حَتى نَظَّمَ الْجَزْعَ ثاقِبُهْ[٢]

٩ ـ وقال الشاعر:

وَمَنْ خَطبَ الْحَسْناء لمْ يُغْلِه الْمَهْرُ[٣]

١٠ ـ وقال المتنبي:

إلـيْـكِ فـإنّـي لَـسـتُ مِـمّـنْ إذا اتّـقـى   عِضَاضَ الأفاعي نام فوْق العقَارب[٤]

١١ ـ أنت كمستبضع التمرِ إلى هَجر[٥].

١٢ ـ وقال المتنبي:

وتُـحْـيـي لـهُ الـمـالَ الـصّـوارمُ والْـقـنـا   ويـقْـتُلُ مـا تُـحـيـي الـتّـبَـسُّـم والْـجـدَا[٦]

١٣ ـ وقال يخاطب سيف الدولة:

ألا أيُّـهـا الـسّـيـفُ الـذي لـيـس مُـغْـمَـداً   ولَا فـيـهِ مُـرْتـابٌ ولا مِـنْـه عـاصـم

١٤ ـ لاَ يضُرُّ السحابَ نُباح الكلاب.

١٥ ـ لا يَحمد السيفُ كلُّ منْ حَملَه[٧].

---

(١) اللجة: معظم الماء، والوشل: القليل.

(٢) الجزع: الخرز، وتنظيم الجزع ضمه في سلك، وثقب الشيء: أوجد به ثقباً.

(٣) لم يغله المهر: أي لم يجده باهظاً.

(٤) إليك: أي كفى، يقول كفى عني فإني لست ممن إذا خاف من الهلاك صبر على الذل، فجعل الأفاعي مثلاً للهلاك لأنها تقتل دفعة واحدة، والعقارب مثلاً للذل لأنها إذا لم تقتل تكرر لسعها فكانت أطول عذاباً.

(٥) هجر: قرية باليمن تشتهر بكثرة تمرها.

(٦) الصوارم: السيوف، والقنا: الرماح، والجدا: العطاء، أي أن السيوف والرماح تجمع له غنائم الأعداء، والكرم يفرق ما جمعت.

(٧) أي أن السيف لا يحمد كل حامل له فقد يكون حامله جباناً أو جاهلاً بضروب القتال.

١٦ ـ وذِي رحِمٍ قَلَّمْتُ أظْفارَ ضِغْنِهِ
بِحِلْمِيَ عنْهُ وَهُو لَيْس لَهُ حِلْمُ[1]

١٧ ـ لا تَعْدَمُ الْحسْناءُ ذاماً[2].

١٨ ـ ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾.

(٣)

اجعل التشبيهات الضمنيةَ الآتية استعاراتٍ تمثيليةً بحذف المشبّه وفرْض حال أُخرى مناسبة تجعلها مشبّهة:

١ ـ قال المتنبي:

ولَمْ أرْجُ إلّا أهْلَ ذاك ومَنْ يُرِدْ مَوَاطِرَ مِنْ غيْر السّحائبِ يَظْلم[3]

٢ ـ فإن تزعم الأمْلاكُ أنك مِنهمُ فَخاراً فإنّ الشّمسَ بعضُ الكَواكب

٣ ـ وقال:

خُذْ ما تَراهُ وَدَعْ شيْئاً سَمِعْتَ بِهِ في طَلْعةِ الْبَدْر ما يُغْنِيك عنْ زُحَلِ[4]

٤ ـ وقال:

لعلّ عتْبَكَ مَحمُودٌ عواقِبُهُ وَرُبما صحّتِ الأجْسَام بالعِلل

٥ ـ وقال بعضهم في شريف لا يكاد يجد قوتاً:

أيشْكُو لئيمُ القوم كظًّا وبطْنَةً وَيَشْكُو فتى الْفِتْيانُ مسّ سُغُوبِ[5]

لأمرٍ غدا ما حوْل مَكّة مقفِراً جدِيباً وباقي الأرْض غيْرُ جديب[6]

---

(١) الضغن: الحقد.

(٢) الذام: العيب.

(٣) المواطر: جمع ماطر، يقول أنت أهل لما رجوته منك، وأنا أعلم أني لم أضع رجائي في غير محله فلست كمن يرجو المطر من غير السحاب.

(٤) امدحه بما تراه منه، واترك ما سمعت به من شرف أجداده؛ فإن مَن ظهر له البدر استغنى بنوره عن زحل: وهو نجم بعيد خفي.

(٥) الكظ والبطنة: الامتلاء الشديد من الطعام، والسغوب: الجوع.

(٦) مقفراً: خالياً من النبات. والجديب: المكان لا خصب فيه.

(٤)

اجعل الاستعارات التمثيلية الآتية تشبيهات ضمنية بذكر حال مناسبة تجعلها مشبهة قبل كل استعارة:

١ ـ يمشي رُوَيْداً ويكُونُ أوّلا[١].

٢ ـ رضيتَ من الغنيمة بالإياب[٢].

٣ ـ أنت تضيءُ للناس وتحْتَرِقُ.

٤ ـ كَفى بك داءً أن تَرَى المَوتَ شَافياً.

٥ ـ ليس التّكحُّلُ في العيْنَين كالكَحَل[٣].

٦ ـ ولا بُدَّ دُون الشّهْدِ مِنْ إبرِ النّحْل[٤].

٧ ـ هو ينْفُخُ في غير ضرَم[٥].

٨ ـ أنت تحْدو بلاَ بعير[٦].

(٥)

اذكر لكل بيت من الأبيات الآتية حالاً يُستشهد فيها بهِ ثم أجرِ الاستعارة وبيْن نوعها:

١ ـ قال المتنبي:

ومَنْ يَجْعَلِ الضِّرْغامَ لِلصيْدِ بَازَهُ تَصَيَّدَهُ الضِّرْغَامُ فيما تَصَيَّدَا[٧]

---

(١) يضرب للرجل يدرك حاجته في تؤدة ودعة.

(٢) مثل يضرب عند القناعة بالسلامة.

(٣) التكحل: وضع الكحل في العين، والكحل: سواد الجفون خلقة، أي ليس المصنوع كالمطبوع.

(٤) الشهد: العسل في شمعها، وإبرة النحل: شوكتها، يقول مَن طلب الشهد لم يصل إليه حتى يقاسي لسع النحل.

(٥) الضرم: الجمر.

(٦) الحدو: سوق الإبل والغناء لها.

(٧) الضرغام: الأسد يقول: مَن اتخذ الأسد بازاً يصيد به لم يأمن أن يصيده الأسد.

٢ ـ أرى خَلَل الرَّماد وميض نارٍ
ويُوشِكُ أن يكون لها ضرامُ[١]

٣ ـ قدِّر لِرجْلِك قَبْل الخطْوِ موْضِعها
فمن علا زلقاً عن غِرَّةٍ زَلجا[٢]

٤ ـ وقال المتنبي:

وفي تعبٍ مَنْ يحْسُدُ الشَّمْسَ ضَوءها ويجهدُ أن يأتِي لها بِضريب[٣]

٥ ـ وقال البوصيري:

قدْ تُنْكر العينُ ضوء الشمس مِن رَمَدٍ ويُنْكرُ الفمُ طعْمَ الماءِ من سقم[٤]

٦ ـ وقال المتنبي:

إذا اعْتاد الفتى خوْضَ المنايا فأيْسرُ ما يمُر بهِ الوُحولُ[٥]

٧ ـ وقال:

ما الَّذِي عِنْده تُدارُ المنايا كالَّذِي عِنده تُدارُ الشَّمولُ[٦]

٨ ـ قال كُثيِّر عزَّة[٧]:

هنيئاً مريئاً غيرَ داءٍ مُخامرٍ لِعزَّة منْ أعْراضِنا ما اسْتحلَّتِ[٨]

---

(١) الخلل منفرج ما بين الشيئين، ووميض النار لمعانها، والضرام: اشتعال النار في الحطب.

(٢) الزلق: الأرض الملساء التي لا تثبت فيها قدم، والغرة: الغفلة، وزلج زلّ وسقط.

(٣) الضريب: المثيل، يمثل الشاعر ممدوحه بالشمس ويمثل حساده بمَن يريد أن يأتي للشمس بنظير فهو في تعب دائم، لأنه يجهد نفسه في طلب المحال.

(٤) تنكر: تجهل، والسقم: المرض.

(٥) يقول: إذا تعوّد الإنسان خوض معارك الحرب لم يبالِ الوحول، يريد أن الوحل لا يمنعه من السفر لأنه متعود ما هو أشد من ذلك.

(٦) الشمول: الخمر، أي ليس من يشتغل بالحرب كمن يشتغل باللهو.

(٧) شاعر متيّم مشهور من أهل الحجاز، وفد على عبد الملك بن مروان فازدرى منظره إلى أن عرف أدبه فرفع مجلسه، وأخباره مع عزة بنت جميل كثيرة، وكان عفيفاً في حبه، توفي بالمدينة سنة ١٠٥هـ.

(٨) الداء المخامر: الدفين المستتر، أي أن ما استحلته عزة من ثلب أعراضنا يحل لها حال كونه هنيئاً غير مسبب لها داءً ولا ألماً.

٩ ـ زعم الفرزدق[١] أن سيقتُل مِرْبَعاً ... أَبْشِرْ بِطول سَلامةٍ يا مِرْبعُ[٢]

١٠ ـ ولاَ بُدَّ لِلْماءِ في مِرْجَلٍ ... عَلَى النّارِ مُوقَدَةً أن يفُورا[٣]

١١ ـ إذا قالتْ حذامِ فَصدِّقُوها ... فإنَّ القَوْل ما قالتْ حذامِ[٤]

١٢ ـ لَقدْ هُزِلتْ حتَّى بدا مِن هُزالِها ... كُلاها وحتى سَامَها كلُّ مُفْلِسِ[٥]

(٦)

أ ـ هاتِ استعارة تمثيلية تضْربها مثلاً لمَن يكْسل ويطمع في النجاح.

ب ـ هاتِ استعارة تمثيلية تضْربها مثلاً لمَن ينفق أموالَه في عمل لا ينتج.

جـ ـ هاتِ استعارة تمثيلية تضْربها مثلاً لمَن يكتب ثم يمحو ثم يكتب ثم يمحو.

د ـ هاتِ مثلين عربيين وأجرِ الاستعارة التمثيلية في كل منهما.

(٧)

اشرح قول المتنبي بإيجاز، واذكر ما أعجبك فيه من التصوير البياني:

رمانِي الدَّهْرُ بالأرْزاءِ حتى ... فُؤادي في غشاءٍ مِنْ نِبالِ[٦]

فصِرْتُ إذا أصابتْني سِهامٌ ... تكسَّرتِ النِّصالُ علَى النِّصالِ[٧]

---

(١) هو أبو فراس همام بن غالب. تغلب على شعره فخامة الألفاظ. وكان بينه وبين جرير مهاجاة ومنافسة مات سنة ١١٠هـ.

(٢) مربع: اسم رجل، وفي البيت من السخرية والهزء بالفرزدق ما فيه.

(٣) المرجل: القدر.

(٤) حذام: امرأة من العرب اشتهرت بصدق الحدس.

(٥) هزلت: أي ضعفت ونحف جسمها والضمير للشاة، والكلى جمع كلية، وسامها أراد شراءها، والمفلس: مَن لم يبقَ له مال.

(٦) الأرزاء: المصائب، والغشاء: الغلاف، والنبال: السهام العربية، يقول: كثرت علي مصائب الدهر حتى لم يبقَ من قلبي موضع إلا أصابه سهم منها فصار في غلاف من السهام.

(٧) النصال: حدائد السهام، يقول: صرت بعد ذلك إذا أصابتني سهام من تلك المصائب لا تجد لها موضعاً تنفذ منه إلى قلبي، وإنما تقع نصالها على نصال السهام التي قبلها فتتكسر عليها.

(٥) بلاغة الاستعارة

سبق لك أن بلاغة التشبيه آتية من ناحيتين: الأولى تأليف ألفاظه، والثانية ابتكار مشبَّه به بعيد عن الأذهان، لا يجول إلا في نفس أديب وهب الله له استعداداً سليماً في تعرُّف وجوه الشَّبه الدقيقة بين الأشياء، وأودعه قدْرةً على ربط المعاني وتوليدِ بعضها من بعض إلى مدًى بعيدٍ لا يكاد ينتهي.

وسرُّ بلاغة الاستعارة لا يتعدّى هاتين الناحيتين، فبلاغتها من ناحية اللفظ أنَّ تركيبها يدل على تناسي التشبيه، ويحملك عمداً على تخيُّل صورة جديدة تُنْسيك رَوْعَتُها ما تضمَّنه الكلام من تشبيه خفي مستور.

انظر إلى قول البحتري في الفتح بن خاقان:

يسْمو بِكف عَلَى العافين حانِيَةٍ تَهْمِي وطَرْفٍ إلى العلياءِ طمَّاحِ[١]

ألست ترى كفه وقد تمثَّلتْ في صورة سحابة هتَّانة تصُبُّ وبلها على العافين السائلين، وأنَّ هذه الصورة قد تملَّكت عليك مشاعرك فأذهلتْكَ عما اختبأ في الكلام من تشبيه؟

وإذا سمعتَ قوله في رثاء المتوكل وقد قُتلَ غيلةً:

صريعٌ تقاضاهُ الليالي حُشاشةً يجود بها والموتُ حُمْرٌ أظافِره[٢]

فهل تستطيع أن تُبعِد عن خيالك هذه الصورة المخيفة للموت، وهي صورة حيوان مفترس ضرَّجتْ أظافره بدماءِ قتلاه؟

لهذا كانت الاستعارة أبلغ من التشبيه البليغ؛ لأنه وإن بنى على ادعاءِ أن المشبَّه والمشبَّه به سواءٌ لا يزال فيه التشبيه منْوِيًّا ملحوظاً بخلاف الاستعارة فالتشبيه فيها مَنْسِيٌّ مجحُودٌ؛ ومن ذلك يظهر لك أن الاستعارة المرشحةَ أبلغُ من المطْلَقَةِ، وأن المطلقة أبلغ من المجرّدة.

---

(١) العافين: سائل المعروف، وحانية: عاطفة شفيقة، وتهمي: تسيل، والطرف: البصر، والطماح: الذي يغالي في طلب المعالي والسمي وراءها.

(٢) الصريع: المطروح على الأرض، وتقاضاه أصله تتقاضاه حذفت إحدى التاءين؛ وهو من قولهم تقاضى الدائن منه إذا قبضه، والحشاشة: بقية الروح في المريض والجريح؛ يصفه بأنه ملقى على الأرض يلفظ النفس الأخير من حياته.

أما بلاغةُ الاستعارة من حيث الابتكارُ وروْعَة الخيال، وما تحدثه من أثر في نفوس سامعيها، فمجالٌ فسيحٌ للإبداع، وميدان لتسابق المجيدين من فُرسان الكلام.

انظر إلى قوله عزّ شأنه في وصف النار: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾﴾[1]؟ ترتسم أمامك النار في صورة مخلوقٍ ضخمٍ بطّاشٍ مكفهرّ الوجه عابسٍ يغلي صدرُه حقداً وغيظاً.

ثم انظر إلى قول أبي العتاهية في تهنئة المهدي بالخلافة:

أتَتْهُ الخِلافَةُ مُنْقادةً ... إليهِ تُجَرِّر أذيالها

تجد أنّ الخِلافة غادة هيفاءُ مُدَلَّلَةٌ ملولٌ فُتن الناس بها جميعاً، وهي تأبى عليهم وتصدُّ إعراضاً، ولكنها تأتي للمهدي طائعة في دلال وجمال تجرُّ أذيالها تيهاً وخَفْراً.

هذه صورة لا شك رائعة أبْدع أبو العتاهية تصويرها، وستبقى حُلوة في الأسماع حبيبةً إلى النفوس ما بقي الزمان.

ثم اسمع قول البارودي:

إذا اسْتَلَّ مِنّا سيِّدٌ غَرْبَ سَيْفِهِ ... تفزّعتِ الأفلاكُ والْتفت الدهر[2]

وخبرني عما تحسُّ وعما ينتابك من هول مما تسمع، وقل لنا كيف خطرت في نفسك صورة الأجرام السماوية العظيمة حيّةً حساسة تَرتعِد فَزَعاً وَوَهَلاً، وكيف تصورتَ الدهر وهو يلتفت دهشاً وذهولاً؟

ثم اسمع قوله في منفاه وهو نهْبُ اليأس والأمل:

أسمعُ في نفسي ذبيبَ المُنى ... وألْمَحُ الشُبْهَةَ في خاطِري

تجد أنه رسم لك صورة للأمل يتمشى في النفس تمشياً مُحسًّا يسمعه بأذنه. وأن الظنون والهواجس صار لها جسم يراه بعينه؛ هل رأيت إبداعاً فوق هذا في تصويره الشك والأمل يتجاذبان؟ وهل رأيت ما كان للاستعارة البارعة من الأثر في هذا الإبداع؟

ثم انظر قول الشريف الرضي في الوداع:

---

(١) تميز غيظاً: تتقطع غضباً على الكفرة، وهو تمثيل لشدة اشتعالها بهم، والفوج: الجماعة، والاستفهام في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾؟ للتوبيخ.

(٢) غرب السيف: حده، وتفزعت: ذعرت أي أصابها الذعر وهو الخوف.

نَسْرِقُ الدَّمْعَ في الجُيوبِ حَيَاءً وبِنَا ما بِنَا مِنَ الأَشْواقِ

هو يسرق الدمع حتى لا يُوصَم بالضعف والخَور ساعةَ الوداع، وقد كان يستطيع أن يقول: «نَسْتُر الدمع في الجيوب حياءً»؛ ولكنه يريد أن يسمو إلى نهاية المُرْتقى في سحر البيان، فإن الكلمة «نسْرِقُ» ترسُم في خيالك صورة لشدة خوفه أن يظهر فيه أثرٌ للضعف، ولمهارته وسرعته في إخفاءِ الدمع عن عيون الرقباء. ولولا ضِيق نطاق هذا الكتاب لعرضنا عليك كثيراً من صور الاستعارة البديعة، ولكنا نعتقد أن ما قدّمناه فيه كفايةٌ وغَناءٌ.

(٦) المجازُ المرسل

الأمثلة:

١ ـ قال المتنبي:

لَهُ أَيَادٍ عَلَيَّ سَابِغَةٌ أُعَدُّ مِنْها وَلا أُعَدِّدُها[١]

٢ ـ وقال تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا﴾.

٣ ـ كَمْ بَعَثْنَا الْجَيْشَ جرّا راً وَأَرْسَلْنا الْعُيُونَا[٢]

٤ ـ وقال تعالى على لسان نوح عليه السلام: ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ﴾.

٥ ـ وقال تعالى: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ﴾.

٦ ـ وقال تعالى على لسان نوح عليه السلام: ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾﴾.

٧ ـ وقال تعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾﴾.

٨ ـ وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾﴾.

---

(١) يقول: إن للممدوح علي نعماً شاملة، فوجودي يعد من نعمه، ولا أستطيع أن أحصر هذه النعم.

(٢) الجيش الجرار: الثقيل السير لكثرته.

البحث:

عرفت أن الاستعارة من المجاز اللغوي، وأنها كلمةٌ استعملت في غير معناها لعلاقة المشابهة بين المعنيين الأصليّ والمجازي، ونحن نطلب إليك هنا أن تتأمل الأمثلة السابقة، وأن تبحث فيما إذا كانت مشتملة على مجاز.

انظر إلى الكلمة «أياد» في قول المتنبي؛ أتظن أنه أراد بها الأيدي الحقيقية؟ لا. إنه يريد بها النّعم، فكلمة أياد هنا مجاز، ولكن هل ترى بين الأيدي والنعم مشابهة؟ لا. فما العلاقة إذاً بعد أن عرفت فيما سبق من الدروس أن لكل مجاز علاقة، وأن العربي لا يُرسل كلمةً في غير معناها إلا بعد وجود صلة وعلاقة بين المعنيين؟ تأمل تجد أنّ اليد الحقيقية هي التي تمنح النعم فهي سبب فيها، فالعلاقة إذاً السببية وهذا كثير شائع في لغة العرب.

ثم انظر إلى قوله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا﴾؛ الرزق لا ينزل من السماءِ ولكن الذي ينزل مطرٌ ينشأ عنه النبات الذي منه طعامُنا ورزقُنا، فالرزق مسبب عن المطر، فهو مجاز علاقته المسببية. أما كلمة «العيون» في البيت فالمراد بها الجواسيس، ومن الهيِّن أن تفهم أن استعمالها في ذلك مجازيٌّ، والعلاقة أن العين جزءٌ من الجاسوس ولها شأن كبير فيه فأُطلق الجزء وأُريد الكل: ولذلك يقال إن العلاقة هنا الجزئية.

وإذا نظرت في قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ﴾ رأيت أن الإنسان لا يستطيع أن يضع إصبعهُ كلها في أُذنه، وأن الأصابع في الآية الكريمة أُطلقت وأُريد أطرافها فهي مجاز علاقته الكلية.

ثم تأمل قوله تعالى: ﴿وَءَاتُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ تجد أن اليتيم في اللغة هو الصغير الذي مات أبوه، فهل تظن أن الله سبحانه يأمر بإعطاءِ اليتامى الصغار أموال آبائهم؟ هذا غير معقول، بل الواقع أن الله يأمر بإعطاءِ الأموال مَن وصلوا سِنّ الرُشد بعد أن كانوا يتامى، فكلمة اليتامى هنا مجاز لأنها استعملت في الراشدين والعلاقة اعتبار ما كان.

ثم انظر إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ تجد أن فاجراً وكفّاراً مجازان لأن المولود حين يولد لا يكون فاجراً ولا كفّاراً، ولكنه قد يكون كذلك بعد الطفولة فأُطْلِق المولود الفاجر وأُريد به الرّجلُ الفاجرُ والعلاقة اعتبار ما يكون.

أما قوله تعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾﴾ والأمر هنا للسخرية والاستخفاف، فإننا

نعرف أن معنى النادي مكان الاجتماع، ولكن المقصود به في الآية الكريمة مَن في هذا المكان من عشيرتِهِ ونُصرائه، فهو مجاز أُطلق فيه المحل وأُريد الحال، فالعلاقة المحلية.

وعلى الضد من ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ۝﴾ والنعيم لا يحُلُّ فيه الإنسان لأنه معنى من المعاني، وإنما يحلُّ في مكانه، فاستعمال النعيم في مكانه مجاز أُطلق فيه الحالّ وأُريد المحل فعلاقته الحالية.

وإذا ثبت كما رأيت أنَّ كل مجاز مما سبق كانت له علاقة غير المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي، فاعلم أن هذا النوع من المجاز اللغوي يسمى **المجاز المرسل**[١].

القواعد

(٢) المجازُ الْمُرْسَل كلمة اسْتُعْمِلَتْ في غَيْرِ مَعناها الأَصْليّ لعلاقة غير المشابهةِ مَعَ قرينةٍ مانعةٍ من إرادةِ المعنى ٱلأَصْليّ[٢].

(٢٣) مِنْ عَلاقات المجاز الْمُرْسَل:

السَّبَبيَّة - المسَبَّبيَّة - الْجُزئيةُ - الكليَّةُ - اعْتبَارُ ما كان - اعتبارُ ما يكون - الْمَحَلِّيَّة - الحالِّيَّةُ.

نَمُوذَج

١ - شَرِبْتُ ماء النِّيل.

٢ - ألقَى الخطيب كلمة كان لها كبيرُ الأثر.

٣ - واسْأَل القَرْيَةَ التي كُنّا فيها.

---

(١) المرسل: المطلق، وإنما سمي هذا المجاز مرسلاً لأنه أطلق فلم يقيد بعلاقة خاصة.

(٢) ومن المجاز المرسل نوع يقال له المجاز المرسل المركب، وهو كل تركيب استعمل في غير ما وضع له لعلاقة غير المشابهة، وذلك كالجمل الخبرية المستعملة في الإنشاء للتحسُّر وإظهار الحزن كما في قول ابن الرومي:

بانني شبابي فعز مطلبه ... وانبت بيني وبينه نسبه

فهذا البيت مجاز مرسل مركب علاقته السببية والقرينة حالية، فإن ابن الرومي لا يريد الاخبار، ولكنه، يشير إلى ما استحوذ عليه من الهم والحزن بسبب فراق الشباب.

٤ ـ يَلْبَسُ المصريون القطنَ الذي تُنتِجُهُ بلادُهم.

٥ ـ والأَعْوَجِيَّةُ مِلءَ الطرْقِ خَلْفَهُمْ وَالمَشْرَفِيةُ مِلءَ الْيَوْم فَوْقَهُمْ[1]

٦ ـ سأوقد نارًا

الإجابة

١ ـ ماءَ النيل يرادُ بعضُ مائه فالمجاز مرسل علاقته الكلية.

٢ ـ الكلمة يراد بها كلامٌ فالمجاز مرسل علاقته الجزئية.

٣ ـ القرية يراد بها أهلها فالمجاز مرسل علاقته المحلية.

٤ ـ القطن يراد به نسيجٌ كان قطناً فالمجاز مرسل علاقته اعتبار ما كان.

٥ ـ ملءَ اليوم يراد به ملء الفضاء الذي يشرق عليه النهار فالمجاز مرسل علاقته الحالّية.

٦ ـ ناراً يراد به حطب يؤول إلى نار فالمجاز مرسل علاقته اعتبار ما يكون.

تمرينات

(١)

بيّن علاقة كل مجاز مرسل تحته خط مما يأتي:

١ ـ قال ابن الزيّات[2] في رثاءِ زوْجه:

أَلا مَنْ رأى الطِّفْلَ الْمُفارقَ أُمَّه بُعيدَ الْكَرى عَيْناهُ تنسكِبان

٢ ـ ويُنسب إلى السموءل:

تَسيلُ على حدّ السُّيوفِ نُفوسُنا وَلَيْسَ على غَيْر السُّيوفِ تَسيلُ

---

(١) الأعوجية: الخيل المنسوبة إلى أعوج وهو فرس كريم لبني هلال، والمشرفية: السيوف، وملء في الشطرين منصوب على الحال، وخبر المبتدأ في الشطر الأول الظرف خلفهم، وفي الشطر الثاني الظرف فوقهم؛ يصف المتنبي إحاطة جيوش سيف الدولة بأعدائه.

(٢) هو أبو جعفر محمد بن عبد الملك، وإنما اشتهر بابن الزيات لأن جده كان يجلب الزيت من مواضعه إلى بغداد، كان أديباً شاعراً بليغاً، وقد توزّر للمعتصم ولابنه الواثق من بعده، وتوفي سنة ٢٢٣هـ.

٣ ـ أَلِمّا على مَعْنٍ وَقولاً لِقبرهِ سَقتْك الغواديَ مرْبعاً ثُمّ مَرْبعًا[١]

٤ ـ لاَ أرْكبُ البَحرَ إنّي أخافُ منهُ المَعَاطبْ[٢]

طينٌ أنا وَهْوَ ماءٌ وَالطِّينُ فِي المَاءِ ذائبْ

٥ ـ وما مِنْ يدٍ إلا يَدُ اللهِ فوْقَها ولا ظَالِم إلّا سيُبْلى بأظْلَمِ

٦ ـ وقال المتنبي في دم كافور:

إنّي نزلْتُ بكَذابينَ ضيْفُهمُ عَن القِرَى وَعَن الترْحال مَحْدُودُ[٣]

٧ ـ وقال:

رأيْتُكَ مَحْضَ الحِلْمِ في مَحْض قُدْرَةٍ وَلو شِئت كان الحلْمُ منْكَ المُهنّدا[٤]

(٢)

بيّن كل مجاز مرسَل وعلاقته فيما يأتي:

١ ـ سَكَنَ ابنُ خَلْدُون مِصْرَ.

٢ ـ من الناس مَن يأكل القمح ومنهم مَن يأكل الذرةَ والشعير.

٣ ـ إنّ أمير المؤمنين نَثَرَ كنانته.

٤ ـ رَعَيْنا الغَيْث.

٥ ـ ﴿فَفِي رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١٠٧﴾.

٦ ـ حَمَى فلان غَمامَةَ وَاديه (أي عُشْبه).

٧ ـ قال تعالى في شأن موسى عليه السلام: ﴿فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾.

---

(١) ألما: أنزلا به، الغوادي: جمع غادية وهي السحابة تنشأ غدوة أو مطرة الغداة. والأحسن في مربع هنا أن تكون اسماً مأخوذاً من أربعة؛ والمعنى سقتك الغوادي أربعة أيام متوالية ثم أربعة أخرى متوالية يدعو بكثرة السقيا للقبر.

(٢) المعاطب: المهالك.

(٣) محدود: أي ممنوع، يعني أن الذين نزل بساحتهم كذّابون في وعودهم، ضيفهم ممنوع عن الطعام لبخلهم، وهم يمنعونه الرحيل حتى يظن الناس فيهم الكرم.

(٤) المحض: الخالص، والمهند: السيف الهندي، والمراد به هنا الحرب؛ يقول: رأيتك خالص الحلم في قدرة خالصة لا يشوبها عجز، ولو شئت أن تجعل الحرب مكان الحلم لفعلت.

٨ ـ وقال تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ (أي هلال الشهر).

٩ ـ سأجازيكَ بما قدَّمَتْ يَدَاكَ.

١٠ ـ وقال تعالى: ﴿وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ (أي صَلُّوا).

١١ ـ وقال تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾.

١٢ ـ وقال تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ﴾.

١٣ ـ أَذَلَّ فلانٌ ناصية فلان[1].

١٤ ـ سقَت الدَّلْوُ الأَرْضَ.

١٥ ـ سال الوادي.

١٦ ـ قال عنترة:

فشككْتُ بالرُّمحِ الأَصَمِّ ثيابَهُ ... لَيْسَ الكريم على القنا بمُحَرَّمِ[2]

١٧ ـ لا تجالسوا السفهاء علَى الحُمْقِ (أي الخمر).

١٨ ـ وقال أعرابي لآخر: هل لك بيت؟ (أي زوج).

(٣)

بيِّن من المجازات الآتية ما علاقته المشابهة، وما علاقته غيرها:

١ ـ الإِسلام يحثُّ على تحرير الرِّقاب.

٢ ـ مَلِكٌ شاد لِلْكِنانةِ مجداً ... أَحْكَمَتْ وضْعَ أُسِّهِ آباؤهْ

٣ ـ تفرَّقَتْ كلمةُ القوم.

٤ ـ غاض الوفاءُ وفاضَ الغَدْر.

٥ ـ ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٨٤﴾﴾.

٦ ـ أحيا المطرُ الأَرض بعدَ مَوْتها.

---

(١) الناصية: الرأس.

(٢) الرمح الأصم: الصلب المصمت. والمراد بالثياب هنا القلب، يصف نفسه بالإقدام ويقول: إن الكريم ليس بمحرم ولا بعزيز على الرماح.

٧ - ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى﴾: (أي فيمن سيقتلون).

٨ - قرر مجلس الوزراء كذا.

٩ - بَعثتَ إليّ بحديقةٍ جلَتْ معانيها، وأُحْكِمَتْ قوافيها.

١٠ - شربتُ البُنّ.

١١ - لا تكن أُذُناً تتقبّل كل وِشاية.

١٢ - سَرَقَ اللصُّ المنزل.

١٣ - قال تعالى: ﴿إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا﴾.

(٤)

استعمل كل كلمة من الكلمات الآتية مجازاً مرسلًا للعلاقة التي أمامها:

١ - عين - الجزئية.

٢ - الشام - الكلية.

٣ - المدرسة - المحلية.

٤ - المدينة - المحلية.

٥ - الكَتان - اعتبار ما كان.

٦ - رجال - اعتبار ما يكون.

(٥)

ضع كل كلمة من الكلمات الآتية في جملتين بحيث تكون مرةً مجازاً مُرسلًا، ومرةً مجازاً بالاستعارة:

القلم - السيف - رأس - الصديق

(٦)

اشرح البيتين وبيّن ما فيهما من مجاز:

لا يغرّنك ما ترى مِنْ أُناس ... إنّ تحت الضلوعِ داءً دويّا[1]

فضعِ السَّوْطَ وارْفع السَّيْفَ حتى ... لا ترى فوقَ ظَهرِها أمويّا

---

(١) الداء الدوي: الشديد.

المَجَازُ العَقْلِيّ

الأمثلة:

١ - قال المتنبي يصف ملك الروم بعد أن هَزَمه سيفُ الدولة:

وَيَمْشِي بِهِ العُكَّازُ في الدَّيْرِ تائباً
وقد كانَ يأبى مَشْيَ أَشْقَرَ أَجْرَدا[1]

٢ - بَنَى عمرو بن العاص مدينة الفسطاط.

٣ - نهارُ الزاهدِ صائمٌ وليلُه قائم.

٤ - ازدحمت شوارعُ القاهرة.

٥ - جَدَّ جِدُّكَ وكَدَّ كِدُّكَ.

٦ - قال الْحُطيئةُ:

دَعِ المكارمَ لا ترحلْ لِبُغْيَتِها
واقْعُدْ فإنك أنتَ الطَّاعِمُ الكاسي

٧ - وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾.

٨ - وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا﴾.

البحث:

أنظر إلى المثالين الأولين تجد أن الفعل في كل منهما أُسْنِد إلى غير فاعله، فإن العكازَ لا يمشي، والأميرَ لا يبني، وإنما يسير صاحبُ العكاز، ويبني عُمَّال الأمير، ولكن لما كان العكاز سبباً في المشي والأميرُ سبباً في البناء أُسْنِد الفعل إلى كل منهما.

---

(١) العكاز: عصا في طرفها زج، وقوله مشى أشقر أجرد: أي مشى جواد أشقر أجرد، والأشقر من الخيل: الأحمر، والأجرد: القصير الشعر، يقول: إنه أقام في دير الرهبان وصار يمشي على العكاز تائباً من الحرب بعد أن كان لا يرضى مشي الجواد الأشقر، وهو أسرع الخيل عند العرب.

ثم انظر إلى المثالين التاليَيْن تجد أن الصوم أُسند إلى ضمير النهار، والقيام أُسند إلى ضمير الليل، والازدحام أُسند إلى الشوارع، مع أن النهار لا يصوم، بل يصوم مَنْ فيه، والليل لا يقوم، بل يقوم مَن فيه، والشوارع لا تزدحم، بل يزدحمُ الناس بها، فالفعل أو شِبْهُهُ في هذين المثالين أُسند إلى غير ما هو له، والذي سوَّغ ذلك الإسناد أن المسند إليه في المثالين زمانُ الفعل أو مكانه.

وفي المثال الخامس أُسند الفعلان «جَدّ» و«كدّ» إلى مصدرَيهما ولم يُسندا إلى فاعلَيهما. وفي المثال السادس يقول الحطيئة لمَن يَهْجُوه: «واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي» فهل تظن أنه بعد أن يقول: لا ترحل لطلب المكارم يقول له: إنك تُطْعم غيرَك وتكسوه؟ لا. إنما أراد اقعد كلًّا[1] على غيرك مطعوماً مَكْسُوًّا فأسند الوصف المسند للفاعل إلى ضمير المفعول.

وفي المثالين الأخيرين جاءت كلمة «مستوراً» بدل ساتر و«مأْتيًّا» بدل آت، فاستعمل اسم المفعول مكان اسم الفاعل، وإن شئت فقل أُسند الوصف المبنيُّ للمفعول إلى الفاعل.

فأنت ترى من الأمثلة كلها أنّ أفعالًا أو ما يشبهها لم تُسند إلى فاعلها الحقيقي، بل إلى سبب الفعل أو زمانه أو مكانه أو مصدره، وأنَّ صفات كانت من حقها أن تسند إلى المفعول أُسندت إلى الفاعل. وأُخرى كان يجب أن تسند إلى الفاعل أُسندت إلى المفعول، ومن الهيِّن أن تعرف أن هذا الإسناد غير حقيقي، لأن الإسناد الحقيقيّ هو إسناد الفعل إلى فاعله الحقيقيّ، فالإسناد إذاً هنا مجازي ويسمى بالمجاز العقلي؛ لأن المجاز ليس في اللفظ كالاستعارة والمجاز المرسَل؛ بل في الإسناد وهو يدرك بالعقل.

القواعد

(٢٤) المجازُ العقليُّ هو إسنادُ الفعل أوْ ما في معناهُ إلى غير ما هُوَ له لعلاقةٍ مع قرينةٍ مانعة من إرادةِ الإسْنادِ الحقيقيّ.

(٢٥) الإسْنادُ المجازيُّ يكونُ إلى سبَبِ الفعلِ أو زمانِه أو مكانِه أو مصدرِه، أو بإسنادِ المبني للفاعل إلى المفعول أو المبنيّ للمفعول إلى الفاعِل.

نموذج

١ ـ قال أبو الطيِّب:

أبا المِسْكِ أرجو مِنْكَ نَصْراً عَلَى الْعِدا وآمُلُ عِزًّا يخضِبُ البِيضَ بالدَّمِ[١]

ويوماً يغيظُ الْحاسِدِينَ وحَالَةً أُقِيمُ الشَّقَا فيها مُقَامَ التَّنَعُّمِ[٢]

٢ ـ قال تعالى: ﴿لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ﴾.

٣ ـ ذهبنا إلى حديقة غَنَّاء.

٥ ـ بَنَت الحكومة كثيراً من المدارس بمصر.

٦ ـ وقال أبو تمَّام:

تكادُ عَطَايَاه يُجَنُّ جُنُونُهَا إذَا لَمْ يُعَوِّذْهَا بِرُقْيَةِ طَالِبِ[٣]

الإجابة

١ ـ «أ» عِزًّا يخضِبُ البِيض بالدم.

إسناد خَضْب السيوف بالدم إلى ضمير العز غير حقيقي لأن العز لا يخضب السيوف ولكنَّهُ سبب القوة وجمع الأبطال الذين يخضبون السيوف بالدم، ففي العبارة مجاز عقليّ علاقته السببية.

«ب» ويوماً يغيظُ الحاسدين.

إسناد غيظ الحاسدين إلى ضمير اليوم غير حقيقي، غير أن اليوم هو الزمان الذي يحصل فيه الغيظ: ففي الكلام مجاز عقليّ علاقته الزمانية.

٢ ـ ﴿لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾.

المعنى لا معصوم[٤] اليوم من أمر الله إلا مَن رحِمه الله، فاسم الفاعل أُسند إلى المفعول، وهذا مجاز عقليّ علاقته المفعولية.

---

(١) أبو المسك: كنية كافور الإخشيدي، والبيض: السيوف، يقول: أرجو منك أن تنصرني على أعدائي، وأن توليني عزًّا أتمكن به منهم وأخضب سيوفي بدمائهم.

(٢) يقول: وأرجو أن أبلغ بك يوماً يغتاظ فيه حسادي لما يرون من إعظامك لقدري وكذلك أرجو أن أبلغ بك حالة تساعدني على الانتقام منهم فأتنعم بشقائي في حربهم.

(٣) يعوذها: يحصنها، والرقية: العوذة، جمعها رقى.

(٤) يجوز أن تكون «عاصم» مستعملة في حقيقتها، ويكون المعنى لا شيء يعصم الناس من قضاء الله إلا مَن رحمه الله منهم فإنه تعالى هو الذي يعصمه.

٣ ـ ذهبنا إلى حديقة غَنَّاء.
غَنَّاء مشتقة من الغَنّ؛ والحديقة لا تَغُنّ وإنما الذي يغَنّ عصافيرها أو ذُبابها؛ ففي الكلام مجاز عقلي علاقته المكانية.

٤ ـ بنت الحكومة كثيراً من المدارس.
الحكومة لم تبنِ بنفسها ولكنها أمرت؛ ففي الإسناد مجاز عقلي علاقته السببية.

٥ ـ تكاد عطاياه يُجن جنونها.
إسناد الفعل إلى المصدر مجاز عقلي علاقته المصدرية.

تمرينات

(١)

وضّح المجاز العقليّ فيما تحته خط وبيّن علاقته وقرينته:

١ ـ قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا﴾؟.

٢ ـ كان المنزل عامراً وكانت حُجَرُهُ مضيئةً.

٣ ـ عظُمَتْ عظَمتُهُ وصالت صولتُه[1].

٤ ـ لقَدْ لُمْتِنا يَا أُمَّ غَيْلانَ في السُّرَى ... وَنِـمْـتِ ومـا لَيْـلُ الـمطِيِّ بـنـائِمِ[2]

٥ ـ مـلَكْنـا فَكـانَ الـعَفْـوُ مِـنّـا سَجِيَّةً ... فَـلَمّـا مَـلكـتـمْ سـال بـالـدَّمِ أَبْـطَـحُ[3]

٦ ـ ضرب الدهرُ بينهم وفرّق شملَهم.

٧ ـ ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ابن لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾.

٨ ـ جلسنا إلى مشْرَب عذب، ماؤه دافق.

٩ ـ قال طَرفَة بن العبد[4]:

سـتُبْدِي لَكَ الأيامُ ما كُنْتَ جاهِلًا ... وَيَـأْتِيـكَ بـالأخـبـارِ مَـنْ لَمْ تُـزَوِّدِ[5]

---

(١) صال عليه: وثب.

(٢) السري: السير ليلاً، والمطي جمع مطية وهي الدابة تمطو: أي تسرع في مشيها.

(٣) الأبطح: مسيل واسع فيه دقاق الحصى.

(٤) شاعر من شعراء الجاهلية يعد في الطبقة الثانية منهم وهو من أجودهم طويلة، فكلما طالت قصيدته حسنت، وكان في حسب من قومه، جريئاً على هجائهم وهجاء غيرهم، وله المعلقة المشهورة.

(٥) مَن لم تزود: أي مَن لم تعطه زاداً، والزاد طعام المسافر، يقول: إذا عشت فستعلمك الأيام ما لم تكن تعلم، ويأتيك بالأخبار ما لم تكلفه ذلك.

١٠ ـ يُغَنِّي كما صَدحَتْ أَيْكةٌ وقَدْ نَبَّه الصُّبْحُ أَطْيارَهَا[١]
١١ ـ إنَّا لَمِنْ مَعْشَرٍ أَفْنى أَوَائِلَهُمْ قِيلُ الكُمَاة ألا أَيْنَ المُحَامُونا[٢]

(٢)

بيِّن كل مجاز عقليّ وعلاقته في أقوال العرب الآتية:

١ ـ طريق وارد صادر (يرده الناس وَيَصْدُرون عنه).

٢ ـ له شرف صاعد، وجَدٌّ مساعد[٣].

٣ ـ ضرَّسهم الزمانُ وطحنتهم الأيام.

٤ ـ يفعل المال ما تعجز عنه القوّة.

٥ ـ هم ناصِب[٤]. جَدٌّ عَثور[٥]. يوم عاصف[٦]. رِيح عقيم[٧]. عَجَب عاجب.

٦ ـ أعُمَيْرُ إنَّ أباكَ غَيَّرَ رأسَهُ مَرُّ اللَّيالي واختلافُ الأعْصُرِ

٧ ـ رمت به الأسفار أبعد مراميها. حربٌ غشوم[٨]. موت مائت (أي شديد). شِعْرٌ شاعر.

٨ ـ لها وجه يَصفُ الحسن.

٩ ـ وضع فلاناً الشحُّ ودناءةُ النسب.

١٠ ـ أرضهم واعدة (إذا رُجيَ خَيْرُها).

١١ ـ بَطَشت بهم أهوال الدنيا..

١٢ ـ أعرني أُذناً واعية.

---

(١) صدح الطائر: رفع صوته بغناء، الأيكة: الشجرة.
(٢) الكماة: جمع كمي وهو الشجاع المتكمي في سلاحه أي المتغطي المتستر به، يقول: إنا من قوم أفناهم الإقدام على الحروب وإغاثة المستغيثين.
(٣) الجد: الحظ.
(٤) هم ناصب: أي ذو نصب وتعب على حد قولهم (رجل تامر ولابن) أي ذو تمر ولبن، وقيل هو فاعل بمعنى مفعول فيه. لأنه ينصب فيه ويتعب. كليل نائم: أي ينام فيه.
(٥) عثور: كثير العثار والزلل.
(٦) يوم عاصف: أي تعصف فيه الريح.
(٧) العقيم: هي التي لا تلقح سحاباً ولا شجراً.
(٨) الغشوم: كثير الغشم وهو الظلم.

(٣)

بيِّن المجاز العقليّ والمجازَ المرسل والاستعارة فيما يأتي:

١ - كَفى بالمَرْءِ عَيْباً أن تراهُ   لهُ وجهٌ ولَيْسَ لهُ لِسَانُ

٢ - قال المتنبي:

وَالهَمُّ يخترم الجَسِيم نحافَةً   وَيُشِيبُ ناصِيَةَ الصَّبيّ ويُهْرِمُ[١]

٣ - قال الشريف الرَّضيّ يخاطب الشيب:

أيها الصُّبح زُلْ ذميماً فما أظْـ   لَم يَوْمِي مِنْ ذاكَ الظَّلَامِ

٤ - وقال النابغة الذبياني:

فبتُّ كأنّي سَاوَرَتْني ضئيلَةٌ   مِن الرُّقش في أنيابِها السُّمُّ ناقعُ[٢]

٥ - وَكم علَّمْتُهُ نَظْمَ القَوافي   فَلمَّا قالَ قافِيَةً هَجاني

٦ - ﴿وَأَرْسَلْنَا السَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا﴾.

٧ - نشر الليل ذوائبه.

٨ - ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ﴾.

٩ - فلا فضِيلَة إلاّ أنت لابِسُها   ولا رعِيَّة إلّا أنتَ رَاعِيها

١٠ - ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾.

١١ - ﴿يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ﴾.

(٤)

إشرح الأبيات الآتية وبيِّن ما فيها من مجاز عقليّ:

صَحِبَ النَّاسُ قَبلَنا ذَا الزَّمانا   وعَناهُمْ مِنْ أمْره ما عَنانا[٣]

---

(١) يخترم: يهلك، والناصية: شعر مقدم الرأس، يقول: إن الهم إذا استولى على الجسم هزله حتى يهلك، وقد يشيب به الصبي ويصير كالهرم من الضعف.

(٢) ساورتني: واثبتني، والضئيلة: الحية الدقيقة النحيفة، والرقش: جمع رقشاء وهي الحية فيها نقط سوداء وبيضاء، والسم الناقع: المنقوع، وإذا نقع السم كان شديد التأثير.

(٣) عناهم: أهمهم وشغلهم.

وتَــوَلَّوا بِــغُــصَّــةٍ كُــلُّهُــمْ مِــنْــ ـهُ وإنْ سَــرَّ بَــعــضَــهُــمْ أحْــيــانــا
رُبَّمَــا تُــحْــسِــنُ الــصَّــنِــيــعَ لَيَــالِــ ـيهِ ولــكــنْ تُــكَــدِّرُ الإحْــسَــانــا
وكــأنَّــا لــم يَــرْضَ فِــيــنــا بِــرَيْــبِ الــ ـدَّهــرِ حَــتــى أعــانَــهُ مَــنْ أعــانــا[1]
كُــلــمــا أنْــبــتَ الــزَّمــانُ قَــنــاةً رَكَّــبَ الــمــرْءُ فِــي الــقَــنــاةِ سِــنــانــا[2]

بلاغةُ المجاز المرسل والمجاز العقليّ

إذا تأملت أنواع المجاز المرسَل والعقليّ رأيتَ أنها في الغالب تؤدي المعنى المقصودَ بإيجاز، فإذا قلت: «هزم القائدُ الجيش» أو «قرَّر المجلسُ كذا» كان ذلك أوجز من أن تقول: «هزم جنودُ القائدِ الجيشَ»، أو «قرر أهل المجلس كذا»، ولا شك أن الإيجاز ضربٌ من ضروب البلاغة.

وهناك مظهرٌ آخر للبلاغة في هذين المجازين هو المهارة في تخَيُّر العلاقة بين المعنى الأصلي والمعنى المجازيّ، بحيث يكون المجازُ مُصَوِّراً للمعنى المقصود خيرَ تصوير كما في إطلاق العين على الجاسوس، والأذن على سريع التأثر بالوشاية، والخُف والحافر على الجمال والخيل في المجاز المرسل، وكما في إسناد الشيء إلى سببه أو مكانه أو زمانه في المجاز العقليّ فإن البلاغة تُوجِبُ أن يُختار السبب القويُّ والمكان والزمان المختصان.

وإذا دَقَقْت النظر رأيت أن أغلب ضروب المجاز المرسل والعقليّ لا تخلو من مبالغة بديعة ذاتِ أثر في جعل المجاز رائعاً خلّاباً، فإطلاق الكل على الجزء مبالغة ومثله إطلاق الجزء وإرادة الكل، كما إذا قلت: «فلان فَمٌ» تريد أنه شرِهٌ يلْتَقِم كلّ شيء. أو «فلان أنف» عندما تريد أن تَصِفَه بِعِظَم الأنف فتبالغ فتجعله كلّه أنفاً. ومما يؤثر عن بعض الأدباء في وصف رجل أُنافيّ[3] قوله: «لَسْتُ أدْرِي أهُوَ في أنْفِه أمْ أنْفُهُ فِيهِ».

---

(١) من: فاعل يرض أو أعانه على التنازع، يقول: كأن الذي يعين الدهر على نكاية أهله لم يرض بما تجر حوادث الدهر من البلاء، فزاد عليها بلاء العداوة والشر.

(٢) القناة: عود الرمح، والسنان: نصله.

(٣) الأنافي: عظيم الأنف.

الكناية

الأمثلة:

١ ـ تقولُ العرب: فُلانَةٌ بَعِيدَةُ مَهْوَى القُرْطِ.

٢ ـ قالت الْخَنْسَاءُ[1] في أخيها صخرٍ:

طَوِيلُ النِّجَادِ رَفِيعُ الْعِمَادِ   كَثِيرُ الرَّمَادِ إذا مَا شَتَا[2]

* * *

٣ ـ وقال آخر في فضل دار العلوم في إحياء لغة العرَب:

وَجَدَتْ فِيكِ بِنْتُ عَدْنَانَ داراً   ذَكَّرَتْهَا بَدَاوَةَ الأَعْرَاب

٤ ـ وقال آخر:

الضَّارِبِينَ بِكُلِّ أَبْيَضَ مِخْذَمٍ   والطَّاعِنِينَ مَجَامِعَ الأَضْغَانِ[3]

* * *

٥ ـ المجدُ بَيْنَ ثَوْبيكَ. والكَرَمُ مِلْءُ بُرْدَيك.

البحث:

مَهْوى القُرْط المسافة من شَحْمَةِ الأُذن إلى الكتِفِ. وإذا كانت هذه المسافة بعيدةً لَزم أن يكون العُنُق طويلاً، فكأن العربيّ بدلَ أن يقول: «إن هذه المرأة طويلةُ الجيدِ» نفحَنا بتعبير جديد يُفيد اتصافَها بهذه الصِّفة.

---

(١) هي تماضر بنت عمر لها منزلة رفيعة في الشعر وقد اشتهرت برثاء أخيها صخر، أسلمت مع قومها وماتت سنة ٥٤هـ.

(٢) شتا بالمكان، أقام به شتاء.

(٣) الضاربين منصوب بأمدح محذوفاً، والأبيض: السيف، والمخذم على وزن المبرد: السيف السريع القطع، والأضغان، جمع ضغن وهو الحقد.

وفي المثال الثاني تصِف الخنساء أخاها بأنه طويل النجاد، رفيع العِماد، كثير الرماد. تريد أن تدل بهذه التراكيب على أنه شجاعٌ، عظيم في قومه، جوادٌ، فعَدلت عن التصريح بهذه الصفات إلى الإشارة إليها والكِناية عنها، لأنه يَلْزمُ من طول حِمالَةِ السيف طولُ صاحبِهِ، ويلزم من طول الجسم الشجاعة عادة، ثم إنه يلزم من كونه رفيعَ العماد أن يكون عظيم المكانة في قومه وعشِيرته، كما أنه يلزم من كثرة الرّماد كثْرةُ حرق الحطَب، ثم كثرة الطبخ، ثم كثرة الضيوف، ثم الكرم، ولما كان كل تركيب من التراكيب السابقة، وهي بعيدة مهوى القرط، وطويل النجاد، ورفيع العماد، وكثير الرماد، كُني به عن صفة لازمة لمعناه، **كان كل تركيب من هذه وما يشبهه كناية عن صفة.**

وفي المثال الثالث أراد الشاعر أن يقول: إن اللغة العربية وجدت فيك أيتها المدرسة مكاناً يذكرها بعهد بدَواتها. فعَدَل عن التصريح باسم اللغة العربية إلى تركيب يشير إليها ويُعَدُّ كناية عنها وهو «بنتُ عدْنان».

وفي المثال الرابع أراد الشاعر وصف ممدوحيه بأنهم يطعنون القلوب وقت الحرب فانصرف عن التعبير بالقلوب إلى ما هو أملح وأوقع في النفس وهو «مجامع الأضغان»؛ لأن القلوب تُفهم منه إذ هي مُجْتمَعُ الحِقد والبغض والحسد وغيرها.

وإذا تأملت هذين التركيبين وهما: «بنت عدنان» و«مجامع الأضغان» رأيت أن كلًّا منهما كُني به عن ذات لازمة لمعناه، لذلك **كان كل منهما كناية عن موصوف** وكذلك كل تركيب يماثلهما.

أما في المثال الأخير فإنك أردت أن تَنْسُب المجد والكرم إلى مَن تخاطبه، فعدلت عن نِسْبتهما إليه مباشرة ونَسبتهما إلى ما له اتصال به، وهو الثوبان والبُرْدان، ويسمى هذا المثال وما يشبهه **كناية عن نسبة**. وأظهرُ علامة لهذه الكناية أن يصرح فيها بالصفة كما رأيت، أو بما يستلزم الصفة، نحو: في ثوبيه أسد، فإن هذا المثال كناية عن نسبة الشجاعة.

وإذا رَجَعْتَ إلى أمثلة الكناية السابقة رأيت أن منها ما يجوز فيه إرادة المعنى الحقيقي الذي يفهم من صريح اللفظ، ومنها ما لا يجوز فيه ذلك.

القواعد

(٢٦) الكِنايَة لفظٌ أُطْلِقَ وأُريدَ به لازمُ مَعْناهُ مَعَ جَوَازِ إرادةِ ذلك المعنَى.

(٢٧) تَنْقَسِمُ الكِنايةُ باعتبار المكْنيِّ عنهُ ثلاثة أقسامٍ، فإنَّ المَكْنيِّ عنه قد يَكونُ صِفَةً،

وقد يَكون موصوفاً، وقد يَكونُ نِسْبة[١].

نَمُوذَجٌ

١ ـ قال المتنبي في وقيعة سيف الدولة بِبَني كلاب:

فَمَسَّاهُم وَبُسْطُهُم حَرِيرٌ وَصَبَّحَهم وبُسْطُهمُ تُراب

ومَنْ فِي كَفِّهِ مِنْهم قَنَاةٌ كَمَنْ فِي كَفِّه منهم خِضابٌ[٢]

٢ ـ وقال في مدح كافور:

إن في ثَوْبِكَ الذي الْمَجْدُ فيه لَضِياءً يُزْري بكلّ ضِياءِ[٣]

الإِجابة

١ ـ كَنى بكَوْن بُسْطِهم حريراً عن سيادتهم وعزتهم، وبكَوْن بسطهم تراباً عن حاجتهم وذلهم، فالكناية في التركيبين عن صفة.

٢ ـ وكَنى بمَنْ يحمِل قناة عن الرجل، وبمَن في كفّه خضاب عن المرأة وقال: إنهما سواء في الضعف أمام سطوة سيف الدولة وبطشه، فكلتا الكنايتين كناية عن موصوف.

٣ ـ أراد أن يُثبت المجدَ لكافور فترك التصريح بهذا وأثبته لما له تعلُّق بكافور وهو الثوب، فالكناية عن نسبة.

---

(١) إذا كثرت الوسائط في الكناية نحو: كثير الرماد، سميت تلويحاً، وإن قلت وخفيت نحو: فلان من المستريحين، كناية عن الجهل والبلاهة، سميت رمزاً، وإن قلت الوسائط، ووضحت أو لم تكن سميت إيماء وإشارة. نحو: الفضل يسير حيث سار فلان، كناية عن نسبة الفضل إليه.
ومن الكناية نوع يسمى التعريض، وهو أن يطلق الكلام ويشار به إلى معنى آخر يفهم من السياق، كأن تقول لشخص يضر الناس: «خير الناس أنفعهم للناس»، وكقول المتنبي يعرض بسيف الدولة وهو يمدح كافوراً:

إذا الجود لم يرزق خلاصاً من الأذى فلا الحمد مكسوباً ولا المال باقيا

(٢) القناة: عود الرمح.

(٣) أزرى به: استهان، يقول: إن في ثوبك لضيا من المجد يفوق كل ضياء بقوة إشراقه.

تمرينات

(١)

بيّن الصفة التي تلزم من كل كناية من الكنايات الآتية:

١ - نؤومُ الضُحا.

٢ - ألقى فلان عصاه.

٣ - ناعمة الكفين.

٤ - قَرِع فلانٌ سِنّه.

٥ - يُشار إليه بالبنان.

٦ - ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ﴾.

٧ - ركِب جناحي نَعامة.

٨ - لوت الليالي كفه على العصا.

٩ - قال المتنبي في وصف فرسه:

وأصرعُ أيّ الوحْش قَفَّيْتُه بِهِ ... وأنْزلُ عنه مثله حِين أرْكَبُ[1]

١٠ - فلان لا يضع العصا عن عاتِقِهِ.

(٢)

بيّن الموصوف المقصود في كل كناية من الكنايات الآتية:

١ - قوم ترى أرْماحهمْ يوْم الوغى ... مشْغُوفةً بمواطنِ الكتمان

٢ - وقال تعالى: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُا فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ۝١٨﴾[2].

---

(١) أصرع: أقتل، وقفيته: أتبعته، ومثله حال من الضمير في عنه يقول: إذا اتبعت بهذا الفرس وحشاً أدركته وصرعته، وأنزل عنه بعد الصيد وهو باق على نشاطه مثلما كان عند الركوب.

(٢) ينشأ في الحلية: يربى في الزينة، والخصام: الجدال، وغير مبين: غير قادر على الإبانة عما في ضميره، ومعنى الآية: أو جعلوا لله البنات وهن اللاتي يتربين في الزينة، ولا يقدرن على الإبانة حين الخصام والجدال.

٣ ـ كان المنصور[١] في بستان في أيام محاربته إبراهيم بن عبد الله بن الحسن[٢] ونظر إلى شجرة خلاف[٣]، فقال للربيع[٤]: ما هذه الشجرة؟ فقال: طاعةٌ يا أمير المؤمنين!

٤ ـ مرَّ رجل في صحن دار الرشيد ومعه حُزْمَة خَيزُران، فقال الرشيد للفضل بن الربيع[٥]: ما ذاك؟ فقال: عروق الرماح يا أمير المؤمنين، وكره أن يقول خَيْزُران؛ لموافقة ذلك لاسم أمّ الرشيد.

٥ ـ قال أبو نُوَاس[٦] في الخمر:

ولـمَّـا شـرِبـنـاهـا وذبَّ دبـيـبـهـا ... إلى موطِنِ الأسرَار قُلتُ لها قِفي

٦ ـ وقال المعري في السيف:

سَليلُ النَّار دقّ ورقّ حتّى ... كأنّ أباه أوْرَثه السُّلالا[٧]

٧ ـ كبِرَت سنُّ فلان وجاءه النذير.

٨ ـ سئل أعرابي عن سبب اشتعال شيبه، فقال: هذا رغْوة الشباب.

---

(١) هو ثاني خلفاء بني العباس وباني مدينة بغداد، كان عارفاً بالفقه والأدب مقدماً في الفلسفة والفلك محبًا للعلماء، بعيداً عن اللهو والعبث كثير الجد والتفكير، توفي بمكة حاجًا سنة ١٥٨هـ.

(٢) إبراهيم بن عبد الله بن الحسن هو حفيد علي بن أبي طالب، وأحد الأمراء الأشراف الشجعان، خرج على المنصور العباسي فاستولى على البصرة، ثم كان بينه وبين جيوش المنصور وقائع هائلة، وقتل سنة ١٤٥هـ.

(٣) شجر الخلاف: صنف من الصفصاف.

(٤) هو الربيع بن يونس، وكان جليلاً نبيلاً فصيحاً خبيراً بالحساب والأعمال حاذقاً بأمور الملك بصيراً بما يأتي ويذر.

(٥) الفضل بن الربيع أديب حازم من كبار خصوم البرامكة ولي الوزارة بعد أن قضى الرشيد عليهم، ثم توزّر للأمين بن الرشيد، ولما ظفر المأمون واستقام له الملك أبعده وأهمله حتى توفي سنة ١٢٧هـ.

(٦) هو أبو علي الحسن بن هانىء الشاعر المشهور، كان من أجود الناس بديهة وأرقهم حاشية، قال فيه الجاحظ: لا أعرف بعد بشار مولداً أشعر من أبي نواس، ولد سنة ١٤١هـ وتوفي سنة ١٩٥هـ.

(٧) السليل: الولد، والسلال: السل، وهو داء معروف يضني الأجسام وينحفها، يقول: إن السيف الذي هو وليد النار قد رقّ جسمه حتى إنه ليشبه ولداً مسلولاً قد ورث السل عن أبيه.

٩ ـ وسئل آخر، فقال: هذا غبار وقائع الدهر.

١٠ ـ يروى أن الحجّاج قال للغضبان بن القَبَعْثَرى: لأحْمِلنّك على الأدهم[١]، فقال: مثلُ الأمير يحمِلُ عَلَى الأدهم والأشهب؛ قال: إنه الحديد؛ قال: لأن يكون حديداً خيرٌ من أن يكون بليداً.

(٣)

بيّن النسبة التي تلزم كل كناية من الكنايات الآتية:

١ ـ إن السماحَةَ والمُرُوءة والنّدَى ... في قُبةٍ ضُرِبَت على ابْن الحشْرَج[٢]

٢ ـ قال أعرابي: دخلتُ البَصرَةَ فإذا ثيابُ أحرار على أجساد عبيد.

٣ ـ وقال الشاعر:

اليُمنُ يَتبَعُ ظِلَّهْ ... والْمَجْدُ يَمْشِي فِي رِكابهْ[٣]

(٤)

بيّن أنواع الكنايات الآتية وعيّن لازم معنى كل منها:

١ ـ مدح أعرابي خطيباً فقال: كان بَلِيلَ الرِّيق قليلَ الحركات[٤].

٢ ـ وقال يزيد بن الحكم[٥] في مدح المهلب[٦]:

أصْبَحَ فِي قيْدِكَ السماحة والمَجْـ ... ـدُ وفضْلُ الصلاح والْحسبُ

---

(١) يريد الحجاج بالأدهم القيد، وبالحديد المعدن المعروف، وقد حمل القبعثرى الأدهم على الفرس الأدهم وهو الأسود، وحمل الحديد على الفرس الذي ليس بليداً.

(٢) ابن الحشرج: اسمه عبد الله، وكان سيداً من سادات قيس وأميراً من أمرائها، ولي كثيراً من أعمال خراسان ومن أعمال فارس وكرمان، وكان جواداً كثير العطاء.

(٣) اليمن: البركة، والركاب: الإبل التي يسار عليها.

(٤) يقول: إنه رطب اللسان، تخرج كلماته من فيه بسهولة، ولا يستعين في إظهار مراده بإشارة أو حركة.

(٥) شاعر مشهور من شعراء العصر الأموي، ولاه الحجاج كورة فارس ثم عزله قبل أن يصل إليها، وكان أبي النفس شريفاً، وطبقته في الشعر عالية، توفي سنة ٩٠هـ.

(٦) هو المهلب بن أبي صفرة أمير فاتك جواد، تولى خراسان من قبل عبد الملك بن مروان، وقد توفي بها سنة ٨٣هـ.

٣ - وتقول العرب: فلان رَحْبُ[١] الذراع، نقيُّ الثوب، طاهر الإزار، سليم دواعي الصدر[٢].

٤ - وقال البحتري يصف قتْلهُ ذئباً:

فَأَتْبَعتُهَا أُخرَى فأضْلَلْتُ نصْلَها بحَيْثُ يكُون اللُّب والرُّعْب والحِقْد[٣]

٥ - وقال آخر في رثاء مَن مات بعِلّةٍ في صدره:

ودبّت في مَوْطِنِ الحِلم عِلَّةٌ لهَا كالصِّلال الرُّقْش شرٌّ دَبِيب[٤]

٦ - ووصف أعرابي امرأة فقال: تُرخي ذيلها على عُرْقُوبَيْ نعامة.

(٥)

بيِّن نوع الكنايات الآتية، وبيِّن منها ما يصح فيه إرادة المعنى المفهوم من صريح اللفظ وما لا يصحُّ:

١ - وصف أعرابي رجلاً بسوءِ العِشرَة فقال:

كان إذا رآني قرَّب مِن حاجبٍ حاجباً.

٢ - وقال أبو نواس في المديح:

فما جازه جُودٌ وَلَا حلَّ دونَهُ ولكنْ يَسِيرُ الجودُ حيثُ يَسِير

٣ - وتَكْنِي العربُ عمن يجاهر غيرَه بالعداوة بقولهم:

لَبس له جِلْدَ النَّمِرِ، وجِلْد الأرْقَم[٥]، وقلَبَ له ظَهْرَ المِجَنّ[٦].

---

(١) الرحب: الواسع.

(٢) دواعي الصدر: همومه، وسليم دواعي الصدر من سلم صدره من أسباب الشر.

(٣) ضمير أتبعتها يعود على الطعنة، وأضللت: أخفيت، والنصل: حديدة السيف، واللب: العقل، والرعب: الفزع والخوف.

(٤) الصلال جمع صل بالكسر: ضرب من الحيات صغير أسود لا نجاة من لدغته، والرقش جمع رقشاء وهي التي فيها نقط سوداء في بياض والحية الرقشاء من أشد الحيات إيذاء.

(٥) الأرقم: الحية فيها سواد وبياض.

(٦) المجن: الترس؛ قلب له ظهر المجن مثل يضرب لمَن كان لصاحبه على مودة ورعاية ثم حال عن العهد.

٤ ـ فلان عريض الوِساد[١]، أغمُّ القفا[٢].

٥ ـ قال الشاعر:

تـجُـول خـلاخِـيـلُ الـنِّـسـاءِ ولَا أرَى   لِرَمْـلَةَ خَـلْخَـالًا يَـجُـولُ وَلَا قُـلْبـا[٣]

٦ ـ وتقول العرب في المديح: الكرم في أثناء حُلَّته، ويقولون: فلان نفخ شِدْقَيْهِ، أي تكبر، وَوَرِم أنْفُه إذا غضب.

٧ ـ قالت أعرابية لبعض الولاة: أشكو إليك قِلَّةَ الجُرْذَان[٤].

٨ ـ وقال الشاعر:

بـيـضُ الـمَـطـابـخِ لَا تَـشْـكُـو إمَـاؤهُـمْ   طَـبْـخَ الـقُـدُورِ ولَا غَـسْـلَ الـمَـنَـادِيـل

٩ ـ وقال آخر:

مَـطْـبَـخُ دَاوُدَ فـي نَـظـافَـتِـهِ   أشْـبـهُ شَـيْءٍ بِـعَـرْشِ بـلْـقِـيـسِ[٥]

ثِـيـابُ طَـبَّـاخِـهِ إذَا اتَّـسَـخَـتْ   أنْـقَـى بَـيَـاضـاً مِـنَ الْـقَـراطِـيـس

١٠ ـ وقال آخر:

فَـتًـى مُـخْـتَـصَـرُ الـمـأْكُـو   لِ والْمَـشْـرُوبِ والْعِـطْـرِ

نَـقِـيُّ الْكَـأسِ والْقَـصْـعَـ   ةِ والْمِـنْـدِيـلِ والْقِـدْرِ

(٦)

إشرح البيت الآتي وبيِّن نوع الكناية التي به:

فلَسْـنـا عَلَى الأعْـقـاب تَـدْمَـى كُـلُومُـنـا   ولـكِـنْ عـلى أقْـدَامِـنـا تَـقْـطُـر الـدِّمَـا[٦]

---

(١) عريض الوساد: أي طويل العنق إلى درجة الإفراط، وهذا مما يستدل به على البلاهة وقلة العقل.

(٢) الغمم: غزارة الشعر حتى تضيق منه الجبهة أو القفا، وكان يزعم العرب أن ذلك دليل على الغباوة.

(٣) رملة: اسم امرأة، والقلب بالضم: السوار.

(٤) الجرذان: جمع جرذ وهو ضرب من الفأر.

(٥) بلقيس بكسر الباء. ملكة سبأ، وسبأ: عاصمة قديمة لبلاد اليمن.

(٦) الأعقاب: جمع عقب وهو مؤخر القدم، والكلوم: الجراح، يقول: نحن لا نولي فنجرح في ظهورنا فتقطر دماء كلومنا على أعقابنا، ولكنا نستقبل السيوف بوجوهنا فإن جرحنا قطرت الدماء على أقدامنا.

بلاغة الكِناية

الكناية مَظْهَر من مظاهر البلاغة، وغاية لا يَصِل إليها إلا من لَطف طبعُه وصَفت قريحته، والسِّرُّ في بلاغتها أنها في صور كثيرة تُعطِيكَ الحقيقة مصحوبة بدليلها، والقضية وفي طَيِّها بُرْهَانُها، كقول البحتري في المديح:

يَغُضُّونَ فَضْلَ اللَّحْظِ مِنْ حيثُ مَا بَدَا لَهُم عَنْ مَهيبٍ فِي الصُّدور مُحَبَّبِ

فإنه كَنى عن إكبار الناس للممدوح وَهَيْبَتِهِمْ إيَّاه بغضِّ الأبصار الذي هو في الحقيقة برهان على الهيبة والإجلال، وتظهر هذه الخاصة جليةً في الكنايات عن الصفة والنسبة.

ومن أسباب بلاغة الكناية أنها تَضَع لك المعاني في صور المُحَسَّات، ولا شك أنَّ هذه خاصة الفنون فإن المصوِّر إذا رسم لك صورة للأمل أو اليأس بَهرَك وجَعَلك ترى ما كنت تَعْجزُ عن التعبير عنه واضحاً ملموساً.

فمثل «كثير الرَّماد» في الكناية عن الكرم و«رسول الشرّ» في الكناية عن المزاح وقول البحتري:

أوَمَا رأَيْتَ الْمَجْدَ أَلْقَى رَحْلَهُ فِي آل طَلْحَةَ ثم لَمْ يَتَحَوَّلِ

في الكناية عن نسبة الشرف إلى آل طلحة، كلُّ أولئك يُبرِزُ لك المعاني في صورة تشاهدها وترتاح نفسُك إليها.

ومن خواص الكناية أنها تمكِّنك من أن تَشْفِيَ غُلتك من خصْمك من غير أن تجعل له سبيلًا؛ ودون أن تَخْدِشَ وجه الأدب، وهذا النوع يسمى بالتعريض، ومثاله قول المتنبي في قصيدة يمدح بها كافوراً ويُعرِّض بسيف الدولة:

رحلتُ فكَمْ باكٍ بأجْفانِ شادِنٍ عَلَيَّ وكم باكٍ بأجفانِ ضَيْغَمِ[1]

وَمَا ربة القُرْطِ المَليح مكانُهُ بأجْزَعَ مِنْ رَبِّ الحسَام المصَمِّمِ[2]

---

(١) الشادن: ولد الغزال، والضيغم: الأسد، أراد بالباكي بأجفان الشادن المرأة الحسناء، وبالباكي بأجفان الضيغم، الرجل الشجاع، يقول كم من نساء ورجال بكوا على فراقي وجزعوا لارتحالي.

(٢) القرط: ما يعلق في شحمة الأذن، والحسام: السيف القاطع، والمصمم: الذي يصيب المفاصل ويقطعها، يقول: لم تكن المرأة الحسناء بأجزع على فراقي من الرجل الشجاع.

فَلَوْ كان ما بي مِنْ حَبيبٍ مُقنّعٍ عذَرْتُ ولكنْ من حبيبٍ مُعَمَّمِ
رَمى واتقى رَميي ومِنْ دُونِ ما اتّقى هَوًى كاسرٌ كفّي وقوسي وأسْهمي
إذا ساء فِعْلُ المرءِ ساءت ظُنونُه وَصَدَّقَ ما يَعْتادُهُ مِنْ تَوَهُّمِ

فإنه كنى عن سيف الدولة أولاً بالحبيب المعَمَّم، ثم وصفه بالغدر الذي يدّعي أنه من شِيمةِ النساء، ثم لامه على مبادهته بالعدوان، ثم رماه بالجبن لأنه يَرْمي ويتقي الرمي بالاستتار خلف غيره، على أن المتنبي لا يجازيه على الشرّ بمثله لأنه لا يزال يحمل له بين جوانحه هوى قديماً يكسِر كفه وقوسَه وأسْهُمَه إذا حاول النضال، ثم وصفه بأنه سيىء الظن بأصدقائه لأنه سيىء الفعل كثير الأوهام والظنون حتى ليظن أن الناس جميعاً مثلهُ في سوء الفعل وضعف الوفاء. فانظر كيف نال المتنبي من سيف الدولة هذا النيل كلّه من غير أن يذكر من اسمه حرفاً.

هذا، ومن أوضح ميزات الكناية التعبير عن القبيح بما تسيغُ الآذان سماعَه. وأمثلة ذلك كثيرة جدًا في القرآن الكريم وكلام العرب، فقد كانوا لا يعبّرون عما لا يحسن ذكره إلّا بالكناية، وكانوا لشدّة نخْوتهم يَكْنُون عن المرأة بالبَيْضَة والشاة.

ومن بدائع الكنايات قول بعض العرب:

أَلا يا نَخْلَةً مِنْ ذَاتِ عِرْقٍ عَلَيْكِ ورَحمَةُ اللهِ السَّلامُ[1]

فإنه كَنّى بالنخلة عن المرأة التي يحبها.

ولعلّ هذا المقدار كاف في بيان خصائص الكناية وإظهار ما تضمنته من بلاغة وجمال.

---

(١) ذات عرق: موضع بالبادية وهو مكان إحرام أهل العراق.

أثر علم البيان في تأدية المعاني

ظهر لك من دراسة علم البيان أنَّ معْنًى واحداً يستطاع أداؤهُ بأساليب عِدَّة وطرائقَ مختلفة، وأنّه قد يوضع في صورة رائعة من صور التشبيه، أو الاستعارة، أو المجاز المرسل، أو العقلي، أو الكناية.

فقد يصف الشاعر إنساناً بالكرم فيقول:

يـريـد الـمُـلوكُ مَـدى جَـعْـفـرٍ ... ولَا يَـصْـنَـعـونَ كـمـا يَـصْـنَـعُ
وَلَيْـس بـأوْسـعِـهِـمْ فِـي الـغِـنَـى ... ولـكِـنْ مَـعـرُوفُـه أوسَـعُ

وهذا كلامٌ بليغ جدًّا مع أنه لم يُقْصَد فيه إلى تشبيه أو مجاز، وقد وصف الشاعر فيه ممدوحه بالكرم وأن الملوك يريدون أن يبلغوا منزلته، ولكنهم لا يشترون الحمد بالمال كما يفعل، مع أنه ليس بأغنى منهم ولا بأكثر مالًا.

وقد يعمِد الشاعر عند الوصف بالكرم إلى أُسلوب آخر فيقول:

كالْبَحْر يَقْذِف للقَرِيب جواهِراً ... جوداً وَيَبْعَثُ لِلْبَعِيدِ سَحَائِبَا

فيشبِّه الممدوحَ بالبحر، ويَدْفَعُ بخيالك إلى أن يضَاهِي بين الممدوح والبحر الذي يقذِف الدرر للقريب ويُرسل السحائب للبعيد.

أو يقول:

هـو الْبَـحْـرُ مِـنْ أيِّ الـنـواحـي أتَـيْـتَـهُ ... فـلُجَّـتُـهُ الـمـعْـروفُ وَالـجُـود سَـاحِـلُهْ

فيدعي أنه البحر نفسه وينكر التشبيه نُكراناً يدل على المبالغة وادعاء المماثلة الكاملة.

أو يقول:

عـلا فَـمـا يَـسْـتَـقـرُّ الْـمـال فـي يـدِه ... وكـيْـف تـمْـسـكُ مـاءَ قُـنَّـةُ الـجَـبَـلِ

فيرسل إليك التشبيه من طريق خفِيّ ليرتفع الكلام إلى مرتبة أعلى في البلاغة،

وليجعل لك من التشبيه الضمنيّ دليلًا على دعواه، فإنه ادعى أنه لعلو منزلته ينحدر المال من يديه، وأقام على ذلك برهاناً فقال: «وكيف تمسك ماءً قُنّة الجبل؟».

أو يقول:

جَرَى النهْرُ حتى خِلْتُهُ مِنْكَ أنعُماً تُسَاقُ بلَا ضَنٍّ وتُعْطي بِلَا مَنّ[١]

فيقلب التشبيه زيادة في المبالغة وافتناناً في أساليب الإجادة، ويشبّه ماء النهر بنعم الممدوح بعد أن كان المألوف أن تُشَبّه النعم بالنهر الفيّاض.

أو يقول:

كأنه حينَ يُعْطي المَالَ مُبْتَسِماً صَوْبُ الغَمَامَةِ تَهمي وَهْيَ تَأتلِقُ[٢]

فيعمد إلى التشبيه المركّب، ويعطيك صورة رائعة تمثّل لك حالة الممدوح وهو يجود، وابتسامة السرور تعلو شفتيه.

أو يقول:

جَادَتْ يَد الفَتْحِ والأنْواءُ بَاخِلَةٌ وَذابَ نَائِلُهُ والغَيْثُ قَدْ جَمَدَا

فيضاهي بين جود الممدوح والمطر. ويدّعي أن كرم ممدوحه لا ينقطع إذا انقطعت الأنواء أو جَمدَ القطر.

أو يقول:

قَدْ قُلْتُ لِلْغَيْم الرُّكَام ولَجَّ في إبْراقِهِ وألَحّ في إرْعَادِهِ[٣]
لا تَعْرِضَنْ لِجَعْفَر مُتَشَبِّهاً بِنَدَى يَدَيْهِ فَلَسْتَ مِنْ أَنْدادِهِ

فيصرح لك في جلاء وفي غير خشية بتفضيل جود صاحبه على جود الغيم، ولا يكتفي بهذا بل تراه يَنْهَى السحاب في صورة تهديد أن يحاول التشبّه بممدوحه لأنه ليس من أمثاله ونظرائه.

أو يقول:

وأَقْبَلَ يَمْشِي في البِسَاط فَما دَرى إلى البَحْر يَسْعَى أَمْ إلى البَدْر يَرْتَقي

---

(١) الضن: البخل، والمن: الامتنان بتعداد الصنائع.

(٢) تهمي: تسيل، وتألق: تلمع.

(٣) الغيم الركام: المتراكم، ولج وألح: كلاهما بمعنى استمر.

يصف حال رسول الروم داخلًا على سيف الدولة فيَنزع في وصف الممدوح بالكرم إلى الاستعارة التصريحية، والاستعارة كما علمت مبنية على تناسي التشبيه والمبالغة فيها أعظم وأثرها في النفوس أبلغ.

أو يقول:

دَعَوْتُ نَداه دَعْوَةً فأجابَني وعَلَّمَني إحْسانُه كَيف آملُه

فيشبِّه نَدى ممدوحه وإحسانه بإنسان. ثم يحذِف المشبَّه به ويرمز إليه بشيء من لوازمه، وهذا ضربٌ آخر من ضروب المبالغة التي تساق الاستعارة لأجلها.

أو يقول:

«ومَنْ قَصَدَ الْبَحْرَ اسْتَقَلَّ السَّواقِيا»

فيرسل العبارة كأنها مثل، ويصوِّر لك أن مَن قصد ممدوحه استغنى عمن هو دونه، كما أن قاصد البحر لا يأبه للجداول فيعطيك استعارة تمثيلية لها روعة وفيها جمال، وهي فوق ذلك تحمل برهاناً على صدق دعواه وتؤيد الحال التي يدَّعيها.

أو يقول:

ما زِلْتَ تُتْبِعُ ما تُولي يداً بِيدٍ حَتّى ظَنَنْتُ حَياتي مِنْ أياديكا

فيعدِل عن التشبيه والاستعارة إلى المجاز المرسل، ويطلق كلمة «يد» ويريد بها النعمة لأن اليد آلة النعم وسببها.

أو يقول:

أعَاذَ يَومُكَ أيَامِي لِنَضْرَتِها واقتص جُودُك مِنْ فقري وإعْساري

فيُسند الفعل إلى اليوم وإلى الجود على طريقة المجاز العقلي.

أو يقول:

فَما جَازَهُ جُودٌ ولا حَلّ دُونه وَلكِنْ يَسيرُ الجودُ حيثُ يَسيرُ

فيأتي بكناية عن نسبة الكرم إليه بادعاء أن الجود يسير معه دائماً، لأنه بدل أن يحكم بأنه كريم ادعى أن الكرم يسير معه أينما سار. ولهذه الكناية من البلاغة والتأثير في النفس وحسن تصوير المعنى، فوق ما يجده السامع في غيرها من بعض ضروب الكلام.

فأنت ترى أنه من المستطاع التعبير عن وصف إنسان بالكرم بأربعة عشر أسلوباً،

كلٌ له جمالُه وحسنُه وبراعته، ولو نشاء لأتينا بأساليب كثيرة أُخرى في هذا المعنى، فإن للشعراء ورجال الأدب افتناناً وتوليداً للأساليب والمعاني لا يكاد ينتهي إلى حد، ولو أردنا لأوردنا لك ما يقال من الأساليب المختلفة المناحي في صفات أُخرى كالشجاعة والإباء والحزم وغيرها، ولكنا لم نقْصِد إلى الإطالة، ونعتقد أنك عند قراءتك الشعرَ العربيّ والآثار الأدبية ستجد بنفسك هذا ظاهراً، وستَدْهَش للْمَدَى البعيد الذي وصل إليه العقل الإنساني في التصوير البلاغيّ والإبداع في صوغ الأساليب.

هذه الأساليب المختلفة التي يؤدَّى بها المعنى الواحد هي موضع بحث علم البيان، ولا أظنك تفهم أن القدرة على صوغ هذه الأساليب البديعة موقوفة على علم البيان؛ لأن الافتنان في التعبير لا يتوقف على درس قواعد البلاغة، وإنما يُصْبِحُ المرء كاتباً مجيداً، أو شاعراً مبدِعاً أو خطيباً موثراً، بكثرة القراءة في كتب الأدب وحفظ آثار العرب، وبنقد الشعر وتفهُّمه، ودراسة النثر الفني وتذوُّق أسراره؛ بهذا ترسخ فيه ملكةٌ تدفعه دفعاً إلى الإحسان والإجادة، ولا بد أن يعاضد هذه الملكة طبعٌ سليم وفطرة حساسة تكون مُعينةً لهذه الملكة وظهيرة لها.

ولكنّا بعد كل هذا لا نستطيع أن نجحد فائدة علم البيان والإلمام بقوانينه، فإنه بما يفصِّل من الفروق بين الأساليب ميزان صحيح لتعرُّف أنواعها، ودراسة أدبية للفحص عن كل أُسلوب وتبيُّن سر البلاغة فيه.

علم المعاني

تَقْسِيمُ الكلامِ إلى خَبَرٍ وإِنشاء

الأمثلة:

١ - قال أبو إسْحاقَ الغَزِّيُّ[١]:

لَوْلا أَبو الطَّيِّبِ الكِنْدِيُّ ما امْتَلأتْ   مَسامِعُ النَّاسِ مِنْ مَدْحِ ابْنِ حَمْدانِ

٢ - وقال أبو الطَّيِّب:

لا أَشْرَئِبُّ إلَى ما لَمْ يَفُتْ طَمَعاً   ولا أَبِيتُ على ما فاتَ حَسْرَانا[٢]

٣ - وقال أبو العَتَاهِيَةِ:

إنَّ البَخِيلَ وَإنْ أَفادَ غِنًى   لَتُرَى عَلَيْهِ مَخايِلُ الْفَقْرِ[٣]

* * *

٤ - وقال بَعْضُ الحكماء لابْنِهِ:

يا بُنَيَّ تَعَلَّمْ حُسْنَ الاستماعِ   كما تَتَعَلَّمُ حُسْنَ الحديثِ

٥ - وأَوْصى عبدُ الله بنُ عبَّاس[٤] رَجُلاً فقال:

لاَ تَتَكلَّمْ بِمَا لاَ يَعْنِيك، وَدَعِ الكَلاَمَ في كَثِيرٍ مِمَّا يَعْنِيك حَتَّى تَجِدَ لَهُ مَوْضِعاً.

٦ - وقال أبو الطيب:

لا تَلْقَ دَهْرَكَ إلّا غَيْرَ مُكْتَرِثٍ   ما دَامَ يَصْحَبُ فِيهِ رُوحَكَ البَدَنُ[٥]

---

(١) شاعر مجيد، أتى في قصائده الطوال بكل بديع، ولد بغزة، وهي بلدة بالشام وتوفي سنة ٥٢٤هـ.

(٢) اشرأب إلى الشيء: تطلع إليه.

(٣) أفاد غنى بمعنى استفاده، والمخايل: العلامات، يقول: إن البخيل تظهر عليه دائماً أمارات الفقر وعلاماته، وإن كان غنيًّا كثير المال.

(٤) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، أحد أكابر الصحابة في العلم سمي بالحبر لسعة علمه، ومات بالطائف سنة ٦٨هـ.

(٥) يقول: لا تبال الزمان وصروفه ما دمت حيًّا؛ فإن الشدة والرخاء يتعاقبان فيه على الحي، فلا بأس مع الحياة.

البحث:

يخبرنا أبو إسحاق الغزِّيُّ بأن أبا الطيب المتنبي هو الذي نشر فضائل سيف الدولة بن حَمْدَانَ وأذاعها بين الناس. ويقول: لولا أبو الطيب ما ذاعت شهرة هذا الأمير، ولا عَرَفَ الناس من شمائله كل الذي عرفوه. وهذا قول يحتمل أن يكون الغزيّ صادقاً فيه كما يحتمل أن يكون كاذباً؛ فهو صادق إن كان قوله مطابقاً للواقع، كاذبٌ إن كان قوله غير مطابق للواقع.

والمتنبي في المثال الثاني يخبر عن نفسه بأنه قانعٌ راض بحالهِ التي هو فيها، فليس من عادته أن يتَطَلع مستَشرفاً إلى ما هو آت، وليس من دأبِهِ أن يَنْدَمَ على ما فات، ومن المحتمل أن يكون كاذباً غير صادق.

كذلك يجوز أن يكون أبو العتَاهِيَةِ في المثال الثالث صادقاً فيما قال وادّعى، ويجوز أن يكون غير صادق:

انظر بعد ذلك إلى المثال الرابع تجد قائله ينادي ولَده ويأمره أن يتعلّم حسْن الحديث، وذلك كلام لا يَصِحُ أن يقال لقائله إنه صادق فيه أو كاذب؛ لأنه لا يُعْلِمُنا بحصول شيء أو عَدَم حصوله، وإنما هو ينادي ويأمر.

كذلك لا يصح أن يَتَّصِفَ عَبْدُ الله بنُ عباس في المثال الخامس، والمتنبي في المثال السادس بالصدق أو الكذب، لأن كلًّا منهما لا يخْبر عن حصول شيء أو عَدَمِ حصوله، ولو أنك تتبعت جميع الكلام لوجدته لا يخرج عن هذين النوعين، ويُسَمَّى النوعُ الأول خبراً والنوع الثاني إنشاءً.

انظر بعد ذلك إلى الجمل في الأمثلة السابقة أو في غيرها تَجِدْ كل جملة مكونَةً من ركْنَيْن أساسيَّين هما المحكوم عليه والمحكوم به، ويسمى الأول مسنداً إليه والثاني مسنداً أما ما عداهما فهو «قيد» في الجملة وليس ركناً أساسيًا.

القواعد

(٢٨) الْكلامُ قِسْمان: خَبَرٌ وإِنْشاءٌ:

أ ـ فالخَبَرُ ما يَصِحُ أَنْ يُقَالَ لِقَائِلِه إِنَّهُ صَادقٌ فِيهِ أَو كاذبٌ، فإِنْ كانَ الكلامُ مُطَابقاً للواقِعِ كان قائِلهُ صَادِقاً، وَإِنْ كانَ غَيرَ مُطَابِقٍ لَهُ كان قائِلَهُ كاذباً[1].

---

(١) الخبر إما جملة اسمية وإما جملة فعلية، فالجملة الاسمية تفيد بأصل وضعها ثبوت شيء لشيء ليس غير، فإذا قلت: الهواء معتدل لم يفهم من ذلك سوى ثبوت الاعتدال للهواء من غير نظر إلى =

ب ـ والإِنْشَاءُ ما لا يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ لِقَائِلِه إِنَّهُ صَادِقٌ فِيهِ أو كاذِبٌ.

(٢٩) لكلِّ جُمْلَةٍ مِنْ جُمَلِ الْخَبرِ والإنشاءِ رُكْنان: مَحْكومٌ عليه، وَمَحْكوم بِهِ، وَيُسمَّى الأَوَّلُ مُسْنَداً إِلَيْه، والثاني[١] مُسْنَداً[٢]، وَما زَادَ عَلَى ذلكَ غَيْر الْمُضَافِ إِلَيْهِ والصِّلَةِ فَهُوَ قَيْدٌ[٣].

نَمُوذَجٌ

لبيان أنواع الجمل وتعيين المسند إليه والمسند في كل جملة رئيسية[٤]:

١ ـ قال عبد الحميد الكاتب[٥] يوصي أهل صِناعته بمحاسن الآداب: تَنَافَسُوا[٦] يَا مَعَاشِرَ الكُتَّابِ في صُنوف الآداب، وتَفَهَّمُوا في الدِّين، وابْدَؤُوا بِعِلْم كِتَابِ الله عَزَّ وَجَلَّ ثمَّ العَرَبِيَّةِ؛ فإنَّها ثِقَافُ أَلسِنَتِكُم[٧] ثُم أَجِيدوا الْخَطَّ فإنَّهُ حِلْيَةُ كُتُبِكُمْ،

= حدوث أو استمرار، وقد يكتنفها من القرائن ما يخرجها عن أصل وضعها فتفيد الدوام والاستمرار كأن يكون الكلام في معرض المدح أو الذم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.

أما الجملة الفعلية فموضوعة لإفادة الحدوث في زمن معين مع الاختصار، فإذا قلت: «أمطرت السماء» لم يستفد السامع من ذلك إلا حدوث الإمطار في الزمن الماضي، وقد تفيد الاستمرار التجددي بالقرائن كما في قول المتنبي:

تدبر شرق الأرض والغرب كفه ... وليس لها يوماً عن المجد شاغل

فإن المدح قرينة دالة على أن التدبير أمر مستمر متجدد آناً فآناً.

والجملة الاسمية لا تفيد الثبوت بأصل وضعها ولا الاستمرار بالقرائن، إلا إذا كان خبرها مفرداً أو جملة اسمية، أما إذا كان خبرها جملة فعلية فإنها تفيد التجدد.

(١) مواضع المسند إليه الفاعل ونائبه والمبتدأ الذي له خبر وما أصله المبتدأ كاسم كان وأخواتها.

(٢) مواضع المسند هي الفعل التام، والمبتدأ المكتفي بمرفوعه، وخبر المبتدأ، وما أصله خبر المبتدأ كخبر كان وأخواتها، واسم الفعل، والمصدر النائب عن فعل الأمر.

(٣) القيود هي أدوات الشرط والنفي والمفاعيل والحال والتمييز والتوابع والنواسخ.

(٤) تنقسم الجملة عند علماء المعاني إلى جملة رئيسية وجملة غير رئيسية، والأولى هي المستقلة التي لم تكن قيداً في غيرها. والثانية ما كانت قيداً في غيرها وليست مستقلة بنفسها.

(٥) هو أبو غالب بن يحيى بن سعد، كان كاتباً مبدعاً، وقد برع في إنشاء الرسائل وضرب المثل ببلاغته في الكتابة، حتى قال الثعالبي: فتحت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد، وقد كتب لمروان آخر ملوك بني أمية وقتل معه سنة ١٣٥هـ.

(٦) تنافسوا: تباروا.

(٧) ثقاف ألسنتكم: رواج كلامكم.

وازوُوا الأشعارَ واعرِفُوا غَرِيبَها وَمَعَانِيَها وأَيَّامَ العَرَب والعَجَم وأحاديثَهَا وسيرَها، فإنَّ ذلك مُعِينٌ لكمْ عَلَى ما تَسْمُو إِلَيْهِ هِمَمُكُمْ.

٢ - قال أبو نُواس:

الرِّزْقُ والْحِرْمانُ مَجْراهُما ... بِمَا قَضَى اللّهُ وما قَدَّرَا

فاصْبِرْ إذا الدَّهْرُ نَبَا نَبْوَةً ... فَجُنَّةُ الحازِمِ أنْ يَصْبِرا[١]

إجابة (١)

الجملة	نوعها	المسند إليه	المسند
تنافسوا	إنشائية	الفاعل (واو الجماعة)	الفعل (تنافس)
يا معاشر الكتاب	إنشائية	الفاعل المستتر في الفعل (أدعو الذي نابت عنه يا)	الفعل (أدعو)
وتفهموا في الدين	إنشائية	الفاعل (واو الجماعة)	الفعل تفهم
وابدؤوا بعلم كتاب الله	إنشائية	الفاعل (واو الجماعة)	الفعل ابدأ
فإنها نفاق ألستكم	خبرية	اسم إن (الضمير المتصل)	خبر إن (نَفاق)
أجيدوا الخط	إنشائية	الفاعل (واو الجماعة)	الفعل (أجِدْ)
فإنه حلية كتبكم	خبرية	اسم إن (الضمير المتصل)	خبر إن (حلية)
وارووا الأشعار	إنشائية	الفاعل (واو الجماعة)	فعل الأمر (ارو)
واعرفوا غريبها	إنشائية	الفاعل (واو الجماعة)	فعل (اعرف)
فإن ذلك معين لكم	خبرية	اسم إن (اسم الإشارة)	خبر إن (معين)

إجابة (٢)

الجملة	نوعها	المسند إليه	المسند
الرزق والحرمان إلى آخر البيت	خبرية	المبتدأ (الرزق)	الخبر (جملة مجراهما إلخ)
فاصبر	إنشائية	الفاعل (الضمير في اصبر)	الفعل (اصبر)
فجنة الحازم أن يصبر	خبرية	المبتدأ (جنة الحازم)	الخبر (أن يصبر)

(١) نبا نبوة: أساء إساءة من قولهم نبا السيف إذا لم يعمل في الضريبة، وجنة الحاز: وقايته.

تمرينات

(١)

ميّز الجمل الخبرية من الجمل الإنشائية وعيّن المسند إليه والمسند فيما يأتي:

أ ـ مما يُنْسَبُ لعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه في رسالة إلى الحارث الهَمذاني[١]: تمسَّك بِحبْلِ القرآن واسْتَنْصِحْه وأَحِلَّ حلالَهُ وحرِّم حرَامه واعْتَبِرْ بِمَا مَضى من الدنيا ما بَقِيَ منها[٢] فإن بعضَها يُشْبِهُ بَعْضاً، وآخِرُها لاحقٌ بأوَّلها، وكلها حائلٌ مفارقٌ[٣]، وعظِّم اسْمَ اللهِ أن تَذْكُرَهُ إلاَّ على حقّ[٤].

ب ـ ومما يُنْسَبُ إليه أيضاً:

تَوَقوا البَرْدَ في أوَّلِهِ، وتَلَقَّوْه في آخِره فإنه يَفْعَلُ بالأبدانِ كَفِعْله في الأشْجَارِ، أوَّلُهُ يخرِقُ، وآخِرُهُ يُورق.

جـ ـ وكَتَبَ بعض البلغاء في الاستعطاف:

لُذْتُ بعفوكَ، واسْتَجَرْتُ بصَفْحِكَ، فأَذِقْنِي حَلاَوَةَ الرِّضا، وأَنْسِنِي مَرَارةَ السُّخط فيما مَضَى.

(٢)

تفهَّم الأبيات الآتية، وميِّز فيها الجملَ الخبريةَ من الجمل الإنشائية، وعيِّن المسند إليه والمسند في كل جملة.

أ ـ قال صاحب العِقْد الفريد[٥] يصِفُ الدُّنيا:

ألا إنـمـا الـدُّنْـيـا نَـضَـارةُ أَيْـكَـةٍ ... إذَا اخْضَرَّ منها جانِبٌ جَفَّ جانِبُ[٦]

---

(١) هو الحارث بن عبد الله بن كعب الهمذاني الكوفي، كان راوية لعلي بن أبي طالب كرّم الله وجهه، وهو من الطبقة الأولى من التابعين من أهل الكوفة، توفي سنة ٧٠هـ.

(٢) اعتبر: قس، والمعنى قس الباقي بالماضي.

(٣) حائل: متغير.

(٤) أي لا تحلف بالله إلا على حق تعظيماً له وإجلالاً.

(٥) هو أحمد بن محمد القرطبي المشهور بابن عبد ربه، كان عالماً أديباً كثير الحفظ والاطلاع على أخبار الناس، وقد اشتهر بكتابه العقد الفريد، توفي سنة ٣٢٨هـ.

(٦) النضارة: الحسن والرونق، والأيكة: الشجرة.

هيَ الدارُ ما الآمالُ إلا فَجائعٌ عليها ولا اللذاتُ إلا مَصائبُ
فلا تَكْتَحِلْ عَيْناكَ فيها بِعَبْرَةٍ على ذاهبٍ منها فإنَّكَ ذاهبُ[1]

ب ـ وقال ابن المعتز:

لَيْسَ الكريمُ الذي يُعْطِي عَطِيَّتَهُ عن الثناءِ وإنْ أغْلى به الثَّمَنا
بل الكَرِيمُ الذي يُعْطِي عَطِيَّتَهُ لِغَيْرِ شَيْءٍ سِوى اسْتِحْسانِهِ الحَسَنا
لا يَسْتَثِيبُ بِبَذْلِ العُرْفِ مَحْمَدَةً ولا يَمُنُّ إذا ما قَلَّدَ المِنَنا[2]

(٣)

أُنثر البيتين الآتيين نثراً فصيحاً، ثم عَيِّن الجمل الخبرية والجمل الإنشائية التي تأتي بها في نثرك:

ولا تَصْطَنِعْ إلا الكِرَامَ فإنهم يُجازُونَ بالنُّعماءِ مَنْ كان مُنْعِما[3]
ومَنْ يَتَّخِذْ عند اللئامِ صَنِيعةً تَجِدْهُ على آثارها مُتَنَدِّما[4]

(٤)

أ ـ صف حياة القَرَوِيِّين في أُسلوب خَبرِي لا يتخلله شيء من الجمل الإنشائية.

ب ـ اكتب إلى أرْمَدَ ترجو له الشفاء، وتنصحه بما يساعده على السلامة من دائه وضَمِّن رسالتك إليه طائفةً من الجمل الإنشائية.

---

(١) العبرة: الدمعة قبل أن تفيض.

(٢) يستثيب: يسأل أن يثاب. والعرف: المعروف. والمحمدة: الحمد. ويمن: يمتن بتعداد النعم. وقلد المنن: أولاها. والمنن: جمع منة وهي النعمة، يقول: إن الكريم هو الذي يبذل المعروف ولا يطلب عليه حمداً، ويولي الجميل ولا يمتن به.

(٣) اصطنع الكرام: أحسن إليهم، والنعماء: النعمة والإحسان.

(٤) الصنيعة: اليد والإحسان.

الْخَبَرُ

(١) الغرضُ مِنْ إِلْقَاء الْخَبر

الأمثلة:

١ ـ وُلِدَ النَّبيُّ ﷺ عَامَ الفِيلِ[١]، وَأُوحيَ إِلَيْهِ فِي سِنِّ الأَرْبَعينَ، وَأَقَامَ بِمَكةَ ثَلاثَ عشرَةَ سَنَةً، وَبالْمَدِينَةِ عَشراً.

٢ ـ كانَ عُمَرُ بنُ عبدِ العزيزِ[٢] لا يَأْخُذُ مِنْ بَيْتِ المال شيئاً، وَلاَ يُجْرِي عَلَى نَفْسِهِ مِنَ الْفَيْءِ[٣] دِرْهَماً.

* * *

٣ ـ لَقَدْ نَهَضْتَ مِنْ نَوْمِكَ اليومَ مُبَكّراً.

٤ ـ أَنْتَ تَعْمَلُ فِي حَدِيقَتِك كلَّ يَوْم.

* * *

٥ ـ قال يَحيَى البَرْمَكيُّ[٤] يُخاطِبُ الخليفةَ هَارُونَ الرَّشيد[٥]:

---

(١) عام الفيل: هو العام الذي غزا فيه أبرهة ملك اليمن مكة، ثم رجع عنها خائباً بعد أن تفشى المرض في جنده ومات فيه.

(٢) هو الخليفة الصالح والملك العادل عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي. ولي الخلافة سنة ٩٩هـ وتوفي سنة ١٠١هـ، وأخبار عدله وزهده كثيرة مشهورة.

(٣) الفيء: الخراج والغنيمة.

(٤) هو أبو الفضل يحيى بن خالد بن برمك وزير هارون الرشيد، كان كاتباً بليغاً صائب الرأي حسن التدبير يباري الريح كرماً وجوداً، سجنه هارون الرشيد حين تغير على البرامكة، وبقي في سجنه حتى مات سنة ١٩٠هـ.

(٥) هو أحد الخلفاء العباسيين المشهورين بالفضل والفصاحة والكرم، كان يحب الشعراء ويميل إلى أهل الأدب والفقه، بويع بالخلافة سنة ١٧٠ وتوفي بطوس سنة ١٩٢هـ.

إنَّ الـبـرامـكـةَ الـذيـ ـنَ رُمُـوا لَدَيْـك بـداهِـيَـهْ
صُـفْـرُ الـوُجُـوهِ عَـلَيْـهِـمُ خِـلَعُ[1] الـمَـذَلَّةِ بَـادِيَـهْ

٦ ـ قال الله تعالى حكاية عن زكريًا عليه السلام:

﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾.

٧ ـ قال أحد الأعراب يرثي وَلَدَهُ:

لـمَّـا دَعَـوْتُ الـصَّـبْـرَ بَـعْـدَكَ وَالأَسَـى أجَابَ الأَسَى طَوْعاً وَلَمْ يُجِب الصَّبْرُ[2]
فـإن يَـنْـقَـطِـعْ مِـنْـكَ الـرَّجـاءُ فـإنَّـهُ سَيَبْقَى عَلَيْكَ الحُزْنُ مَا بَقيَ الدَّهْرُ

٨ ـ قال عَمْرُو بْنُ كُلْثوم[3]:

إذا بَـلَغَ الـفِـطَـامَ لَنَـا صَـبِـيٌّ تَـخِـرُّ لَهُ الـجـبـابِـرُ سَـاجِـدِيـنـا

٩ ـ كَتَبَ طَاهِرُ بْنُ الحُسَيْن[4] إلى العباس بن موسى الهادِي[5] وقد اسْتَبطأهُ في خَرَاجِ ناحيته:

وَلَيْـسَ أخُو الـحاجاتِ مَنْ باتَ نائماً ولكِـنْ أخُـوهـا مَـنْ يَـبـيـت عـلى وَجَـلْ

البحث:

تدبَّر المثالين الأولين تجد المتكلم إنما يَقْصِد أن يُفيد المخاطب الحكم الذي تضمنه الخبرُ في كل مثال، ويسمَّى هذا الحكم فائدة الخبر فالمتكلم في المثال الأول يريد أن يفيد السامع ما كان يجهله من مَوْلِدِ الرسول، وتاريخ الإيحاءِ إليه، والزمن الذي أقامه بعد ذلك في مكة والمدينة. وهو في المثال الثاني يخبره بما لم يكن يعرفه عن عُمَرَ بن عبد العزيز من العِفة والزُّهْد في مال المسلمين.

تأمل بعد ذلك المثالين التاليين، تجد المتكلم لا يَقْصِد منهما أن يُفيد السامع

---

(١) الخلع: الملابس، يقول: إن ملابس الذل ظاهرة عليهم.

(٢) الأسى: الحزن.

(٣) هو أبو الأسود عمرو بن كلثوم ينتهي نسبه إلى تغلب، وهو صاحب المعلقة التي مطلعها: «ألا هبّي بصحنك فأصبحينا».

(٤) هو أبو الطيب طاهر بن الحسين من كبار الوزراء أدباً وحكمة وشجاعة، وهو الذي وطّد الملك للمأمون العباسي وتوفي بمدينة مرو سنة ٢٠٧هـ.

(٥) هو ثالث أبناء موسى الهادي الخليفة العباسي الرابع، كان عاملاً على الكوفة من قبل الأمين، وتوفي سنة ١٩٦هـ.

شيئاً مما تضمنه الكلام من الأحكام؛ لأنّ ذلك معلومٌ للسامع قبل أن يعْلمه المتكلم، وإنما يريد أن يبين أنه عالم بما تضمنه الكلام. فالسامع في هذه الحال لم يستفد علماً بالخبر نفْسِه، وإنما استفاد أن المتكلم عالم به، ويسمى ذلك لازم الفائدة.

انظر إلى الأمثلة الخمسة الأخيرة تجد أن المتكلم في كل منها لا يقصد فائدة الخبر ولا لازم الفائدة، وإنما يَقْصِد إلى أشياء أُخرى يَسْتطلعها اللبيب ويَلمَحُها منْ سِياق الكلام، فيحيى البرمكي في المثال الخامس لا يقصد أن ينبيء الرشيد بما وصل إليه حاله وحال ذوي قُرْباه من الذلّ والصّغار؛ لأن الرشيد هو الذي أَمَرَ بِهِ فهو أولى بأن يعلمه، ولا يريد كذلك أن يفيده أنه عالم بحال نفسه وذوي قرابته. وإنما يَستعطفه ويَسترحمه ويرجو شفقته، عسى أن يُصْغي إليه فيعودَ إلى البرّ به والعطف عليه.

وفي المثال السادس يصف زكريا عليه السلام حالَه ويُظهر ضعفه ونفاد قوته. والأعرابي في المثال السابع يتحسّر ويُظهر الأسى والحزن على فَقْدِ ولده وفلْذةِ كَبِدِه. وعمْرو بن كلثوم في المثال الثامن يَفخَر بقومه، ويباهي بما لهم من البأْس والقوة: وطاهرُ بنُ الحسين في المثال الأخير لا يقصد الإخبار. ولكنه يَحُثُّ عامله على النشاط والجِدّ في جباية الخراج.

وجميع هذه الأغراض الأخيرة إنما تُفهَم من سياق الكلام لا من أَصْل وضْعِهِ.

القواعد

٣٠ ـ ألأَصْلُ في الخَبر أن يُلقى لِأحَدِ غَرَضَيْن:

أ ـ إِفَادَةُ المخاطَبِ الحُكْمَ الذي تَضَمَّنَتْهُ الجُمْلَةُ، وَيُسَمَّى ذلك الْحُكْمُ فَائِدَةَ الخَبر.

ب ـ إِفادة المخاطَبِ أَنَّ المتكلِّم عالِمٌ بالحكْمِ، ويُسَمَّى ذلك لازِمَ الفائِدَةِ.

٣١ ـ قَدْ يُلْقَى الخَبرُ لأغراضٍ أُخْرَى تُفْهَمُ مِنَ السِّيَاق، مِنها ما يأْتي:

أ ـ الاِسْتِرْحامُ.

ب ـ إِظْهارُ الضّعْف.

جـ ـ إِظْهارُ التّحَسُّر.

د ـ الفَخْرُ.

نَموذَجٌ
في بيان أَغراض الأَخبار

١ ـ كان مُعاوِيةُ[١] رضي الله عنه حَسَنَ السِّياسةِ والتَّدْبيرِ، يحْلُمُ في مواضع الحِلْم، وَيَشْتَدُّ في مواضِعِ الشِّدَّة.

٢ ـ لَقَدْ أَدَّبْتَ بَنِيكَ باللين والرِّفقِ لا بالقَسْوَةِ والعِقاب.

٣ ـ تُوفِّيَ عُمَرُ بنُ الخطّاب رضي الله عنه سَنَةَ ثلاثٍ وعشرين من الهجرة.

٤ ـ قال أبو فِراس الحَمْدَانيُّ:

وَمَكَارمي عَدَدُ النجوم ومنزلي ... مَأْوَى الكِرَام وَمَنزل الأَضْيَاف

٥ ـ قال أبو الطيب:

وَمَا كلُّ هاوٍ للْجَميل بفاعِل ... وَلا كُلُّ فَعَّالٍ لَهُ بِمُتَمِّمِ

٦ ـ وقال أيضاً يَرثي أُخْتَ سَيْفِ الدَّوْلة:

غَدَرْتَ يا مَوْتُ كَمْ أَفْنَيْتَ مِنْ عدَدٍ ... بِمَنْ أَصَبْتَ وَكَمْ أَسْكَتَّ مِنْ لجَبِ[٢]

٧ ـ قال أبو العتاهية يَرثي وَلَدَهُ عليًا:

بكَيتكَ يا عليُّ بدمْعِ عيْني ... فَمَا أَغْنى البُكاءُ عليك شَيَّا

وكانَتْ في حَيَاتك لي عِظاتٌ ... وأَنْتَ اليَوْمَ أَوْعظُ مِنْكَ حَيَّا

٨ ـ إنَّ الثمانينَ وبُلِّغْتَها ... قد أحوجت سمعي إلى تَرْجُمانِ

٩ ـ قال أبو العلاءِ المعرّي:

وَلِي منطِقٌ لَمْ يرْضَ لي كُنْهَ مَنزِلي ... عَلَى أَنَّنِي بيْنَ السِّمَاكَيْنِ نازلُ[٣]

١٠ ـ قال إبراهيمُ بن المَهْدِيّ[٤] يخاطب المأمون:

---

(١) هو من أجلّة الصحابة، وأحد كتّاب النبي ﷺ، يُضرب المثل بحلمه وكياسته، وهو أول ملوك الدولة الأموية، استقام له الملك عشرين سنة، وتوفي سنة ٦٠هـ.

(٢) اللجب: الضجيج واختلاط الأصوات، يقول: غدرت يا موت بسيف الدولة حين اغتلت أخته، وكنت تفنى به العدد الكثير من أعدائه وتسكت لجبهم.

(٣) السماكان: نجمان نيران يقال لأحدهما الأعزل وللآخر الرامح، يقول: إن له عقلاً ولساناً جعلاه يستصغر المنزلة الرفيعة التي هو فيها، على أنها لرفعتها تشبه ما بين السماكين.

(٤) إبراهيم بن المهدي هو عم المأمون وأخو هارون الرشيد، كان وافر الفضل غزير الأدب، لم يرَ في أولاد الخلفاء أفصح منه لساناً ولا أحسن منه شعراً. بويع له بالخلافة ببغداد سنة ٢٠٢هـ، ومات بسر من رأى سنة ٢٢٤هـ.

أتَيْتُ جُرْماً شنيعاً وأنتَ لِلْعَفْوِ أهْلُ
فإنْ عفَوْتَ فَمَنٌّ وإنْ قَتَلْتَ فَعَدْلُ

الإجابة

١ ـ الغرض إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنه الكلام.

٢ ـ الغرض إفادة المخاطب أن المتكلم عالم بحاله في تهذيب بنيه.

٣ ـ الغرض إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنه الكلام.

٤ ـ الغرض إظهار الفخر، فإن أبا فِراس إنما يُريد أن يفاخر بمكارمه وشمائله.

٥ ـ الغرض إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنه الكلام؛ فإن أبا الطيب يريد أن يبين لسامعيه ما يراه في بعض الناس من التقصير في أعمال الخير.

٦ ـ الغرض إظهار الأسى والحزن.

٧ ـ الغرض إظهار الحزن والتحسُّر على فقد ولده.

٨ ـ الغرض إظهار الضعف والعجز.

٩ ـ الغرض الافتخار بالعقل واللسان.

١٠ ـ الغرض الاسترحام والاستعطاف.

تمرينات

(١)

بيِّن أغراض الكلام فيما يأتي:

١ ـ مَنْ أَصْلَحَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللّهِ أَصْلَحَ اللّهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الناس، ومَنْ أَصْلَحَ أَمْرَ آخِرَتِهِ أَصْلَحَ اللّهُ لَهُ أَمْرَ دُنْياه، ومَنْ كان له من نفسه واعِظٌ كان عليه من الله حافظ.

٢ ـ إنك لَتَكْظِمُ الغَيْظَ، وتَحْلُمُ عند الغضب، وتَتَجاوزُ عند القُدْرة، وتَصْفحُ عن الزلَّة.

٣ ـ قال أبو فِراس الْحَمْدَانيُّ:

(١) ادلهم الليل: اشتدت ظلمته، وادلهم الخطب: اشتد وعظم.

إنّـا إذا اشـتـدّ الـزمـا … نُ ونـابَ خَـطْـبٌ وادْلَهَـمْ[١]
ألـفـيْـتَ حَـوْلَ بـيُـوتِـنـا … عُـدَدُ الـشُّـجَـاعَـةِ والـكَـرَمْ[٢]
لِلِقَـا الـعِـدَا بِـيـضُ الـسـيـو … فِ ولـلـنّـدى حُـمْـرُ الـنّـعَـمْ[٣]
هـــذا وهـــذا دأبُـــنـــا … يُـــودَى دمٌ ويُـــراقُ دمْ[٤]

٤ ـ قال الشاعر:

مَضَت اللّيالي البيضُ في زَمَنِ الصِّبَا … وَأَتَـى الْمَـشِـيـبُ بِـكـلّ يـوْمٍ أسْـودِ

٥ ـ قال مرْوانُ بْنُ أبي حَفْصَة[٥] من قصيدة طويلة يَرْثِي بها معْن بن زائدة[٦]:

مَـضَـى لـسـبـيـلـه مَـعْـنٌ وَأبْـقـى … مـكَـارِمَ لَن تَـبـيـد ولـن تُـنـالا[٧]
كـأن الـشَّـمْـسَ يَـوْمَ أُصِـيـب مَـعْـنٌ … مِـنَ الإظْـلام مُـلْبَـسَـةٌ ظِـلالا
هـوَ الـجَـبَـلُ الَّذِي كـانـت نِـزَارٌ … تَـهُـدّ مِـنَ الـعـدو بـه الْجِـبـالا[٨]
فـإنْ يَـعْـلُ الـبـلَادَ لـه خُـشُـوعٌ … فـقـد كـانـتْ تـطُـولُ بـه اخْـتِـيـالا[٩]
أصَـابَ الـمـوْتُ يَـوْمَ أصـاب مَـعْـنـاً … مِـنَ الأحْـيـاءِ أكْـرَمَـهُـمْ فَـعـالا[١٠]
وَكـان الـنَّـاسُ كـلـهـمُ لِمَـعْـنٍ … إلَى أنْ زار حُـفْـرَتَـه عِـيَـالا[١١]

٦ ـ وقال آخر:

فـمـا لـي حـيـلـةٌ إلّا رَجـائي … لِعَـفْـوِكَ إنْ عَـفَـوْتَ وحُـسْـنَ ظَـنّـي

---

(١) عدد الشجاعة: آلات الحرب. وعدد الكرم: وسائل الجود والعطاء.

(٢) حمر النعم: الإبل الحمراء.

(٣) يودى دم: تعطى ديته، أي نحن شجعان نقتل أعداءنا وبعد الظفر نؤدي دية القتلى، ويراق دم: يسال للقرى. وقد تكون يودى من ودى بمعنى سال ويقصد به سفك دم الأعداء.

(٤) ولد مروان باليمامة، وقدم بغداد ومدح المهدي وهارون الرشيد، واتصل بمعن بن زائدة ومدحه ورثاه بقصائد غراء فضل بها على شعراء زمانه، وتوفي ببغداد سنة ١٨١هـ.

(٥) هو أبو الوليد معن بن زائدة، كان جواداً شجاعاً جزيل العطاء، خصّه مروان بن أبي حفصة بأكثر مدائحه وقد عاش في دولتي بني أمية وبني العباس، ثم قتله قوم من الخوارج سنة ١٥١هـ.

(٦) لن تبيد ولن تنال: أي لن يفنى ذكرها ولن يستطيع أحد أن يكون له مثلها.

(٧) نزار قبيلة من قبائل العرب أبوها نزار بن معد.

(٨) الخشوع: السكون وغض الصوت والبصر، تطول: تمتد، والاختيال: الكبر، يقول: إن أصاب البلاد لموته خشوع غضّ من أبصارها فقد رفعت بحياته رأسها مباهاة وكبراً.

(٩) الفعال بالفتح: الفعل وهو مصدر كالذهاب.

(١٠) عيال الرجل: مَن يعولهم وهو جمع عيل.

فَـكَـمْ مِـنْ زَلَّةٍ لِي فـي الـخَـطَـايـا ... عـضَـضْـتُ أنـامِـلي وقَـرعْـتُ سِـنِّي[١]
يَـظُـنُّ الـنَّـاسُ بـي خَـيْـراً وَإِنّـي ... لَشَـرُّ الـخَـلْقِ إنْ لَمْ تَـعْـفُ عَـنِّـي

٧ ـ قال أبو نواس في مرض موته:

دَبَّ فِـيَّ الـسَّـقَـامُ سُـفْـلًا وَعُـلْوَا ... وأُرَانِـي أَمُـوتُ عُـضْـواً فَـعُـضْـوَا
ذَهَـبَـتْ جِـدَّتِـي بِـطَـاعَـةِ نَـفْـسِـي ... وتَـذَكَّـرتُ طَـاعَـةَ الله نِـضْـوَا[٢]
لـهـفَ نَـفْـسِـي عـلى لَيَـالٍ وَأَيَّـا ... مٍ تَـجَـاوَزْتُـهُـنَّ لِعْـبـاً ولَهْـوَا
قَـدْ أَسَـأنَـا كُـلَّ الإسَـاءةِ فَـالـلْـ ... ـهُـمّ صَـفْـحـاً عَـنَّـا وغَـفْـراً وعَـفْـوَا

٨ ـ إنك إذا رأيتَ في أخيك عَيْباً لم تكتمْهُ.

٩ ـ قال ابن نُباتَةَ السعديُّ:

يـفُـوتُ ضَـجِـيـعَ الـتُّـرُّهـاتِ طِـلابُـه ... ويدْنُو إلى الحاجَاتِ مَنْ بَات ساعيَا[٣]

١٠ ـ قال الأميرُ أبو الفَضْلِ عُبَيْدُ الله[٤] في وصف يوم ماطر:

دهَـتـنـا الـسَّـمَـاءُ عـلى حِـينِ صَحْـوٍ ... بِـغَـيْـثٍ عـلى هـامِـنَـا مُـسْـبِـلِ
وأَشْـرَفَ أصـحـابُـنـا مِـنْ أذَاهُ ... عـلى خَـطَـرٍ هـائـلٍ مُـبْـسِـلِ
فَـمِـنْ لائـذٍ بِـفِـنَـاءِ الـجِـدارِ ... وآوٍ إلـى نَـفَـقٍ مُـهْـمَـلِ
وَجَـادَتْ عـلـيـنـا سَـمَـاءُ الـسُّـقُـوف ... بـدَمْـعٍ مِـنَ الـوجْـدِ لَـمْ يَـهْـمُـلِ[٥]

١١ ـ قال الجاحظ[٦]:

---

(١) عضضت أناملي وقرعت سني: أي ندمت من أجلها.

(٢) جد الشيء جدة صار جديداً، والنضو: الثوب الخلق والبعير المهزول، يقول: إنه أطاع هواه في أيام شبابه ولم يتذكر طاعة الله إلا وقت الهرم والضعف.

(٣) الضجيع: المضاجع، والترهات: الأباطيل والأماني الكاذبة، والطلاب: الشيء المطلوب، يقول: لا يدرك غايته إلا الساعي المجد، أما الذي يعلل نفسه بالأماني الكاذبة ولا يشمر عن ساعد الجد في سبيل الحصول عليها فعاقبته الحرمان.

(٤) هو أبو الفضل الميكالي، كان واحد خراسان في عصره أدباً وفضلاً ونسباً. وله ديوان رسائل، وديوان شعر، وتصانيف أخرى كثيرة، توفي سنة ٤٣٦هـ.

(٥) هملت العين: سال دمعها، يقول: إن بكاء السقوف لم يكن بسبب الحزن كما هو المألوف بل كان بسبب المطر.

(٦) هو أبو عثمان عمرو بن بحر المعروف بالجاحظ، كان عالماً أديباً وله تصانيف في فنون كثيرة، وإليه تنسب الطريقة المعروفة بالجاحظية من المعتزلة، ومن أحسن تصانيفه كتاب الحيوان وكتاب البيان والتبيين، توفي سنة ٢٥٥هـ.

اَلْمَشُورَةُ لِقَاحُ العقول، ورائِد الصواب. والْمُسْتَشِير عَلَى طَرَف النّجاح، واستنارة المرءِ برأيِ أخيه من عَزم الأُمور وحزْمِ التدبير.

١٢ ـ قال المتنبي وهو مريض بالحمّى:

أَقَمْتُ بأرْضِ مِصْر فلَا ورائي ... تَخُبُّ بيَ الرِّكابُ ولا أمامي[١]

وَمَلَّنِيَ الْفِرَاشُ وكان جنبي ... يَمَلُّ لِقَاءه في كُلِّ عَامِ[٢]

(٢)

أنثر قول أبي الطيب، وبيّن غرضه:

إنـي أُصاحب حلْمي وَهْوَ بِي كَرَمٌ ... ولا أُصَاحبُ حِلْمي وهْوَ بِي جُبُنُ

ولا أُقيمُ على مالٍ أَذِلُّ به ... ولا أَلَذُّ بما عِرْضِي بِهِ دَرِنُ[٣]

(٣)

صف وطنك واجعل غرضك من الوصف الفخر بمكانه، وهوائه، وصفاء سمائه، وخِصْب أرضه وارتقاء عُمرانه.

(٤)

١ ـ كوّن ست جمل خبرية تكون الثلاث الأُولى منها لإفادة المخاطب حكمها، والثلاث الأَخيرة لإفادته أنك عَالم بالحكم.

٢ ـ كوّن ثلاث جمل تفيد بسياقها وقرائن أحوالها الاستعطافَ وإظهارَ الضعف والتحسُّر.

٣ ـ كوّن ثلاث جمل تفيد بسياقها وقرائن أحوالها الحثَّ على السعي والتوبيخ والفخر على الترتيب.

---

(١) تخب: تعدو، والركاب: الإبل، يعني أنه لزم الإقامة بمصر فلم يبرحها لضعفه.

(٢) يعني أن مرضه طال حتى ملّه فراشه بعد أن كان هو يمل الفراش ولو لقيه مرة كل عام.

(٣) الدرن: الوسخ.

(٢) أَضْرُب الخَبر

الأمثلة:

١ ـ كَتَبَ معاوية إلى أحد عُمّاله فقال:

لا يَنْبَغِي لَنَا أن نَسُوس الناسَ سياسةً واحدةً، لا نَلِينُ جميعاً فَيَمْرَح[1] الناسُ في المَعْصِيَة، ولا نَشْتَدُّ جميعاً فَنَحْمِلَ الناسَ على المهالك، ولكنْ تكونُ أنت للشِّدّةِ والغِلْظَة، وأكون أنا لِلرَّأفةِ والرحمة.

٢ ـ قال أبو تمام:

يَنالُ الفَتى مِنْ عَيْشِهِ وَهْوَ جاهِلٌ
ويُكْدِي الفتى في دَهْرِهِ وَهْوَ عالِمُ[2]

ولَوْ كانت الأرزاقُ تَجْري على الحِجا[3]
هَلَكْنَ إذاً مِن جَهْلِهِنَّ البَهائِمُ

* * *

٣ ـ قال الله تعالى:

﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[4].

٤ ـ قال السَّريّ الرَّفاء:

---

(١) يمرح: ينشط ويتبختر.

(٢) يكدي: يقل ماله.

(٣) الحجا: العقل.

(٤) المعوقين: من قولهم عوقه عن الأمر صرفه عنه وثبطه، هلم: تعالوا، والبأس: الحرب، والمعنى أن الله يعلم المنافقين الذين يثبطون أمثالهم عن نصرة النبي ﷺ، ويقولون لهم: تعالوا معنا ودعوا محمداً، وهم مع هذا يحضرون الحرب ساعة مع المسلمين رياء منهم ونفاقاً ثم يتسللون.

إنَّ البِنَاء إذا ما انْهَدَّ جَانِبُهُ   لم يأمَنِ النَّاسُ أن يَنْهَدَّ باقِيهِ

* * *

٥ - قال أبو العباس السفاح[١]:

لأعْمِلَنَّ اللِّينَ حتّى لا يَنْفَعَ إلا الشِّدةُ، ولأُكْرِمَنَّ الخاصة ما أمِنْتُهم على العامّة، ولأغْمِدَنَّ سَيفي حتى يَسُلَّه الحق، ولأُعْطِيَنَّ حتى لا أرى للعطية مَوْضعاً.

٦ - قال الله تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ[٢] فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾.

٧ - واللهِ إنّي لأخُو هِمّةٍ   تَسْمُو إلى المجد ولا تَفْتُر[٣]

البحث:

إذا تأملت الأمثلة المتقدمة وجدتها أخباراً، ووجدتها في الطائفة الأولى خالية من أدوات التوكيد. وفي الطائفتين الأخيرتين مؤكدة بمؤكِّد أو مؤكِّدين أو أكثر، فما السر في هذا الاختلاف؟ إذا بحثت لم تجد لذلك سبباً سوى اختلاف حال المخاطب في كل موطن، فهو في أمثلة الطائفة الأولى خالي الذهن من مضمون الخبر، ولذلك لم يرَ المتكلم حاجة إلى توكيد الحكم له، فألقاه إليه خالياً من أدوات التوكيد، ويسمى هذا الضرب من الأخبار ابتدائيًا.

أما في الطائفة الثانية فالمخاطب له بالحكم إلمام قليل يمتزج بالشك، وله تشوُّف إلى معرفة الحقيقة، وفي مثل هذه الحال يحسن أن يلقى إليه الخبر وعليه مِسْحَةٌ من اليقين تجلو له الأمر وتدفع عنه الشبهة؛ ولذلك جاء الكلام في المثال الثالث مؤكداً بـ«قد» وفي الرابع مؤكداً بـ«إن» ويسمى هذا الضرب طلبيًّا.

أما في الطائفة الأخيرة فالمخاطب مُنْكِرٌ للحكم جاحد له. وفي مثل هذه الحال يجب أن يُضمَّن الكلامُ من وسائل التقوية والتوكيد ما يدفع إنكار المخاطب ويدعو إلى التسليم، ويجب أن يكون ذلك بقدر الإنكار قوةً وضعفاً ولذلك جاء الكلام في المثالين الخامس والسادس مؤكداً بمؤكّدين هما القسم ونون التوكيد. أما في المثال

---

(١) هو أول الخلفاء العباسيين، بويع بالخلافة سنة ١٣٢هـ، وكان جواداً كريم الأخلاق، توفي بالأنبار سنة ١٣٦هـ.

(٢) لتبلون: لتخبرن.

(٣) تفتر: تضعف.

الأخير فقد فرض الشاعر أن الإنكار أقوى. ولهذا أكده بثلاث أدوات هي: القسم وإنّ واللام، ويسمى هذا الضرب إنكاريًّا.

ولتوكيد الخبر أدوات كثيرة سنأتي عند ذكر القواعد على طائفة صالحة منها.

القواعد

(٣٢) لِلْمخَاطِبِ ثَلاثُ حالات:

أ ـ أن يَكونَ خالِيَ الذِّهْنِ مِنَ الحُكْمِ، وفي هذه الحال يُلْقَى إلَيْهِ الخبَرُ خالياً مِنْ أدواتِ التوكيد، ويُسَمَّى هذا الضَّرْبُ من الخَبر ابتدائيًّا.

ب ـ أن يكونَ مُتَرَدِّداً في الحكُم طالباً أنْ يَصِلَ إلى اليقين في مَعْرِفَتِهِ، وفي هذه الحال يَحْسُنُ توكيدُهُ له لِيَتَمَكَّنَ مِنْ نفسه، ويُسَمَّى هذا الضَّرْبُ طلبيًّا.

جـ ـ أنْ يَكون مُنْكراً لهُ، وفي هذه الحال يَجبُ أنْ يُؤَكَّدَ الْخَبَر بمؤكِّدٍ أَوْ أَكْثَرَ على حَسَب إِنكاره قوّةً وضَعْفاً، وَيُسَمَّى هذا الضَّرْبُ إنكاريًّا[١].

(٣٣) لِتَوْكِيدِ الْخَبَرِ أَدَواتٌ كثيرَةٌ منها إنّ، وأنّ، والقَسمُ ولامُ الابْتِدَاءِ، ونُونَا التَّوْكِيدِ، وأَحْرُفِ التَّنبيه، والْحُرُوفُ الزَّائِدَةُ، وقَدْ، وأَمّا الشَّرْطِيَّةُ.

نَمُوذَجٌ
في تَعْيِين أَضرُبِ الخَبَر وأَدواتِ التَّوْكيد

١ ـ قال أبو العتاهية:

إنِّـي رأيْـتُ عَـوَاقِـب الـدُّنْـيَـا فَـتَـركْـتُ ما أَهْـوَى لِمَـا أَخْـشَـى

٢ ـ قال أبو الطيب:

---

(١) وضع الخبر ابتدائيًا أو طلبيًا أو إنكاريًا إنما هو على حسب ما يخطر في نفس القائل من أن سامعه خالي الذهن أو متردد أو منكر، وقد يعدل المتكلم أحياناً عن التأكيد، وقد يؤكد ما لا يتطلب التأكيد لأغراض سنبينها بعد.

عَلَى قَدْرِ أهلِ العَزْمِ تأتي العزائمُ ... وتأتي على قَدْرِ الكرام المكارِمُ[١]
وتَكْبُرُ في عَيْنِ الصغيرِ صِغارُها ... وتَصْغُرُ في عَيْنِ العظيمِ العظائِمُ[٢]

٣ ـ قال حسّان بن ثابت رضي الله عنه:

وَإِنّي لَحُلْوٌ تَعْتَرِيني مَرَارَةٌ ... وإني لتَرّاكٌ لِمَا لَمْ أُعَوَّدِ

٤ ـ قال الأرجانيّ[٣]:

إنّا لفِي زَمَنٍ مَلآنَ مِنْ فِتَنٍ ... فَلا يُعَابُ بِهِ مَلآنُ مِنْ فَرَقِ[٤]

٥ ـ قال لبيد[٥]:

ولقَدْ عَلِمْتُ لَتَأْتِيَنّ مَنِيّتِي ... إنّ المَنَايا لا تَطِيشُ سِهامُهَا[٦]

٦ ـ قال النّابغَةُ الذُّبْيَانِيُّ:

ولَسْتَ بِمُسْتَبْقٍ أخاً لا تَلُمُّهُ ... على شَعَثٍ أيُّ الرّجال المُهَذّبُ[٧]

٧ ـ قال الشريف الرضيّ:

قد يَبْلُغُ الرّجُلُ الجَبَانُ بِمَالِه ... مَا لَيْسَ يَبْلُغُه الشُّجَاعُ المُعْدِمُ

---

(١) العزائم: جمع عزيمة وهي الإرادة، والمكارم: جمع مكرمة اسم من الكرم، والمعنى أن العزائم والمكارم تأتي على قدر فاعليها، ويقاس مبلغها بمبلغهم، فتكون عظيمة إذا كانوا عظاماً.

(٢) الضمير في صغارها يعود على العزائم والمكارم، أي أن الصغير منها يعظم في عين الصغير القدر لأنه يستنفد همته، والعظيم يصغر في عين العظيم القدر لأن في همته زيادة عليه.

(٣) هو القاضي ناصح الدين أبو بكر الأرجاني، والأرجاني نسبة إلى أرجان «بلد بفارس»، كان فقيهاً شاعراً كثير الشعر رقيقه، وقد توفي سنة ٥٤٥هـ.

(٤) الفرق: الخوف.

(٥) هو لبيد بن ربيعة أحد الشعراء المجيدين والفرسان المعمرين أسلم وحسن إسلامه، قيل إنه مات وعمره ١٤٥ سنة، عاش منها ٩٠ سنة في الجاهلية، وله المعلقة المشهورة.

(٦) لا تطيش: أي لا تخطىء، وكل سهم يخطىء ويصيب إلا سهم المنية فإنه قاتل لا محالة.

(٧) لا تلمه: أي لا تجمعه إليك، والشعث: اتساخ الرأس من الغبار، والمقصود على ما به من الهفوات، ومعنى قوله أي الرجال المهذب: ليس في الناس كامل لا عيب فيه.

الإجابة

رقم العبارة	الجملة	ضرب الخبر	أدوات التوكيد
١	إني رأيت	طلبي	إنّ
	فتركت ما أهوى	ابتدائي	
٢	على قدر أهل العزم إلخ	ابتدائي	
	وتأتي على قدر الكرام إلخ	ابتدائي	
	وتكبر في عين الصغير إلخ	ابتدائي	
	وتصغر في عين العظيم إلخ	ابتدائي	
٣	وإني لحلو تعتريني مرارة	إنكاري	إنّ واللام
	وإني لتراك	إنكاري	إنّ واللام
٤	إنا لفي زمن إلخ البيت	إنكاري	إنّ واللام
	فلا يعاب إلخ	ابتدائي	
٥	ولقد علمت	إنكاري	القسم وقد
	إن المنايا لا تطيش سهامها	طلبي	إنّ
٦	ولست بمستبق إلخ	طلبي	الباءُ الزائدة
٧	قد يبلغ الرجل الجبان إلخ	طلبي	قد

تمرينات

(١)

بيّن أضرب الخبر فيما يأتي وعيّن أداة التوكيد:

١ ـ جاء في نَهج البلاغة:

الدَّهرُ يُخلِقُ الأَبدانَ، ويُجَدِّدُ الآمالَ، ويُقَرِّبُ المَنِيَّةَ، وَيُبَاعِدُ الأُمْنِيَّةَ، مَنْ ظَفَرَ بِهِ نَصِبَ، وَمَنْ فاته تَعِبَ[1].

---

(١) لا يخلو الإنسان في دهره من التعب، وسيان في ذلك مَن ظفر بحاجته ومَن فاتته مطالبه.

٢ ـ قال الأرجانيّ:

ذَهَبَ التَّكَرُّمُ وَالوَفَاءُ مِنَ الوَرَى ... وتَصَرَّمَا إلّا مِنَ الأَشْعَارِ
وفَشَتْ خِيَانَاتُ الثِّقَاتِ وغَيْرِهِمْ ... حتى اتَّهَمْنَا رُؤْيَةَ الأَبْصَارِ

٣ ـ قال العباس بن الأحنف[1]:

فَأُقسِمُ ما تَرْكِي عِتَابَكَ عَنْ قِلًى ... ولكِنْ لِعِلْمِي أنه غيرُ نافِعِ

٤ ـ قال محمد بن بشير[2]:

إني وإنْ قَصُرَتْ عن هِمَّتِي جِدَتِي ... وكان مَالِيَ لا يَقْوَى عَلَى خُلُقِي[3]
لَتَارِكٌ كُلَّ أَمْرٍ كان يُلْزِمُنِي ... عاراً وَيُشْرِعُنِي في المَنْهَلِ الرَّنِقِ[4]

٥ ـ قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾.

٦ ـ وقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾﴾.

٧ ـ قال أبو نُواس:

ولَقَدْ نَهَزْتُ مَعَ الغُوَاةِ بِدَلْوِهِمْ ... وأَسَمْتُ سَرْحَ اللَّهْوِ حَيْثُ أَسَامُوا[5]
وبَلَغْتُ مَا بَلَغَ امْرُؤٌ بِشَبَابِهِ ... فَإِذَا عُصَارَةُ كُلِّ ذَاكَ أَثَامُ[6]

٨ ـ وقال أعرابي:

---

(١) هو من الموالي، شاعر ظريف عاش بالبصرة ولم يفارقها، ولم يرد على أمير ولا شريف منتجعاً، واشتهر برقة غزله، وهو من شعراء العصر العباسي الأول.

(٢) هو محمد بن بشير الخارجي شاعر حجازي فصيح مطبوع من شعراء الدولة الأموية، وكان منقطعاً إلى أبي عبيدة القرشي، وله فيه مدائح ومراث مختارة هي من عيون شعره.

(٣) الجدة: المال والغنى.

(٤) يشرعني: يخوض بي، والمنهل الرنق: مورد الماء الكدر. ومعنى البيتين أنه مع قلة ماله وعلو همته لا يتورط فيما يورثه سبة.

(٥) يقال نهز الدلو في البئر إذا ضربها في الماء لتمتلىء، ويقال: أسام الإبل إذا أرسلها إلى المرعى، والسرح: المال السائم أي الراعي، كالإبل وغيرها؛ يعني أنه اتبع الغواة والضالين وسلك مسالكهم.

(٦) العصارة في الأصل: ما يتحلّب من الشيء بعد عصره، ويريد بها هنا ما استفاده في آخر أمره، الأثام: الإثم والذنب، يقول: إنه لم يستفد من لهوه وسلوكه مسالك الغواة إلا ما عد عليه ذنباً وإثماً.

ولَمْ أر كالْمَعْروفِ أما مذَاقُهُ فحُلْوٌ وَأمّا وَجْهُهُ فَجَمِيلُ

٩ ـ قال كعب بن سعْد الغَنَوِيُّ[١]:

ولسْتُ بمُبْدٍ للرِّجال سريرَتِي وَلا أنَا عَنْ أسرَارِهِمْ بسؤُولِ

١٠ ـ قال المعرّي في الرِّثاء:

إن الَّذِي الوَحْشَةُ في دَارِه تُؤْنِسُهُ الرَّحمةُ في لَحْدِهِ[٢]

(٢)

بيّن الجمل الخبرية فيما يأتي وعيّن أضربها؛ واذكر ما اشتملت عليه من وسائل التوكيد:

١ ـ قال يزيد بن معاوية[٣] بعد وفاة أبيه:

إنَّ أميرَ المؤمنين كان حبْلاً مِنْ حِبَال الله مَدَّهُ ما شاء أن يمُدُّه، ثم قطعَه حين أراد أن يقْطَعَهُ، وكَان دُونَ مَنْ قَبْلَهُ، وَخَيْراً مِمنْ يأتِي بعدهُ، ولا أُزكِّيهِ عِنْدَ رَبِّهِ، وقَدْ صارَ إلَيْهِ، فإنْ يَعْفُ عنه فبرَحْمَته، وإن يعاقِبْه فبذَنْبه، وقد وُلِّيتُ بَعْدَهُ الأمْرَ ولَسْتُ أعْتَذِرُ مِنْ جهْل، ولا آسَى[٤] علَى طَلبِ عِلمٍ، وعَلَى رِسْلِكم[٥] إذا كَره الله شيئاً غيَّره، وإذا أحبَّ شيئاً يَسَّرَه.

٢ ـ قال الشاعر:

لَئِن كُنْتُ مُحْتاجاً إلى الحِلْمِ إنّني إلى الجَهْلِ في بعض الأحَايين أحْوجُ[٦]
وما كُنْتُ أرْضى الجهلَ خِدْناً وصاحِباً ولَكِنَّنِي أرضى به حين أُحْرَجُ[٧]
ولِي فَرسٌ لِلْحِلْم بالحِلم مُلْجَمٌ ولي فَرسٌ للجهل بالجَهْل مُسْرَجُ

---

(١) هو أحد شعراء الجاهلية المجيدين؛ توفي قبل الهجرة بسنين قليلة.

(٢) يقول أبو العلاء: نحن نحس وحشة في دار الفقيد البعيدة عنها، ولكنه هو يحس أنساً في قبره لما يجده هناك من رضوان الله ورحمته.

(٣) هو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، ولد سنة ٢٦هـ وأبوه أمير الشام لعثمان بن عفان وتربى في حجر الإمارة، بويع بالخلافة بعد وفاة أبيه، وتوفي بحوران من أرض الشام سنة ٦٤هـ.

(٤) آسى مضارع أسي بمعنى حزن.

(٥) على رسلكم: أي تمهلوا.

(٦) الجهل: ضد الحلم.

(٧) يقال: أحرج فلان فلاناً إذا أوقعه في الإثم أو الضيق.

فَمَنْ شاء تَقْويمي فإني مُقَوَّمٌ ومَنْ شاء تعويجي فإني مُعَوَّج

(٣)

١ ـ تخيل أنك في جدال مع طالب من قسم الآداب، وأنت من طلاب للعلوم، ثم بيِّن له فضل العلوم على الآداب مستعملاً جميع أضرب الخبر.

٢ ـ إذا كنت من طلاب الآداب فبيِّن مزاياها وفضلها على العلوم مستعملاً جميع أضرب الخبر.

(٤)

كوِّن عشر جمل خبرية، وضمِّن كلًّا منها أداة أو أكثر من أدوات التوكيد واستوفِ الأدوات التي عرفتها.

(٥)

انثر البيتين الآتيين نثراً فصيحاً وبيِّن فيهما الجمل الخبرية وأضربُهَا:

تَـودُّ عَـدُوِّي ثـم تـزعُـمُ أنـني صَديقُكَ! إنَّ الرَّأيَ منك لَعازبُ[1]

ولـيْـسَ أخِـي مَـنْ وَدَّني رأى عيْنِهِ ولـكنْ أخِـي مَـنْ ودَّني وهُـوَ غـائـبُ

(٣) خُروجُ الخبَر عن مُقتَضى الظاهر

الأمثلة:

١ ـ قال تعالى:

﴿وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾.

٢ ـ وقال تعالى: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾

* * *

(١) عازب: بعيد.

٣ ـ وقال تعالى:

﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾.

٤ ـ وقال حَجَل بن نَضْلَةَ القيْسيّ:

جاء شَقِيقٌ عارضاً رُمْحَه إنَّ بَني عَمِّك فيهم رِمَاح[1]

* * *

٥ ـ وقال تعالى يخاطب مُنْكِري وَحْدَانِيَّتِه:

﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾.

٦ ـ الجهل ضار: (تقوله لمَن يُنكر ضرر الجهل).

البحث:

عرفنا في الباب السابق أن المخاطَب إن كان خالي الذهن أُلقي إليه الخبر غير مؤكَّد، وإن كان متردِّداً في مضمون الخبر طالباً معرفته حَسُن توكيده له، وإن كان منكراً وجب التوكيد، وإلقاء الكلام على هذا النمط هو ما يقتضيه الظاهر. وقد توجد اعتبارات تدعو إلى مخالفة هذا الظاهر نشرحها فيما يأتي:

انظر إلى المثال الأول تجد المخاطب خالي الذهن من الحكم الخاص بالظالمين، وكان مقتضى الظاهر على هذا أن يُلْقَى إليه الخبر غير مؤكدٍ، ولكن الآية الشريفة جاءت بالتوكيد، فما سبب خروجها عن مقتضى الظاهر؟ السبب أن الله سبحانه لما نهى نوحاً عن مخاطبته في شأن مخالفيه دفعه ذلك إلى التطلع إلى ما سيصيبهم، فنزل لذلك منزلة السائل المتردد؛ أحُكِمَ عليهم بالإغراق أم لا؟ فأجيب بقوله: ﴿إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾.

وكذلك الحال في المثال الثاني، فإن المخاطب خالي الذهن من الحكم الذي تضمنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ غير أن هذا الحكم لما كان مسبوقاً بجملة أخرى وهي قوله تعالى: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي﴾ وهي تشير إلى أن النفس محكوم عليها بشيءٍ غير محبوب، أصبح المخاطب مستشرفاً متطلعاً إلى نوع هذا الحكم، فنُزِّل من أجل ذلك منزلة الطالب المتردد، وأُلقي إليه الخبر مؤكداً.

---

(١) شقيق: هو أحد بني عمرو بن عبد قيس بن معن، وعارضاً رمحه: أي جاعلاً رمحه، وهو راكب، على فخذيه بحيث يكون عرض الرمح في جهة العدو، وذلك إدلالاً بشجاعته واستخفافاً بمَن يقابلهم حتى كأنه يعتقد أنهم لا سلاح عندهم.

انظر إلى المثال الثالث تجد المخاطبين غير منكرين الحكمَ الذي تضمنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾، فما السبب إذاً في إلقاء الخبر إليهم مؤكداً؟ السبب ظهور أمارات الإنكار عليهم، فإن غفلتهم عن الموت وعدم استعدادهم له بالعمل الصالح يُعَدَّان من علامات الإنكار، ومن أجل ذلك نُزِّلوا منزلةَ المنكرين وأُلقي إليهم الخبر مؤكَّداً بمؤكِّدين.

وكذلك الحال في قول حَجَل بن نَضْلة، فإن شقيقاً لا ينكر رماح بني عمه، ولكن مجيئَه عارضاً رمحه من غير تهيؤ للقتال ولا استعدادٍ له، دليلٌ على عدم اكتراثه، وعلى أنه يعتقد أن بني عمه عُزْلٌ لا سلاحَ معهم، فلذلك أُنْزل منزلةَ المنكرين فأُكِّد له الخبر وخوطب خطاب المنكر، فقيل له: «إن بني عمك فيهم رماح».

انظر إلى المثال الخامس ترَ أن الله سبحانه يخاطب المنكرين الذين يجحدون وحدانيته، ولكنه ألقَى إليهم الخبر خالياً من التوكيد كما يُلْقَى لغير المنكرين فقال: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ فما وجه ذلك؟ الوجه أن بين أيدي هؤلاء من البراهين الساطعة والحجج القاطعة ما لو تأملوه لوجدوا فيه نهاية الإقناع، ولذلك لم يُقِم الله لهذا الإنكار وزناً ولم يَعْتَدَّ به في توجيه الخطاب إليهم.

وكذلك الحال في المثال الأخير، فإن لدى المخاطب من الدلائل على ضرر الجهل ما لو تأمله لارتدع عن إنكاره، ولذلك أُلقي إليه الخبر خالياً من التوكيد.

القواعد

(٣٤) إذَا أُلقيَ الْخَبَرُ خالياً من التَّوْكِيدِ لِخَالِي الذِّهْن، ومُؤَكَّداً اسْتِحْساناً للسائل المُتَرَدِّدِ، ومُؤَكَّداً وُجُوباً لِلْمُنكِر، كان ذلك الخبرُ جارياً عَلَى مُقْتَضى الظَّاهِر.

(٣٥) وقد يَجْرِي الخَبَرُ عَلَى خلافِ ما يَقْتَضِيهِ الظَّاهِرُ لاعتبارات يَلْحَظها المتكَلِّمُ ومنْ ذلك ما يأتي:

أ ـ أنْ يُنَزَّلَ خالِي الذِّهْن مَنْزِلَةَ السائل المُتَرَدِّدِ إذَا تَقَدَّمَ في الكلام ما يُشِيرُ إِلَى حُكْمِ الخَبَرِ.

ب ـ أنْ يُجعلَ غَيْرُ الْمُنكِرِ كالْمُنْكِر لِظُهور أَمارات الإِنكار عَلَيْهِ.

جـ - أنْ يُجْعَلَ الْمُنْكِرُ كغَيْرِ المنكِر إنْ كانَ لدَيْهِ دَلائلُ وشَوَاهِدُ لَوْ تَأَمَّلَها لارْتَدَعَ عَنْ إنْكارِهِ.

نَمُوذجٌ

بيِّن وجه خروج الخبر عن مقتضى الظاهر فيما يأتي:

١ - قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾﴾.

٢ - إنَّ برَّ الْوَالدَيْن لواجبٌ (تقوله لمَن لا يطِيع والديه).

٣ - إن الله لمُطَّلِع على أفعال العباد (تقوله لمَن يظلم الناس بغير حق).

٤ - الله موجود (تقول ذلك لمَن ينكر وجود الإله).

الإجابة

١ - الظاهر في المثال الأول يقتضي أن يُلقي الخبر خالياً من التوكيد؛ لأن المخاطَب خالي الذهن من الحكم، ولكن لما تقدّم في الكلام ما يشعر بنوع الحكم أصبح المخاطب متطلعاً إليه؛ فنزِّل منزلةَ السائل المتردد واستُحسن إلقاء الكلام إليه موكداً جرياً على خلاف مقتضى الظاهر.

٢ - مقتضى الظاهر أن يُلقى الخبر غير مؤكد، لأن المخاطب هنا لا ينكر أن بر الوالدين واجب ولا يتردد في ذلك، ولكنَّ عصيانه أمارة من أمارات الإنكار؛ فلذلك نُزِّل منزلة المنكر.

٣ - الظاهر هنا يقتضي إلقاء الخبر غير مؤكد أيضاً، لأن المخاطب لا يُنكرُ الحكم ولا يترددُ فيه ولكنه نزِّل منزلة المنكر، وأُلقي إليه الخبر مؤكداً لظهور أمارات الإنكار عليه، وهي ظلمه العباد بغير حق.

٤ - الظاهر هنا يقتضي التوكيد؛ لأن المخاطب يَجحد وجود الله، ولكن لمّا كان بين يديه من الدلائل والشواهد ما لو تأمله لارتدع عن الإنكار، جعل كغير المنكر، وأُلقي إليه خالياً من التوكيد جرياً على خلاف مقتضى الظاهر.

تمرينات

(١)

بيِّن وجه خروج الخبر عن مقتضى الظاهر في كل مثال من الأمثلة الآتية:

١ ـ قال تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾.

٢ ـ وقال: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝﴾.

٣ ـ إِنَّ الفراغ لَمَفسدةٌ (تقوله لمَن يعرف ذلك ولكنه يَكره العَمل).

٤ ـ العلم نافع (تقول ذلك لمَن ينكر فائدة العلوم).

٥ ـ قال أبو الطيب:

تَـرفَّـقْ أيُّـهـا الْـمـوْلَى عَـلَـيْـهِـمْ فـإِنَّ الـرِّفْـقَ بـالـجَـانِـي عِـتـاب[١]

(٢)

١ ـ هات مثالين يكون الخبر في كل منهما مؤكداً استحساناً، وجارياً على خلاف مقتضى الظاهر واشرح السبب في كل من المثالين.

٢ ـ هات مثالين يكون الخبر في كل منهما مؤكداً وجوباً وخارجاً عن مقتضى الظاهر، واشرح وجه التوكيد في كل من المثالين.

٣ ـ هات مثالين يكون الخبر في كل منهما خالياً من التوكيد وخارجاً عن مقتضى الظاهر، واشرح وجه الخروج في كل من المثالين.

(٣)

اشرح قول عنترة وبيِّن وجه توكيد الخبر فيه:

لِلّهِ دَرُّ بَـنـي عَـبْـسٍ لَـقَـدْ نَـسَـلُوا مِـن الأكـارم مـا قَـدْ تَـنْـسِـل الـعـربُ[٢]

---

(١) الرفق: ضد العنف، والجاني: المذنب، يقول: ترفق بهم وإن جنوا فإن الجاني إذا عومل بالرفق لان ورجع عن جنايته فكأن الرفق به بمنزلة العتاب.

(٢) نسلوا: ولدوا، ومعنى قوله: نسلوا من الأكارم ما قد تنسل العرب، أنهم ولدوا من الأماجد ما يلده العرب العظماء.

الإِنشاء
تقسيمُه إِلى طلبي وغير طلبي

الأمثلة:

١ ـ أَحِبَّ لِغَيْرِكَ ما تحِبُّ لِنفْسِكَ.

٢ ـ من كلام الحسَن رضي الله عنه[1]:

لا تَطْلُبْ مِنَ الْجَزَاءِ إلاّ بِقَدْرِ ما صَنَعْتَ.

٣ ـ وقال أبو الطيب:

أَلَا مَا لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ الْيَوْمَ عَاتِباً　　فَدَاهُ الْوَرَى أَمْضَى السُّيُوفِ مَضَارِبا[2]

٤ ـ وقال حسانُ بن ثابت:

يا لَيْتَ شِعْري وَلَيْتَ الطَّيْرَ تُخْبِرُنِي　　ما كانَ بَيْنَ عَلِيٍّ وابْنِ عَفَّانَا!

٥ ـ وقال أبو الطيب:

يَا مَنْ يَعِزُّ عَلَيْنَا أَنْ نُفَارِقَهُمْ　　وِجْدَانُنَا كُلَّ شَيْءٍ بَعْدَكُمْ عَدَمُ[3]

* * *

(١) هو سبط رسول الله ﷺ، كان سيداً حليماً يكره الفتن والسيف، حتى أنه نزل لمعاوية عن الخلافة حبًا في جمع الكلمة وترك القتال بين المسلمين، توفي سنة ٤٩هـ.

(٢) أمضى اسم تفضيل بمعنى أقطع وهو منصوب على المدح، ومضارب السيوف حدودها، وجملة فداه الورى وما يتصل بها دعاء.

(٣) يقول: إذا فارقناكم، ووجدنا كل شيء فوجدانه والعدم سواء، لأنه لا يغني غناءكم أحد ولا يخلفكم عندنا بدل.

٦ ـ وقال الصِّمَّة بنُ عَبْدِ الله[١]:

بنَفْسيَ تلْكَ ألأرْضُ ما أطْيَب الرُّبَا! ومَا أحْسَنَ ٱلْمُصْطَاف والمتَرَبَّعَا[٢]!

٧ ـ وقال الجاحظ من كتاب:

أمَّا بعدُ فَنِعْمَ البَديلُ من الزَّلَّةِ الاعتذارُ[٣]، وبئْسَ العوَضُ من التَّوبةِ الإصْرَارُ[٤].

٨ ـ وقال عبد الله بنُ طاهر:

لَعَمْرُكَ مَا بِالْعَقْلِ يُكتَسَبُ الغنى ولا باكْتِساب المال يُكتَسَبُ العَقْلُ

٩ ـ وقال ذو الرُّمَّة[٥]:

لَعَلَّ ٱنْحِدَارَ الدَّمْعِ يُعْقِبُ راحةً مِنَ الْوَجْدِ أوْ يَشْفِي شَجيَّ البلابل[٦]

١٠ ـ وقال آخر:

عَسَى سَائِلٌ ذُو حاجَةٍ إنْ منَعْتَه مِنَ الْيَوْم سُؤْلًا أنْ يَكُونَ لَهُ غَدُ[٧]

البحث:

الأمثلة المتقدمة جميعها إنشائية، لأنها لا تحتمل صدقاً ولا كذباً، وإذا تدبرتها جميعها وجدتها قسمين، فأمثلة الطائفة الأولى يطلب بها حصول شيء لم يكن حاصلًا وقت الطلب، ولذلك يسمى الإنشاء فيها طلبيًا. أما أمثلة الطائفة الثانية فلا يطلب بها شيء. ولذلك يسمى الإنشاء فيها غير طلبيّ.

---

(١) شاعر غزل مقل بدوي. وهو من شعراء الدولة الأموية، وكان شريفاً ناسكاً عابداً.

(٢) الربا: الأماكن العالية، والمصطاف: منزل القوم في الصيف، والمتربع: منزلهم في الربيع، يقول: أفدي بنفسي تلك الأرض لطيب رباها وحسنها صيفاً وربيعاً.

(٣) البديل: البدل، والزلة: السقطة في الكلام وغيره، يقول: إن مقابلة الزلل بالاعتذار محمودة.

(٤) الإصرار: عقد النية على البقاء على الذنب، يعني أنه يجب على المذنب أن يتوب من ذنبه وألا يصر على ارتكابه.

(٥) من شعراء الدولة الأموية، وكان بليغ الكلام لسناً، أخذ من ظريف الشعر وحسنه ما لم يسبقه إليه أحد، وهو أحسن أهل الإسلام تشبيباً، ولكنه لم يحسن المدح ولا الهجاء، توفي سنة ١١٧هـ.

(٦) الشجي: الحزين، والبلابل: جمع بلبال وهو الهم ووسواس الصدر. والمراد بشجي البلابل المحزون الذي امتلأ صدره همًّا وحزناً.

(٧) لا يليق أن تمنع سائلاً أتاك وله حاجة، فإنك إن منعته في يومك الذي هو لك فقد يكون له الغد فيجازيك على الحرمان بالحرمان.

تدبر الإنشاء الطلبي في أمثلة الطائفة الأولى تجده تارة يكون بالأمر كما في المثال الاول، وتارة بالنهي كما في المثال الثاني، وتارة بالاستفهام كما في المثال الثالث، وتارة بالتمني كما في المثال الرابع، وتارة بالنداء كما في المثال الخامس، وهذه هي أنواع الإنشاء الطلبي التي سنبحث عنها في هذا الكتاب[١].

انظر إلى أمثلة الطائفة الثانية تجد وسائل الإنشاء فيها كثيرة، فقد يكون بصيغ التعجب كما في المثال السادس، أو بصيغ المدح والذم كما في المثال السابع أو بالقسم كما في المثال الثامن، أو بلعل وعسى وغيرهما من أدوات الرجاء كما في المثالين الأخيرين، وقد يكون بصيغ العقود كبعت واشتريت.

وأنواع الإنشاءِ غير الطلبيّ ليست من مباحث علم المعاني، ولذلك نقتصر فيها على ما ذكرنا ولا نطيل فيها البحث.

القاعدة

(٣٦) ألإِنْشَاءُ نوعان طَلَبيٌّ وغَيْرُ طَلَبيٍّ:

أ ـ فالطَّلَبيُّ ما يَسْتَدْعي مَطْلوباً غَيرَ حاصل وقتَ الطلب، ويكونُ بالأمْر، والنَّهي، والاستفهام، والتمنّي، والنّداءِ[٢].

ب ـ وغَيْرُ الطَّلبيّ ما لا يَسْتَدْعي مطلوباً، وله صِيَغٌ كَثيرةٌ منها: التَّعَجُّب، والمَدْحُ، والذمُّ، والقَسَمُ، وأَفعالُ الرجاء، وكذلك صِيَغُ العُقُودِ.

نَمُوذجٌ

لبيان نوعِ الإنشاءِ في كل مثال من الأمثلة الآتية:

١ ـ قال أبو تمام:

لا تَسْقِني ماء المَلام فَإِنَّني ... صبٌّ قد استَعْذَبْتُ ماء بُكائي

---

(١) ويكون الإنشاء الطلبي أيضاً بالعرض والتحضيض والجمل الدعائية، ولكنا اقتصرنا على الأنواع الخمسة لاختصاصها بكثير من اللطائف البلاغية.

(٢) قد تكون الجملة خبرية في اللفظ وهي إنشائية في المعنى، وعلى ذلك تعد في باب الإنشاء، كقول المتنبي يخاطب عضد الدولة: «فدى لك مَن يقصر عن فداكا» وكقوله يدعو لسيف الدولة بالشفاء من علة أصابته: «شفاك الذي يشفي بجودك خلقه».

٢ ـ ومما يؤثر:

أحْبِبْ حبيبكَ هوْناً ما عسى أنْ يكون بغيضَكَ يَوْماً ما، وأبغِض بغيضَكَ هوْناً ما عسى أن يكون حبيبَكَ يوْماً ما.

٣ ـ قال ابن الزيات يمدح الفضل بن سهْل[1]:

يا ناصِر الذين إذْ رثَّتْ حبائلُه ... لأنْتَ أكرمُ مَن آوَى ومَنْ نصرا

٤ ـ لأُميَّةَ بن أبي الصَّلْت[2] في طلب حاجة:

أأذْكُرُ حاجتي أم قَدْ كفانِي ... حباؤُك إنَّ شِيمَتَكَ الحياءُ

٥ ـ وقال زُهيْرُ بن أبي سُلْمى[3]:

نِعْم امْرأً هرِمٌ لَمْ تَعْرُ نائِبَةٌ ... إلّا وكان لِمُرتاعٍ بها وَزرَا[4]

٦ ـ قال امرؤُ القيس:

أجارَتَنا إنّا غَريبان هاهُنا ... وكلُّ غَريبٍ للغَريبِ نسيبُ

٧ ـ وقال آخر:

يا ليْت منْ يمْنَع المعْرُوفَ يَمْنعُهُ ... حتى يذوقَ رجالٌ غِبَّ ما صنَعُوا[5]

٨ ـ وقال أبو نُواس يستعْطفُ الأمين:

---

(١) كان الفضل بن سهل وزيراً للمأمون وقد اشتهر ببلاغته وحسن كتابته وجمال خلاله وكان يلقب بذي الرياستين، وقتل بسرخس سنة ٢٠٢هـ.

(٢) شاعر من شعراء الجاهلية، قرأ كتب اليهود والنصارى وكان يمني نفسه أن يكون النبي المبعوث من العرب، ولما ظهر النبي ﷺ امتنع عن الإسلام حسداً له، وفي شعره كثير من الألفاظ السريانية، ومات أول ظهور الإسلام.

(٣) أحد الثلاثة المقدمين على سائر شعراء الجاهلية، وهم زهير وامرؤ القيس والنابغة، كان لا يعاظل في كلامه، وكان يتجنب وحشي الشعر ولا يمدح أحداً إلا بما فيه، وكان يضرب به المثل في تنقيح الشعر حتى سميت قصائده بالحوليات؛ لأنه كان يعمل القصيدة ثم يأخذ في تنقيحها وعرضها على الشعراء في سنة كاملة.

(٤) تعر: تنزل؛ والمرتاع: الخائف. الوزر: الملجأ. يمدح هرم بن سنان بأنه ملجأ كل خائف وغياث كل ملهوف.

(٥) الغب: العاقبة.

وحـــبـــاة راسِـــك لَا أَعُـــو ... دُ لـجـثـلِهَـا وحـيـاة راسِـك

٩ ـ قال دِعْبِلٌ الخُزاعي:

مـا أكْـثر الـنّـاس! لا، بـلْ مـا أَقَـلّهـم! ... الله يـعـلَـمُ أنّـي لَمْ أَقُـلْ فـنَـدا[1]

إنّـي لأَفـتَـحُ عـيْـني حِـيـن أفـتـحُـهـا ... عـلى كَـثِـيـر ولكـن لا أرى أحـدا

الجواب

رقم المثال	صيغة الإنشاء	نوعه	طريقته
١	لا تَسقني ماء الملام	طلبي	النهي
٢	أَحبب حبيبك هوناً ما	طلبي	الأمر
	عسى أن يكون بغيضك يوماً ما	غير طلبيّ	الرجاء
	وأبغض بغيضك هَوْناً ما	طلبيّ	الأمر
	عسى أن يكون إلخ	غير طلبيّ	الرجاء
٣	يا ناصر الدين إلخ	طلبي	النداء
٤	أأذكر حاجتي	طلبي	الاستفهام
٥	نعم امرأ هرم	غير طلبي	المدح
٦	أجارتنا	طلبي	النداء
٧	يا ليت مَن يمنع إلخ	طلبي	التمني
٨	وحياة راسك	غير طلبي	القسم
٩	ما أكثر الناس	غير طلبي	التعجب
	ما أقلهم	غير طلبي	التعجب

(١) الفند بفتحتين: الكذب.

تمرينات

(١)

بيّن صيغ الإنشاء وأنواعه وطرقه فيما يأتي:

١ ـ قال أبو الطيب يمدح نفسه:

ما أبعد العيْب والنقصَان عَن شرفي! أنَا الثريّا وذَانِ الشيْبُ والهَرِمُ[١]

٢ ـ وقال:

لعلّ عَتْبك محْمُودٌ عَواقِبُهُ وربُّما صحّت الأجْسامُ بالعِلَلِ

٣ ـ وقال:

فَيا لَيْتَ ما بيْني وبيْن أحِبّتي من البُعْدِ ما بيني وبيْن المصائبِ

٤ ـ وقال في مدح سيف الدولة:

ولَعمْري لَقَدْ شَغَلْتَ المنَايا بالأعادِي فَكَيْف يَطْلُبْن شُغلا؟

٥ ـ وقال فيه أيضاً:

يا مَنْ يقتُل مَنْ أراد بسيْفِهِ أصْبحْتُ مِنْ قَتلاكَ بالإحْسانِ[٢]

٦ ـ وقال فيه أيضاً:

تَاللّهِ ما علِمَ امرؤٌ لَوْلاكُمُ كَيْف السّخاءُ وكَيْف ضَرْب الْهَامِ[٣]

٧ ـ وقال أيضاً:

ومكايدُ السُّفَهاءِ واقِعةٌ بِهِمْ وعداوةُ الشُّعراءِ بِئْس المُقْتَنَى

٨ ـ وقال أيضاً:

لُمِ اللّيالي التي أَخْنَتْ علَى جِدّتي برقّة الْحال واعْذِرْني ولا تَلُمِ[٤]

---

(١) يقول: إن العيب والنقصان بعيدان عني مثل بعد الشيب والهرم عن الثريا، فما دامت الثريا لا تشيب ولا تهرم فأنا لا يلحقني عيب ولا نقصان.

(٢) أي أنت تقتل مَن شئت بسيفك، ولكنك صيرتني قتيلاً بإحسانك. أي بالغت في إحسانك إلي حتى عجزت عن شكرك فصرت كالقتيل.

(٣) الهام: الرؤوس.

(٤) أخنى عليه: أهلكه، والجدة: المال والغنى، ورقة الحال كناية عن الفقر.

٩ ـ وقال أيضاً:

بِئْسَ الليالي سهدتُ مِن طَرَبٍ ... شَوْقاً إلى مَنْ يبيتُ يَرْقُدُها[١]

(٢)

١ ـ كوِّن ثماني جمل إنشائية منها أربعٌ للإنشاءِ الطلبي وأربعٌ لغير الطلبيّ.

٢ ـ إيت بصيغتين للقسم، وأخريَيْن للمدح والذم، ومثلهما للتعجب.

٣ ـ استعمل الكلمات الآتية في جمل مفيدة، ثمَّ بيِّن نوع كل إنشاء:

لا الناهية. همزة الاستفهام. ليت. لعلّ. عسى. حبذا. لا حبذا. ما التعجبية. واو القسم. هل.

(٣)

بيِّن الإنشاء وأنواعه والخبر وأضربه فيما يأتي:

١ ـ لعمرُك ما ضَاقت بلادٌ بأهلها ... ولكنْ أخلاق الرجال تضيقُ[٢]

٢ ـ إذا لم تكن نفسُ النَّسِيب كأصله ... فماذا الذي تغني كرامُ المناصب[٣]؟

٣ ـ ليت الجبالَ تداعتْ عند مصرَعِه ... دكًّا فلم يبقَ من أركانها حجرُ

٤ ـ لئن حسُنت فيك المراثي وذكْرُها ... لقد حسُنت من قبلُ فيك المدائحُ

٥ ـ لِلَّهو آونة تمر كأنها ... قُبلٌ يُزوِّدُها حبيبٌ راحلٌ[٤]

٦ ـ أخِلاّي لو غَيْرُ الحِمَام أصابكم ... عَتَبْتُ ولكنْ ما علَى الدهر معتَبُ[٥]

---

(١) سهدت: سهرت، والطرب: خفة تعتري الإنسان من شدة حزن أو سرور.

(٢) يقول: إن أرض الله واسعة لم تضق بأحد، وإنما تضيق أخلاق الرجال وصدورهم.

(٣) يقول: إذا لم تكن نفس الرجل الشريف مشابهة لأصله في الشرف والكرم، لم ينفعه انتسابه إلى أصل كريم ومحتد شريف.

(٤) يقول: إن ساعات اللهو مع لذتها قصيرة سريعة المرور، كأنها القبل التي يزودها الحبيب الراحل، فإن لذتها في غاية القصر ثم تمر ولا يبقى منها إلا الذكرى.

(٥) ينادي أصدقاءه الذين ماتوا ويقول: لو كان ما أصابكم غير الموت لعتبت عليه ولكن لا عتاب على الزمان، لأنه إذا أخذ شيئاً لا يرده.

٧ ـ إن المساءةَ للمسرة موعِدٌ أختان رهنٌ للعشية أو غدِ[1]
فإذا سمعت بهالك فتيقّنْنْ أن السبيل سبيلهُ وتزوّدِ[2]
٨ ـ وكلُّ شجاعة في المرء تُغني ولا مِثْل الشجاعة في حكيم[3]
٩ ـ ذريني فإن البخل لا يُخْلِد الفتى ولا يُهْلِكُ المعروفُ مَن هو فاعله
١٠ ـ وكل امرئ يوماً سيركب كارهاً على النعش أعناق العِدا والأقارب
١١ ـ وما الجمعُ بين الماء والنار في يدي بأصعب من أن أجمع الجَدَّ والفهْما[4]
١٢ ـ يا ابنتي إن أردتِ آية حسن وجمالاً يزين جسماً وعقلا
فانْبُذِي عادة التبرُّج نبْذاً فجمالُ النفوس أسْمى وأعلى
يصنع الصانعون ورداً ولكن وردةُ الروض لا تُضارَع شكلا

(٤)

حوّل الأخبار الآتية إلى جمل إنشائية واستوفِ أنواع الإنشاء الطلبيّ التي تعرفها:

الروض مزهر ـ الطير مغرد ـ يتنافس الصنّاع
يفيض النيل ـ نَشِطَ العامل ـ أجاد الكاتب

(٥)

بيِّن نوع الإنشاءِ في البيتين التاليين، ثم انثرهما نثراً فصيحاً:

يـأيُّها المُتَحَلِّي غَيْرَ شِيمَتِهِ ومِنْ شَمائِله التَبْدِيلُ والمَلَقُ[5]
إرْجع إلى خُلْقِكَ المَعْرُوفِ دِيْدَنُه إنَّ التَّخَلُّق يأتي دونَهُ الْخُلُقُ[6]

---

(١) يقول: إن المسرة تدوم فغايتها المساءة.
(٢) يقول: إذا بلغك موت أحد فاعتبر به وتيقن أن سبيلك سبيله وتزود للآخرة بالعمل الصالح.
(٣) يقول: إن الشجاعة كيفما كانت تدفع الهوان عن صاحبها، ولكن الشجاعة في الحكيم لا تقاس بها الشجاعة في غيره، لأنها حينئذ تكون مقرونة بالحزم فيكون صاحبها أبعد من الخيبة.
(٤) الجد: الحظ، يقول إن العاقل محروم في هذه الحياة غالباً، لأن حسن الحظ والذكاء لا يجتمعان لحي كما لا يجتمع الماء والنار.
(٥) الشيمة: الخلق، والشمائل الأخلاق وهو جمع مفرده شمال، والملق: الود واللطف الظاهران ومنه الرجل الملق وهو الذي يعطي بلسانه ما ليس في قلبه.
(٦) الديدن: الدأب والعادة، والتخلُّق: أن يتكلف الإنسان غير خلقه، يقول: لا تتكلف ما ليس من خلقك، لأنك إن فعلت غلبك طبعك، وانكشف للناس تصنُّعك.

الإنشاءُ الطلبيّ

(١) الأَمر

الأَمثلة:

١ ـ من رسالة لعليٍّ رضي الله عنه بعث بها إلى ابن عباس وكان عاملاً بمكة: أما بعدُ فأقِمْ لِلنّاس الحجَّ وَذَكِّرْهُمْ بأيام الله[١]، واجْلِسْ لهُمُ العَصْرَيْن[٢]، فَأَفْتِ الْمُسْتَفْتِيَ، وَعَلِّمِ الجاهلَ، وذَاكر العالِمَ.

٢ ـ وقال تعالى: ﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾.

٣ ـ وقال: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾.

٤ ـ وقال: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾.

* * *

٥ ـ وقال أبو الطيب في مدح سيف الدولة:

كَذَا فَلْيَسْرِ مَنْ طَلَبَ الأعَادِي ... وَمِثْلَ سُرَاكَ فَلْيَكُنِ الطِّلَابُ[٣]

٦ ـ وقال يخاطبه:

أَزِلْ حَسَدَ الْحُسَّادِ عنّي بِكَبْتِهِمْ ... فَأَنْتَ الَّذِي صَيَّرْتَهُمْ لِيَ حُسَّدَا[٤]

---

(١) يريد أيام الله التي عاقب فيها الماضين على سوء أعمالهم.

(٢) يريد بالعصرين الغداة والعشي من باب التغليب.

(٣) السري: السير ليلاً.

(٤) كبته: اذله، يقول أنت صيرتهم حاسدين لي بما أفضت علي من نعمتك، فاصرف شر حسدهم عني بإذلالهم.

٧ ـ وقال امرؤُ القيس:

قِفَا نَبكِ مِنْ ذِكْرَى حَبيبٍ وَمَنْزِلِ ... بِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ[١]

٨ ـ وقال أيضاً:

أَلا أيُّها اللَّيْلُ الطَّويلُ ألا انْجَلِ ... بِصُبْحٍ وَمَا الإِصْباحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ[٢]

٩ ـ وقال البحتري:

فَمَنْ شَاء فَلْيَبْخَلْ وَمَنْ شَاء فَلْيَجُدْ ... كَفَانِي نَدَاكُمْ عَنْ جَمِيعِ الْمَطَالِبِ

١٠ ـ وقال أبو الطيب:

عِشْ عَزيزاً أَوْ مُتْ وَأَنْتَ كَرِيمٌ ... بَيْنَ طَعْنِ الْقَنَا وخَفْقِ البُنُودِ[٣]

١١ ـ وقال آخر:

أَرُونِي بَخِيلًا طَالَ عُمْراً بِبُخْلِهِ ... وَهَاتُوا كَرِيماً مَاتَ مِنْ كَثْرَةِ البَذْلِ

١٢ ـ وقال غيره:

إذَا لَمْ تَخْشَ عَاقِبَةَ اللَّيَالِي ... وَلَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ مَا تَشَاءُ

١٣ ـ وقال تعالى:

﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾.

البحث:

إذا تأملت أمثلة الطائفة الأولى رأيت كلًّا منها يشتمل على صيغة يُطْلب بها على وجه التكليف والإلزام حصول شيءٍ لم يكن حاصلًا وقت الطلب، ثم إذا أنعمت

(١) قفا: أمر للاثنين بالوقوف، الذكرى: التذكر، وسقط اللوى والدخول وحومل: مواضع، يقول لرفيقيه: قفا وأعيناني بالبكاء لتذكر حبيب فارقته ومنزل خرجت منه، وهذا المنزل بين هذه المواضع.

(٢) الانجلاء: الانكشاف، والأمثل. الأفضل، يقول: ليتك أيها الليل تنكشف وتنحي ظلامك عن عيني لأرى بياض الصبح، ثم عاد فقال: وما الإصباح بأفضل منك عندي، فإني أقاسي من همومي نهاراً ما أقاسيه ليلاً.

(٣) خفق البنود: اضطرابها، والبنود: جمع بند وهو العلم الكبير.

النظر رأيت طالب الفعل فيها أعظم وأعلى ممن طُلِب الفعل منه. وهذا هو الأمر الحقيقي وإذا تأملت صِيَغَهُ رأيتها لا تخرج عن أربع: هي فعل الأمر كما في المثال الأول، والمضارع المقرون بلام الأمر كما في المثال الثاني، واسم فعل الأمر كما في المثال الثالث، والمصدر النائب عن فعل الأمر كما في المثال الرابع.

انظر إذاً إلى الطائفة الثانية تجد أن الأمر في جميعها لم يستعمل في معناه الحقيقي وهو طلب الفعل من الأعلَى للأدنى على وجه الإيجاب والإلزام، وإنما يدل على معان أُخرى يُدركها السامع من السياق وقرائن الأحوال.

فأبو الطيب في المثال الخامس لا يريد تكليفاً ولا يقصد إلى إلزام، وإنما ينصح لمَن ينافسون سيف الدولة ويرشدهم إلى الطريق المثلى في طلب المجد وكسب الرفعة، فالأمر هنا للنصح والإرشاد لا للإيجاب والإلزام.

وصيغة الأمر في المثال السادس لا يُراد بها معناها الأصليُّ، لأن المتنبي يخاطب مليكه، والمليك لا يأمره أحد من شعبه، وإنما يراد بها الدعاء، وكذلك كل صيغة للأمر يُخاطِبُ بها الأدنى مَن هو أعلى منه منزلة وشأناً.

وإذا تدبرت المثال السابع وجدت امرأ القيس يتخيَّل صاحبين يستوقفهما ويستبكيهما جرياً على عادة الشعراء، إذ يتخيل أحدهم أن له رفيقين يصطحبانه في غدْوِهِ ورواحه، فيوجه إليهما الخطاب، ويُفضي إليهما بسره ومكنون صدره، وصيغة الأمر إذا صدرت من رفيق لرفيقه أو من ندٍّ لِنِدِّه لم يُرد بها الإيجاب والإلزام، وإنما يراد بها محض الالتماس.

وامرؤ القيس أيضاً في المثال الثامن لم يأمر الليل ولم يكلفه شيئاً؛ لأن الليل لا يسمع ولا يطيع، وإنما أرسل صيغة الأمر وأراد بها التمني.

وإذا تدبّرت الأمثلة الباقية وتعرّفت سياقها وأحطْت بما يكتُفُها من قرائن الأحوال، أدركت أن صيغ الأمر فيها لم تأت للدلالة على المعنى الأصلي، وإنما جاءت لتفيد التخيير، والتسوية، والتعجيز، والتهديد، والإباحة على الترتيب.

القواعد

(٣٧) الأمْرُ طَلَبُ الفِعْلِ على وجْهِ الاِسْتِعْلاء.

(٣٨) لِلأمْرِ أرْبَعُ صِيَغٍ: فِعْلُ الأمْر، والْمُضَارِعُ المقرونُ بلام الأمْر واْسْمُ فِعْلِ الأمْر، والمَصْدَرُ النَّائِبُ عَنْ فِعْلِ الأمْر.

(٣٩) قَدْ تَخْرُجُ صِيَغُ الأمْر عَنْ مَعْناها الأصْلِيِّ إلى مَعانٍ أُخْرَى تُسْتفاد مِنْ سِياق الكلام، كالإرْشَادِ، والدُّعاءِ، والالْتماس، والتَّمَنّي، والتَّخْيير، والتَّسْوية، والتَّعْجيز، والتَّهْديدِ، والإباحةِ.

نَمُوذَجٌ

لبيان صيغ الأمر وتعيين المراد من كل صيغة فيما يأتي:

١ ـ قال تعالى خطاباً ليحيى عليه السلام: ﴿خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ﴾.

٢ ـ وقال الأرّجانيّ:

شَاوِرْ سِواكَ إذَا نابَتْكَ نائِبَةٌ ... يَوْماً وإن كُنْتَ مِنْ أهلِ المشورات

٣ ـ وقال أبو العتاهية:

واخفِضْ جناحكَ إن مُنِحْت إمَارة ... وارْغَبْ بنفسِكَ عن رَدَى اللذات[1]

٤ ـ وقال أبو العلاء:

فيا موتُ زُرْ إنَّ الحياةَ ذَمِيمةٌ ... ويا نَفْسُ جِدّي إنَّ دهْرَكِ هازلُ[2]

٥ ـ وقال آخر:

أريني جَواداً ماتَ هُزْلًا لَعلّني ... أرَى ما تَرَيْنَ أوْ بَخِيلًا مُخَلَّدا[3]

٦ ـ قال خالد بن صفْوَان[4] ينصح ابنه:

دعْ مِنْ أعمال السِّر ما لاَ يَصْلحُ لكَ في العَلانيَةِ.

---

(١) المراد بخفض الجناح التواضع، والردى: الهلاك.

(٢) يفضل الموت على الحياة ويأمر نفسه أن تأخذ في طريق الجد لأن الدهر غير جاد.

(٣) الهزل بالضم وبالفتح: الضيق والفقر.

(٤) كان من فصحاء العرب المشهورين، وكان يجالس عمر بن عبد العزيز وهشام بن عبد الملك، وله معهما أخبار، ولد ونشأ بالبصرة، وكان أيسر أهلها مالاً، توفي سنة ١١٥هـ.

٧ ـ وقال بشار بن بُرْد:

فَعِشْ واحداً أوْ صِلْ أخاكَ فإنّهُ ... مُقارِفُ ذَنْبٍ مَرّةً ومُجانِبُهْ[1]

٨ ـ وقال تعالى: ﴿قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ﴾.

٩ ـ وقال أبو الطيب يخاطب سيف الدولة:

أخَا الجُودِ أعْطِ النّاسَ ما أنْتَ مالِكٌ ... وَلَا تُعْطِيَنّ النّاسَ ما أنا قائلُ[2]

١٠ ـ وقال قَطَري بن الفُجَاءة[3] يخاطب نفسه:

فَصَبْراً في مَجالِ المَوْتِ صَبراً ... فَما نَيْلُ الخُلود بِمُسْتَطاعِ

الإجابة

الرقم	صيغة الأمر	المعنى المراد	الرقم	صيغة الأمر	المعنى المراد
١	خذ الكتاب	المعنى الحقيقي للأمر	٥	أريني	التعجيز
٢	شاور سواك	الإرشاد	٦	دع من أعمال السر	الإرشاد
٣	واخفض جناحك	الإرشاد	٧	فعش واحداً أو صل أخاك	التخيير
	وارغب بنفسك	الإرشاد	٨	قل	المعنى الحقيقي للأمر
				تمتعوا	التهديد
٤	زر	التمني	٩	أعط الناس	دعاء
	جدي	التمني	١٠	صبراً	المعنى الحقيقي للأمر

---

(١) مقارف الذنب: مرتكبه، يقول: إذا أردت ألا يزل معك صديق فعش منفرداً وذلك مستحيل، أما إذا أردت أن تعيش مع الناس فسامح إخوانك وصلهم على ما بهم من عيوب.

(٢) يقول: أعط الناس أموالك ولا تعطهم شعري، أي لا تحوجني إلى مدح غيرك.

(٣) هو أحد رؤوس الخوارج، فارس مذكور، وشاعر إسلامي مشهور، سلّموا عليه بالخلافة ثلاث عشرة سنة.

تمرينات

(١)

لمَ كانت صيغُ الأمر في الأمثلة الآتية تفيد الإرشاد، والالتماس، والتعجيز، والتمني، والدعاء على الترتيب؟

١ ـ وكُنْ على حَذَرٍ للنَّاس تَسْتُرُه ... ولَا يغُرُّكَ مِنْهُمْ ثَغْرُ مُبْتَسِمِ
٢ ـ يا خَليليَّ خَلِّياني وما بي ... أوْ أعِيدا إليّ عَهْدَ الشَّبابْ
٣ ـ يا دار عِبْلَةَ بالجِواءِ تَكلَّمي ... وعِمي صَبَاحاً دار عَبلَةَ واسْلَمي[1]

(٢)

لمَ كانت صيغ الأمر في الأمثلة الآتية تفيد الدعاء، والتعجيز، والتسوية، على الترتيب؟

١ ـ اسْلَمْ يزيدُ فَما فِي الدِّين من أوَدٍ ... إذَا سَلِمْتَ وما في المُلكِ مِنْ خلَلِ[2]
٢ ـ أرِني الذي عاشَرْتَهُ فَوَجَدْتَهُ ... مُتَغاضِياً لَكَ عَنْ أقَلِّ عِثار
٣ ـ اِصْبِرُوا أوْ لاَ تَصْبِرُوا.

(٣)

بيِّن صيغ الأمر وما يراد بها فيما يأتي:

١ ـ نَصح أحدُ الخلفاء عاملاً له فقال:

تَمسَّكْ بحبْل القرآن واسْتَنْصِحه، وأَحِلَّ حلالَه وحَرِّم حرامه.

٢ ـ وقال حكيم لابنه:

يا بُنَيَّ اسْتَعِذْ باللّهِ مِنْ شِرَار النَّاس، وكنْ مِنْ خِيارِهِمْ على حَذَر.

٣ ـ يا بُني زاحِم العلماء برُكْبَتَيك، وأَنصِتْ إِلَيْهِمْ بأُذُنَيْكَ، فإن القلبَ يحْيا بنور العلم كما تحْيَا الأَرْضُ الميِّتَةُ بمطر السماء.

---

(١) البيت لعنترة بن شداد، وعبلة: اسم امرأة، والجواء: واد في ديار بني عبس، وعمي صباحاً: أنعمي، يقول للدار: أخبريني عن أهلك أنعم الله حالك وسلمك من البلى.

(٢) الأود: العوج، والخلل: الفساد في الأمر.

٤ ـ وقال أبو الطيب يخاطب سيف الدولة:

أجزْنِي إذَا أُنشِدْتَ شِعْراً فإنما ... بشِعْري أتَاكَ المادحُون مُردَّدَا[١]
ودع كلَّ صوتٍ غيْر صَوْتِي فإنَّني ... أنا الطائرُ المحْكيُّ والآخر الصَّدى[٢]

٥ ـ وقال البحتري:

فاسْلَم سَلَامةَ عِرْضِكَ الموفُورِ منْ ... صرْف الحَوادِث والزمان الأنكا

٦ ـ وقال أبو نواس:

فامْض لا تَمْنُنْ عليَّ يداً ... منُّكَ المَعْرُوف مِنْ كَدَره[٣]

٧ ـ وقال الصِّمة بن عبد الله:

قِفَا وَدِّعا نَجْدَ ومَنْ حَلَّ بالحِمَى ... وقَلَّ لِنَجْد عِنْدَنا أن يُودَّعا[٤]

٨ ـ وقال تعالى: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ٣٣﴾.

٩ ـ وقال أبو الطيب:

أقِلَّ اشْتِيَاقاً أيُّها القَلْبُ رُبَّما ... رأيتُكَ تُصْفِي الوُدَّ مَنْ لَيْس جازِيا[٥]

١٠ ـ وقال مهيار الديلمي:

وعِشْ إمَّا قرينَ أخٍ وفيٍّ ... أمينِ الغيْبِ أوْ عَيْشَ الوحادِ

---

(١) أجزني: كافئني، يقول: إذا أنشدك الشاعر شعراً فاجعل جائزته لي لأن الذي أنشدته هو شعري أتاك به المادحون يرددونه عليك، والمعنى أنهم يسلخون معاني أشعاري ويقتبسون ألفاظي ويمدحونك.

(٢) المعنى: لا يقال غير شعري فإن شعري هو الأصل وغيره حكاية له كالصدى الذي يحكي صوت الصائح.

(٣) لا تمنن: لا تمتن، واليد: النعمة، يقول: لا تمتن علي بما أسديت إلي من النعم فإن المنة تهدم الصنيعة.

(٤) الحمى: موضع فيه ماء وكلأ يمنع الناس منه، والنجد: كل ما ارتفع من تهامة إلى أرض العراق، يقول: يا خليلي قفا حتى تودعا نجداً ومن سكن حماه والتوديع قليل عندي على نجد فإنه جدير بأكثر من ذلك.

(٥) أقل فعل أمر من الإقلال، وتصفي: تخلص، يقول لقلبه: لا تشتق إلى من فارقته فإنك تخلص الود لمن لا يجزيك عليه بود مثله.

١١ ـ وقال المعري:

أَبَنَاتِ الهَدِيلِ أَسْعِدْنَ أَوْ عِدْ نَ قَلِيلَ العَزَاءِ بِالإِسْعَادِ[١]
إِيهِ لِلَّهِ دَرُّكُنَّ فَأَنْتُ نَّ اللَّوَاتِي تُحْسِنَّ حِفْظَ الوِدَادِ[٢]

(٤)

١ ـ هات أمثلة لصيغ الأمر الأربع، بحيث يكون المعنى الحقيقي للأمر هو المراد في كل صيغة.

٢ ـ هات مثالين لصيغة الأمر المفيد التخيير.

٣ ـ هات مثالين لصيغة الأمر المفيد التهديد.

٤ ـ هات مثالين لصيغة الأمر المفيد التعجيز.

(٥)

إلعَبْ واهْجُر قراءة الدرْس.

قد يكون الأمر في الجملتين السابقتين للتوبيخ، أو للإرشاد، أو للتهديد. فبين حال المخاطب في كل حال من الأحوال الثلاث.

(٦)

إسْبح في البحر.

قد يكون الأمر في الجملة السابقة للدعاء، أو للالتماس، أو للتعجيز، أو للإرشاد، فبين حال المخاطب في كل من الأحوال الأربع.

(٧)

حوّل الجمل الخبرية الآتية إلى جمل إنشائية أمرية واستوف جميع صيغ الأمر:

أنت تبكر في عملك. يخرج عليٌّ إلى الرّياض. تَصْبر نفسي على الشدائد. يأخذ البطل سيفَه. يثبت هشام في مكنه. يترك محمد المُزاحَ.

---

(١) الهديل: الذكر من الحمام أو صوته أو هو اسم الفرخ من عهد نوح كما تزعم العرب.

(٢) إيه اسم فعل أمر، ومعناه طلب الزيادة من حديث أو عمل.

(٨)

اشرح ما يأتي وبيّن ما راعك من بلاغته وحسن تأديته المعنى:

كان أبو مسلم[١] يقول لقوّاده أشعِروا قلوبكم الجراءة فإنها من أسباب الظفر، وأكثِروا ذكْرَ الضغائنِ فإنها تَبعثُ على الإقدام، والزموا الطاعة فإنها حِصْن المحارب.

(٢) النَّهي

الأمثلة:

١ - قال تعالى في النهي عن أخذ مال اليتيم بغير حق:

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾.

٢ - وقال في النهي عن قَطْعِ الإنْسان رَحِمَه:

﴿وَلَا يَأْتَلِ[٢] أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ﴾.

٣ - وقال في النهي عن اتخاذ بطانة السوء:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾[٣].

* * *

٤ - وقال مسلم بن الوليد في الرشيد:

لا يَعْدَمَنْكَ حِمَى الإسْلامِ مِنْ مَلِكٍ أَقَـمْـتَ قُـلَّتَـه مِـنْ بَـعْـدِ تـأْوِيـد[٤]

٥ - وقال أبو الطيب في سيف الدولة:

---

(١) هو عبد الرحمٰن بن مسلم القائم بالدعوة العباسية، وأحد كبار القادة، كان فصيحاً في العربية والفارسية، عالماً بالأمور مقداماً داهية حازماً يروي الشعر ويقوله، وبلغ في عمره القصير منزلة عظماء العالم، وقد قتله المنصور لما رأى منه طمعاً في الملك سنة ١٣٧هـ.

(٢) يأتل: يحلف، والسعة: الغنى.

(٣) لا يألونكم خبالاً: أي لا يقصرون في إفساد شؤونكم.

(٤) قلة كل شيء: أعلاه، والتأويد: التعويج.

فَـلَا تُـبْـلِغَـاهُ مَـا أَقـولُ فَـإِنَّـه شُجاعٌ مَتى يُذْكَرْ لهُ الطَّعْنُ يَشْتَقِ

٦ ـ وقال أبو نواس في مدح الأمين:

يَا نَاقُ لا تَسْأَمِي أَوْ تَبْلُغي مَلِكاً تَـقْـبِـيـلُ رَاحَـتِـهِ والـرُّكْـنِ سِيَّان[1]

مَـتَـى تَـحُـطِّي إلَيْـهِ الـرَّحْـلَ سَالِمَةً تَسْتَجْمِعي الْخَلْقَ في تِمْثَالِ إِنْسَانِ

٧ ـ وقال أبو العلاء:

وَلَا تَـجْـلِـسْ إلـى أَهْـلِ الـدَّنَـايَـا فَـإِنَّ خَـلَائِـقَ الـسُّـفَـهَـاءِ تُـعْـدِي

٨ ـ وقال أبو الأسود الدؤلي[2]:

لَا تَـنْـهَ عَـنْ خُـلُقٍ وَتَـأْتِـيَ مِـثْـلَهُ عَـارٌ عَـلَيْـكَ إذَا فَـعَـلْتَ عَـظِـيـمُ

٩ ـ وقال آخر:

لَا تَـعْـرِضَـنْ لِجَـعْـفَـرٍ مُـتَـشَـبِّـهـاً بِـنَـدَى يَـدَيْـهِ فَـلَسْـتَ مِـنْ أَنْـدَادِهِ

١٠ ـ لا تَمْتَثِلْ أمْري (تقول ذلك لمَن هو دونك).

١١ ـ قال أبو الطيب يهجو كافوراً:

لَا تَـشْـتَـرِ الْعَـبْـدَ إلّا وَالْعَـصَـا مَـعَـهُ إنَّ الـعَـبِـيـدَ لأَنْـجَـاسٌ مَـنَـاكِـيـدُ[3]

البحث:

إذا تأملتَ أمثلة الطائفة الأولى رأيت كلًا منها يشتمل على صيغة يُطلب بها الكف عن الفعل: وإذا أنعمت النظر رأيت طالب الكفّ فيها أعظم وأعلى ممن طُلب منه. فإن الطالب في أمثلة هذه الطائفة هو الله سبحانه وتعالى والمطلوب منهم هُمْ عبادُه؛ وهذا هو النهي الحقيقي، وإذا تأملت صيغته في كل مثال يرد عليك وجدتها واحدة لا تتغيرُ، وهي المضارع المقرون بلا الناهية.

---

(١) الراحة: الكف، والركن: يريد به ركن الحطيم بالكعبة.

(٢) هو ظالم بن عمرو بن ظالم من قبيلة الدئل، كان شاعراً مجيداً وفقيهاً محدثاً وفارساً شجاعاً صحب عليًا وشهد معه صفين، وهو أول مَن وضع النحو بإشارة علي رضي الله عنه، وتوفي سنة ٦٥هـ.

(٣) المناكيد: جمع منكود وهو قليل الخير: أي أن العبد لا يصلح إلا بالضرب والإهانة.

انظر إذاً إلى الطائفة الثانية تجد أن النهي في جميعها لم يستعمل في معناه الحقيقي. وهو طلب الكف من أعلى لأدنى، وإنما يدل على معانٍ أُخرى يدركها السامع من السّياق وقرائن الأحوال.

فمسلم بن الوليد في المثال الرابع لا يقصد من النهي إلّا الدعاء للخليفة الرشيد بالبقاء لتأييد الإسلام وإعلاء كلمته.

وأبو الطيب في المثال الخامس إنما يلتمس من صاحبيه أن يكْتُما عن سيف الدولة ما سمعاه في وصف شجاعته وفتكه بالأعداء وحسْن بلائه في الحروب؛ لأنه شجاع والشجعان يشتاقون إلى الحروب متى ذُكرت لهم، وهذا على ما جرت به عادة العرب في شعرهم إذ يتخيل الشاعر أن له رفيقين يصطحبانه ويستمعان لإنشاده، فيخاطبهما مخاطبة الأنداد، وصيغة النهي متى وُجِّهَتْ من نِدٍّ إلى نِدِّه أفادت الالتماس.

وأبو نُوَاس في المثال السادس إنما يتمنى أن تتحمل ناقته مشاق السفر وألا ينزل بها السأم حتى تَبلغ ديار الأمين، فترى هناك كيف جمع الله العالَم في صورة إنسان.

وأبو العلاء في بيته إنما ينصح مخاطبه ويرشده إلى الابتعاد عن السفهاء وأهل الدنايا.

وأبو الأسود إنما يقصد توبيخ مَن ينهَى الناس عن السوء ولا ينْتَهي عنه، ويقصد الآخرون في الأمثلة الثلاثة الباقية إلى التيئيس، والتهديد، والتحقير على الترتيب.

القواعد

(٤٠) النَّهيُ طَلَبُ الكَفِّ عَنِ الْفِعْلِ عَلَى وَجْهِ الإسْتِعْلاَءِ.

(٤١) لِلنَّهي صِيغَةٌ واحِدَةٌ هِيَ الْمُضَارِعُ مَعَ لاَ النَّاهِيَةِ.

(٤٢) قَدْ تَخرُجُ صِيغَةُ النَّهْي عَنْ مَعْناها الحقيقيّ إلى مَعانٍ أُخْرَى تُسْتَفَادُ مِنَ السّياق وقَرَائن الأحْوال، كالدُّعاءِ، والالْتماس، والتمنّي، والإرْشاد، والتَّوْبيخ، والتَّيْئيس، والتَّهْدِيدِ، والتَّحْقِير.

نَمُوذَجٌ

بيِّن صيغة النهي والمراد منها في كل مثال من الأمثلة الآتية:

١ ـ قال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾.

٢ ـ وقال أبو العلاء:

لا تَحْلِفَنَّ على صِدْقٍ ولا كَذِبٍ ... فما يُفِيدُكَ إلّا المأْثَمَ الْحلِفُ

٣ ـ وقال تعالى: ﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ﴾.

٤ ـ وقال: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾.

٥ ـ وقال البحتري يخاطب المعْتَمِدَ على الله[1]:

لا تَخْلُ مِنْ عَيْشٍ يكُرُّ سرُوره ... أبداً ونَوْرُوزٍ عليْكَ مُعادِ[2]

٦ ـ وقال الغَزِّي:

ولَا تُثْقِلَا جِيدي بِمِنةِ جاهِلٍ ... أرُوحُ بها مِثْل الْحمَام مُطَوَّقا

٧ ـ وقال آخر:

لا تطلُبِ المجدَ إن المجدَ سُلّمهُ ... صعْبٌ وَعِشْ مُسْتريحاً نَاعِمَ الْبال

٨ ـ وقالت الخنساء ترثي أخاها صخراً[3]:

أعَيْنَيَّ جُودَا ولَا تَجْمُدَا ... ألَا تَبْكِيانِ لِصخْرِ النّدى[4]

٩ ـ قال خالدُ بن صفْوان:

لا تطلبوا الحاجاتِ في غير حِينِهَا، ولا تطلبوها مِنْ غير أهْلِها.

---

(١) هو الخليفة العباسي الخامس عشر، بويع بالخلافة سنة ٢٥٦هـ واشتهر بالحلم الواسع، وتوفي سنة ٢٧٩هـ.

(٢) النوروز: أول يوم في السنة الشمسية وهو من أعياد الفرس.

(٣) هو الشهم الكريم أخو الخنساء لأبيها، وقد قتل قبل الإسلام بقليل فرثته أخته بقصائد غراء نالت من أجلها الصيت الذائع بين شعراء الجاهلية والمخضرمين.

(٤) لا تجمدا: أي لا تبخلا بالدموع.

الإجابة

الرقم	صيغة النهي	المعنى المراد	الرقم	صيغة النهي	المعنى المراد
١	ولا تُفسدوا	المعنى الحقيقي للنهي	٦	لا تثقلا	الالتماس
٢	لا تحلفن	الإرشاد	٧	لا تطلب	التحقير
٣	لا يسخر	التوبيخ	٨	لا تجمدا	التمني
٤	لا تعتذروا	التيئيس	٩	لا تطلبوا	الإرشاد
٥	لا تخل	الدعاء		ولا تطلبوا	الإرشاد

تمرينات

(١)

لِم كان النهي فيما يأتي للإرشاد، والتمني، والتهديد، والتحقير، على الترتيب؟

١ ـ لا يـخـدعـنـكَ مِـنْ عـدُوٌ دمْـعُـهُ ... وارْحـمْ شَـبـابـك مـنْ عـدُوٌ تُـرْحَـم

٢ ـ لاَ تُمْطِري أيَّتُها السَّماءُ.

٣ ـ لاَ تُقْلِع عن عِنادكَ (تقوله لمَن هو دونك).

٤ ـ لاَ تُجهِدْ نَفْسَك فيما تعِب فيه الكرام.

(٢)

بيِّن صيغ النهي والمراد من كل صيغة فيما يأتي:

١ ـ قال أبو الطيب في مدح سيف الدولة:

لا تَـطْـلُـبـنَّ كَـريـمـاً بـعْـد رُؤيـتـهِ ... إنَّ الـكِـرَامَ بـأسْـخَـاهُـمْ يـداً خُـتِـمُـوا

لا تَـحْـسَـبِ الْـمـجْـد تَـمْـراً أنْـتَ آكِـلُه ... لَنْ تَـبْلُغ الْـمَـجْـد حتَّى تَـلْعقَ الـصَّـبرا

٣ ـ وقال الطغرائي[1]:

لاَ تـطْـمـحنَّ إلـى الْـمـراتِـبِ قَـبْـل أن ... تـتـكـامـل الأدوات والأسـبـابُ

(١) هو مؤيد الدين الأصبهاني المعروف بالطغرائي، فاق أهل زمنه في صنعة النظم والنثر، وقد رمي بالإلحاد فقتل سنة ٥١٤هـ.

٤ ـ وقال الشريف الرّضي:

لا تَأمَنَنْ عدوًّا لَانَ جانبُهُ   خُشونَةُ الصّلّ عُقْبى ذلِكَ اللين(١)

٥ ـ وقال أبو الطيب:

فلَا تَنَلكَ الليالي إنّ أيْدِيها   إذَا ضَرَبْن كسَرْنَ النَّبْعَ بالغَرب(٢)

٦ ـ لاَ تُلْهِيَنَّكَ عن مَعادِكَ لَذّةٌ   تَفْنى وتُورِثُ دائِم الحسرات

٧ ـ لا تَحسبُوا مَنْ قَتَلْتُمْ كان ذَا رمق   فَلَيْس تأكُلُ إلّا المَيْتَةَ الضَّبُعُ

٨ ـ قال أبو العلاء:

لَا تَطْوِيَا السرّ عنّي يوْم نائبةٍ   فإنّ ذلِكَ ذَنْبٌ غيْرُ مُغتَفَر

والخِلُّ كالْماءِ يُبْدِي لي ضمائرَه   مع الصّفاءِ ويُخْفِيهَا مع الكَدرِ

٩ ـ وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾.

١٠ ـ وقال أبو الطيب:

ولَا تَشَكَّ إلى خَلْق فَتُشْمِتَهُ   شكْوى الجَريح إلى الغِرْبان والرَّخَمِ(٣)

١١ ـ لا تطلب المجد واقنَع   فَمَطْلَبُ المجدِ صَعْبُ

(٣)

١ ـ هات مثالين تفيدُ صيغةُ النهي في كل منهما المعنى الأصلي للنهي.

٢ ـ هات ثلاثة أمثلة تكون صيغة النهي في المثال الأول منها مفيدة الدعاء، وفي الثاني الالتماسَ، وفي الثالث التمنّي.

---

(١) الصل بالكسر: الحية التي لا تنفع منها الرقية.

(٢) تنلك: تصبك. والنبع: شجر صلب. والغرب: نبت ضعيف، يقول: لا أصابتك الليالي بسوء فإنها تغلب القوي بالضعيف.

(٣) تشك مضارع من التشكي، وشكوى مفعول مطلق، الرخم: طائر، يقول: لا تشك إلى أحد ما ينزل بك من ضر لئلا تشتمه بشكواك، فيكون حالك كحال الجريح يشكو جراحه إلى الطيور التي ترقب موته لتأكله.

٣ ـ هات ثلاثة أمثلة تكون صيغة النّهي في أولها للإرشاد، وفي الثاني للتيئيس، وفي الثالث للتهديد.

(٤)

لا تُفَارق فِراش نومك.

قد يكون النهي في الجملة السابقة للإرشاد، أو التهديد، أو التوبيخ، فبيّن حال المخاطب في كل حال من الأحوال الثلاث.

(٥)

حوّل الجمل الخبرية الآتية إلى جمل إنشائية من باب النهي، وعيّن المراد من صيغة النهي في كل جملة تأتي بها:

١ ـ أنت تعتمد على غيرك.
٢ ـ أنت تطيع أمري.
٣ ـ أنت تكثر من عتاب الصديق.
٤ ـ أنت تنهى عن الشر وتفعله.
٥ ـ أنتم تعتذرون اليوم.
٦ ـ أنت تؤاخذني بكل هفوة.
٧ ـ يحضرُ عليٌّ مجلسنا.
٨ ـ يهمل القرويون تعليم أبنائهم.

(٦)

اشرح البيتين الآتيين وبيّن المراد من صيغتَي النهي فيهما:

فَلَا تُلْزِمَنْ النَّاس غَيْر طِبَاعِهِمْ فَتَتْعب مِنْ طُول العِتَاب ويَتْعبُوا
ولا تغْتَرِرْ مِنْهُمْ بحُسْنِ بشَاشَةٍ فَأَكْثَرُ إيماض البوارق خُلَّبُ[1]

---

(١) إيماض البرق: لمعانه، والبوارق جمع بارقة: وهي البرق، والخلب: الذي ليس بعده مطر.

(٣) الاسْتفهام وأَدواتُه

أ ـ الهمزة وهل

الأمثلة:

أ
١ ـ أأَنْتَ المُسَافِرُ أمْ أخُوكَ؟
٢ ـ أَمُشْتَرٍ أَنْتَ أمْ بَائِعٌ؟
٣ ـ أَشَعِيراً زَرَعْتَ أمْ قَمْحاً؟
٤ ـ أراكِباً جِئْتَ أمْ مَاشِياً؟
٥ ـ أيَوْمَ الجمعةِ يَسْتَرِيحُ العُمَّالُ أمْ يَوْمَ الأحَدِ؟

ب
٦ ـ أيَصْدَأُ الذَّهَبُ؟
٧ ـ أيَسِيرُ الْغَمَامُ؟
٨ ـ أتتحركُ الأرضُ؟

* * *

جـ
٩ ـ هَلْ يَعْقِلُ الحيوان؟
١٠ ـ هَلْ يُحِسُّ النبات؟
١١ ـ هَلْ يَنْمُو الْجَمَاد؟

البحث:

الجمل السابقة جميعها تفيد الاستفهام، وهو كما تعلم طلب العلم بشيءٍ لم يكن معلوماً من قبل، وأداته في أمثلة الطائفتين أ، ب «الهمزة» وفي أمثلة الطائفة جـ «هل» ونريد هنا أن نعرف الفرق بين الأداتين في المعنى والاستعمال.

تدبَّر أمثال الطائفة «أ» حيث أداة الاستفهام هي الهمزة، تجد أن المتكلم في كل منها يعرف النسبة التي تضمنها الكلام، ولكنه يتردد بين شيئين ويطلب تعيين أحدهما؛ لأنه في المثال الأول مثلًا يعْرف أن السفر واقع فعلًا وأنه منسوب إلى واحد من اثنين، المخاطب أو أخيه؛ فهو لذلك لا يطلب معرفة النسبة، وإنما يطلب معرفة مفرد، وينتظر من المسؤول أن يعين له ذلك المفرد ويدلُّه عليه، ولذلك يكون جوابه بالتعيين فيقال له: «أخي» مثلًا. وفي المثال الثاني يعلم السائل أن واحداً من شيئين: الشراء أو البيع قد نسب إلى المخاطب فعلًا، ولكنه متردد بينهما فلا يدري أهو الشراء

أم البيع، فهو إذاً لا يطلب معرفة النسبة لأنها معروفة له، ولكنه يسأل عن مفرد ويطلب تعيينه، ولذا يجاب بالتعيين فيقال له في الجواب: «بائع» مثلًا، وهكذا يقال في بقية أمثلة الطائفة «أ».

وإذا تدبرت المفرد المسؤول عنه في أمثلة هذه الطائفة، وكذلك في كل مثال آخر يعرض لك، وجدته دائماً يأتي بعد الهمزة مباشرة سواء أكان مسنداً إليه كما في المثال الأول، أم مسنداً كما في الثاني، أم مفعولًا به كما في الثالث، أم حالًا كما في الرابع، أم ظرفاً كما في الخامس، أم غير ذلك، ووجدت له معادلًا يذكر بعد «أم» كما ترى في الأمثلة. وقد يحذف هذا المعادل فتقول: أأنت المسافر؟ أمشتر أنت؟ وهلم جرًّا.

* * *

انظر إلى أمثلة الطائفة «ب» حيث أداة الاستفهام هي الهمزة أيضاً تجد الحال على خلاف ما كانت في أمثلة الطائفة «أ»، فإن المتكلم هنا متردد بين ثبوت النسبة ونفيها، فهو يجهلها ولذلك يسأل عنها ويطلب معرفتها، ففي المثال السادس مثلًا يتردد المتكلم بين ثبوت الصَّدإ للذهب ونفيه عنه ولذلك يطلب معرفة هذه النسبة، ويكون جوابه بنعم إن أُريد الإثبات، وبلا إن أُريد النفي، وإذا تأملت الأمثلة هنا لم تجد للمسؤول عنه وهو النسبة معادلًا.

ومما تقدم ترى أن للهمزة استعمالين فتارة يطلب بها معرفة مفرد، وتارة يطلب بها معرفة نسبة، وتسمى معرفة المفرد تصوراً ومعرفة النسبة تصديقاً.

* * *

انظر إلى أمثلة الطائفة «جـ» حيث أداة الاستفهام «هل» تجد أن المتكلم في كل منها لا يتردد في معرفة مفرد من المفردات، ولكنه متردد في معرفة النسبة فلا يدري أمثبتة هي أم منفية فهو يسأل عنها، ولذلك يجاب بنعم إن أُريد الإثبات، وبلا إن أُريد النفي، ولو أنك تتبعت جميع الأمثلة التي يستفهم فيها بهل لوجدت المطلوب هو معرفة النسبة ليس غيرُ؛ «فهل» إذاً لا تكون إلا لطلب التصديق ويمتنع معها ذكر المعادل.

القواعد

(٤٣) الاسْتِفْهَامُ طَلَبُ العِلْمِ بشَيْءٍ لَمْ يَكُنْ مَعْلُوماً مِنْ قَبْلُ، ولهُ أدَوَاتٌ كثِيرَةٌ مِنها: الْهَمْزَةُ، وهَلْ.

(٤٤) يُطْلَبُ بالْهَمْزَةِ أحَدُ أمْرَيْن:

أ ـ التَّصَوُّرُ وهُوَ إدْراكُ الْمُفْرَدِ، وفِي هٰذِهِ الحَال تَأتي الهمْزَةُ مَتْلُوَّةً بالْمَسْؤُول عَنْهُ ويُذْكَرُ لهُ في الغَالِب مُعَادِلٌ بَعْدَ أمْ.

ب ـ التَّصْدِيقُ وهُوَ إدْراكُ النِّسْبَةِ، وفي هذِه الحال يَمْتَنِعُ ذكْرُ الْمُعَادِل[1].

(٤٥) يُطْلَبُ بهَل التَّصْدِيقُ لَيْسَ غَيْرُ، وَيَمْتَنِعُ مَعَهَا ذكْرُ الْمُعَادل[2].

(ب) بَقِيَّة أدواتِ الاسْتِفْهَام

الأمثلة:

١ ـ مَن اخْتَطَّ القَاهِرَةَ؟

٢ ـ مَنْ حَفَرَ تُرْعَةَ السُّوَيْسِ؟

٣ ـ مَا الْكَرَى؟

٤ ـ مَا الإِسْرَافُ؟

* * * * * *

٥ ـ مَتَى تَوَلَّى الْخِلاَفَةَ عُمَرُ؟

٦ ـ مَتَى يَعُودُ الْمُسَافِرُونَ؟

٧ ـ ﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾؟

٨ ـ ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾؟

البحث:

الجمل المتقدمة جميعها استفهامية، وإذا تأملت معاني أدوات الاستفهام هنا رأيت أن «من» يطلب بها تعيينُ العقلاء، وأن «ما» تكون لغير العقلاء، ويطلب بها تارة شرح الاسم كما إذا قلت: ما الكَرى؟ فتجاب بأنه النوم، وتارة يطلب بها حقيقة المسمى، كما إذا قلت: ما الإسراف؟ فتجاب بأنه تجاوز الحد في النفقة وغيرها،

---

(١) إن جاءت «أم» بعد همزة التصور تكون «متصلة» وإن جاءت بعد همزة التصديق أو هل قدرت «منقطعة» وتكون بمعنى «بل».

(٢) هل، قسمان: بسيطة إن استفهم بها عن وجود الشيء أو عدمه، نحو: هل الإنسان الكامل موجود؟ ومركبة إن استفهم بها عن وجود شيء لشيء، نحو: هل النبات حساس؟

ووجدت أن «متى» يطلب بها تعيين الزمان ماضياً أو مستقبلًا، و«أيان» للزمان المستقبل خاصة وتكون في موضع التفخيم والتهويل.

وهناك أدوات أُخرى للاستفهام هي: كيف، وأين، وأنّى، وكم، وأي، «فكيف» يطلب بها تعيين الحال نحو: كيف جئتم؟ و«أين» يطلب بها تعيين المكان نحو: أين دِجلة والفرات؟ و«أنّى» تكون بمعنى كيف، نحو: أنى تسود العشيرة وأبناؤها متخاذلون؟ وبمعنى من أين نحو: أنى لهم هذا المال وقد كانوا فقراء؟ وبمعنى متى نحو: أنى يحضر الغائبون؟ و«كم» يطلب بها تعيين العدد نحو: كم جنديًّا في الكتيبة؟ وأما «أيُّ» فيطلب بها تعيين أحد المتشاركَيْن في أمر يعمهما؟ نحو: أي الأخوين أكبر سنًّا؟ وتقع على الزمان، والمكان، والحال، والعاقل، وغير العاقل على حسب ما تضاف إليه. وجميع هذه الأدوات تأتي للتصور ليس غير، ولذلك يكون الجواب معها بتعيين المسؤول عنه.

القواعد

(٤٦) لِلاِسْتِفْهَامِ أَدَوَاتٌ أُخرَى غَيْرُ الهمزة وهَلْ، وهي:

مَنْ ويُطْلَبُ بِهَا تَعْيِين الْعُقَلاَءِ.

ما ويُطْلَبُ بِهَا شَرْحُ الاسمِ أَوْ حَقِيقَةُ المسمّى.

مَتَى ويُطْلَبُ بِهَا تَعْيِينُ الزّمَان مَاضِياً كانَ أَوْ مُسْتَقْبَلاً.

أَيّان ويُطْلَبُ بِهَا تَعْيِينُ الزّمَان الْمُسْتَقْبَل خاصّةً وتكونُ في مَوْضِعِ التّهْويل.

كَيْفَ وَيُطلَبُ بها تَعْيِينُ الحال.

أَيْنَ وَيُطلَبُ بها تَعْيِينُ المكان.

أَنّى وتَأْتي لِمَعَان عِدّةٍ، فتكونُ بمعْنَى كَيْفَ، وبمعنى مِنْ أَيْنَ، وبمعنى مَتى.

كَمْ ويُطْلَبُ بها تَعْيِينُ العَدَدِ.

أيّ ويُطْلَبُ بهَا تَعْيِينُ أَحَدِ الْمُتَشاركين في أَمْرٍ يَعُمُّهُمَا، ويُسْأَلُ بها عن الزّمَان والْحَال والعَدَدِ والعَاقِل وغَيْر العَاقِل عَلَى حَسَبِ مَا تُضَافُ إِلَيْهِ.

(٤٧) جَمِيعُ الأَدَوَاتِ الْمُتَقَدِّمَةِ يُطلَبُ بها التصوُّرُ، ولذلِكَ يكونُ الجوابُ مَعَهَا بتَعْيين الْمَسْؤُول عَنْهُ.

(جـ) الْمَعَاني الَّتي تُسْتَفَادُ مِنَ الإِستفهام بالْقَرَائن

الأمثلة:

١ ـ قال الْبُحتريّ:

هَل الدَّهْرُ إلَّا غَمْرةٌ وانْجلاؤُهَا ... وشِيكاً وإلَّا ضِيقَةٌ وانفِراجُها؟[١]

٢ ـ وقال أبو الطيب في المديح:

أتلْتَمِسُ الأعداءُ بَعْدَ الَّذِي رأتْ ... قِيامَ دَليلٍ أوْ وُضُوحَ بيانٍ؟[٢]

٣ ـ وقال البحتري:

أَلَسْتَ أعَمَّهُمْ جُوداً وأزْكَا ... هُمُ عُوداً وأمْضَاهُمْ حُسَامَا؟[٣]

٤ ـ وقال آخر:

إلامَ الْخُلْفُ بَيْنَكُمُ إلامَا؟ ... وهَذِي الضَّجَّةُ الكُبْرَى عَلامَا؟

٥ ـ وقال أبو الطيب في الرثاء:

مَنْ لِلْمَحَافِلِ وَالْجَحَافِلِ وَالسُّرَى ... فَقَدَتْ بِفَقْدِكَ نَيِّراً لا يَطْلُعُ[٤]

وَمَن اتَّخَذْتَ عَلَى الضُّيُوف خَليفةً ... ضَاعُوا ومِثْلُكَ لا يَكادُ يُضَيِّعُ

٦ ـ وقال يهجو كافوراً:

مِنْ أيَّة الطُّرْقِ يأتي مِثْلك الكَرَم؟ ... أيْنَ الْمَحَاجِمُ يا كافُورُ وَالجلَمُ؟[٥]

٧ ـ وقال أيضاً:

حتّام نَحْنُ نَساري النَّجم في الظلَم ... ومَا سُراهُ على خُفٍّ ولا قَدَمِ؟[٦]

---

(١) الغمرة: الشدة، وانجلاؤها: زوالها، ووشيكاً: سريعاً.

(٢) يقول: هل يطلب أعداؤك دليلاً على أن الله يريد أن يجعل أمرك هو الغالب بعدما رأوا الأدلة على ذلك.

(٣) أزكاهم عوداً: أقواهم جسماً.

(٤) المحافل: المجامع، والجحافل: الجيوش، والسري: مشي الليل، ويريد به الزحف على الأعداء.

(٥) المحاجم: جمع محجمة وهي القارورة يحجم بها الجلد، ويقال لها كأس الحجامة، الجلم: أحد شقي المقراض والمراد به المشراط. قيل إن كافوراً كان عبداً لحجام بمصر ثم اشتراه الإخشيد.

(٦) نساري: من السري وهو مشي الليل، يقول: حتى متى نسري مع النجم في الليل، وهو لا يسري على خف كالإبل ولا على قدم كالناس، فلا يتعب مثلنا ومثل مطايانا.

٨ ـ وقال أيضاً وقد أصابته الحمّى:

أَبِنْتَ الدَّهْرِ عِنْدِي كُلُّ بِنْتٍ   فَكَيْفَ وَصَلْتِ أَنْتِ مِنَ الزِّحَامِ؟[1]

٩ ـ وقال تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ﴾.

١٠ ـ وقال تعالى: ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ﴾؟

١١ ـ وقال تعالى: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾؟

البحث:

عرفت فيما مضى ألفاظ الاستفهام ومعانيها الحقيقية. وهنا نريد أن نبين لك أن هذه الألفاظ قد تخرج إلى معان أخرى تستفاد من السياق.

تدبّر الأمثلة المتقدمة تجد البحتري في المثال الأول لا يسأل عن شيء، وإنما يريد أن يقول ما الدهر إلّا شدة سرعان ما تنجلي، وما هو إلا ضيق يعقبه فرج، فلفظة هل في كلامه إنما جاءت للنفي لا لطلب العلم بشيءٍ كان مجهولًا.

وأبو الطيب في المثال الثاني إنما ينكر على الأعداء ارتيابهم في عُلا كافور والتماسهم البراهين على ما كتبه الله له من النصر واختصه به من الجدّ السعيد، بعد أن رأوا كيف يتردى في المهالك كل من أراد به شرًّا، وكيف يُصيب الزمان كل مَن نوى له سوءاً، فالاستفهام في البيت لا يفيد معنى سوى الإنكار.

والبحتري في المثال الثالث إنما يريد أن يحمل الممدوح على الإقرار بما ادعاه له من الفوْق على بقية الخلفاء في الجود وبسطة الجسم والشجاعة، وليس من قصده أن يسأل، فالاستفهام في كلامه للتقرير.

والشاعر في المثال الرابع يلوم مخاطبيه على تماديهم في الشقاق واستمرارهم في التخاذل والتنافر. ويقرعهم على غلوهم في الصخَب والضجيج، فهو قد خرج بأداة الاستفهام عن معناها الأصلي إلى التوبيخ والتقريع.

وأبو الطيب في المثال الخامس يقصد إلى التعظيم والإجلال بإظهار ما كان للمرْثي أيام حياته من صفات السيادة والشجاعة والكرم، مع ما في ذلك من إظهار التحسُّر

---

(١) يريد ببنت الدهر: الحمى التي أصيب بها، وبنات الدهر: شدائده ومصائبه. يقول اللحمي: عندي كل نوع من أنواع الشدائد، فكيف لم يمنعك ازدحامها من الوصول إليه.

والتفجُّع. أما في المثال السادس حيث يهجو كافوراً فإنه ينتقصه ويعمِد إلى تحقيره والحط من كرامته.

وإذا تدبرت بقية الأمثلة وجدت أدوات الاستفهام قد خرجت عن معانيها الأصلية إلى الاستبطاء، والتعجب، والتسوية، والتمني، والتشويق، على الترتيب.

القاعدة

(٣٨) قَدْ تَخْرُجُ أَلْفاظُ الاسْتِفْهام عَنْ مَعَانِيها الأَصْلِيَّةِ لمَعَانٍ أُخْرى تُسْتَفَادُ مِنْ سِياق الكَلام كالنَّفْي، والإِنْكار، والتَّقْرير، والتَّوْبيخ، والتَّعْظِيم، والتَّحْقير، والاسْتِبْطاء، والتَّعَجُّب، والتَّسوِيَةِ، والتَّمَنِّي، والتَّشْويق.

نَمُوذَجٌ (١)

١ ـ شَبَّ في المدينةِ حريق لم تره، فسل صديقك عن رؤيته إيَّاه.

٢ ـ سمعتَ أن أحد أخويك علي ونجيب أنقذ غريقاً. فسل عليا يعين لك المنقذ.

٣ ـ إذا كنت تعرف أن البنفسج يكثر في أحد الفصلين الخريف أو الشتاء لا على التعيين، فضَع سؤالاً تطلب فيه تعيين أحد الفصلين.

الإِجابة (١)

الرقم	السؤال المطلوب	شرح الإجابة
(١)	هل رأيت الحريق الذي شبّ في المدينة؟	السؤال هنا عن النسبة وهل والهمزة صالحتان للاستفهام عنها فتذكر إحداهما ويؤتى بعدها بالجملة.
(٢)	أأنت الذي أنقذت الغريق أم نجيب؟	السؤال هنا عن المسند إليه فيستفهم بالهمزة ويؤتى بعدها بالمسؤول عنه ثم يؤتى بمعادل بعد أم.
(٣)	أفي الخريف يكثر البنفسج أم في الشتاء؟	السؤال عن الظرف ويتبع في تكوينه ما اتبع في المثال السابق.

نموذج (٢)

لبيان الأغراض التي يدل عليها الاستفهام في الأمثلة الآتية:

١ ـ قال أبو تمام في المديح:

هلِ اجْتَمعتْ أحْياءُ عدْنان كلُّها … بمُلتحمٍ إلّا وأنتَ أميرُها[1]

٢ ـ وقال البُحْتُري:

أأكْفُرُكَ النُّعْماء عِنْدِي وقَدْ نَمتْ … عليّ نُمُوَّ الفَجْرِ والفَجْرُ ساطعُ؟

وأنتَ الّذِي أعْزَزْتَني بعْد ذِلّتي … فلا القَوْلُ مخْفوض ولا الطرف خاشع؟[2]

٣ ـ وقال ابن الرومي في المدح:

ألستَ المرْءَ يَجْبي كلّ حمْدٍ … إذَا ما لَمْ يَكُنْ لِلْحَمْدِ جابِ؟[3]

٤ ـ وقال أبو تمام:

ما لِلْخُطُوب طَغتْ عليّ كَأنها … جَهِلَتْ بأنّ نداك بالمِرْصَادِ؟

٥ ـ وقال آخر:

فدَع الوَعِيد فما وعيدكَ ضائري … أطنينُ أجْنِحَةِ الذُباب يضِير؟[4]

٦ ـ أضَاعُوني وأيّ فتًى أضاعُوا؟ … لِيَوْم كريهَة وسداد ثَغْر[5]

---

(١) أحياء عدنان: بطونها؛ الملتحم: مكان اشتداد القتال.

(٢) القول المخفوض: ما كان ليناً ليست فيه شدة، والطرف الخاشع: العين فيها انكسار وذلة.

(٣) يجبي: يجمع.

(٤) الطنين: صوت أجنحة الذباب، ويضير: يضر.

(٥) الكريهة: الشدة في الحرب، والثغر: موضع المخافة من العدو عند حدود البلدان، ويريد بسداده سده بالخيل والرجال.

الإجابة

الرقم	صيغة الاستفهام	الغرض	الشرح
(١)	هل اجتمعت أحياء عدنان	النفي	لأن المعنى أن بطون عدنان لم تجتمع في مكان قتال إلا وأنت أمير عليها.
(٢)	أأكفرك النعماء عندي	الإنكار	فإن البحتري يريد أن يقول لممدوحه إنه لا يليق بي أن أكفر نعماءك وقد غمرتني بها غمراً، وبدلتني بالذل عزًا، وبالخضوع والخشوع عظمة وعلوًا.
(٣)	ألست المرء يجبي كل حمد	التقرير	لأن القائل يريد أن يحمل الممدوح على الإقرار بما ادعاه من اجتماع المحامد له.
(٤)	ما للخطوب طغت عليّ	التعجب	فإن أبا تمام يعجب من تراكم الشدائد عليه في حين أن ممدوحه لها بالمرصاد يدفعها عنه بنداه وعطاياه، ولذلك قال كأنها جهلت بأن نداك بالمرصاد.
(٥)	أطنين أجنحة الذباب يضير	التحقير	لأن الشاعر يشبه وعيد عدوه بصوت أجنحة الذباب.
(٦)	أضاعوني وأي فتى أضاعوا	التعظيم	لأن المتكلم يريد أن يرفع من شأن نفسه ويبين أنه عماد العشيرة في أوقات الحروب والشدائد.

تمرينات

(١)

١ ـ وعدك صديق أن يزورك في الغد، فشككتَ في أنه يزورك قبل الظهر أو بعده، فضع سؤالاً تطلب به تعيين الوقت.

٢ ـ علمتَ أن واحداً من عَمَّيْكَ حامِدٍ ومحمود قد اشترى بيتاً، فضع سؤالاً تطلب به تعيين المشتري.

٣ ـ إذا كنتَ شاكًا في أن القصب يُزرع في الربيع أو في الصيف، فكيف تصوغ السؤال الذي تطلب به من المخاطب تعيين الزمان؟

٤ ـ سل صديقك عن ميله إلى الأسفار.

(٢)

سل عن: الحال، والمفعول به، والظرف، والمبتدأ، والخبر، والجار والمجرور، في الجمل الآتية:

نظم القصيدة متأثراً - اشترى قلماً - كتب الرسالة ليلًا - عليّ الفائز - مصر خِصْبةٌ - الكتاب في البيت.

(٣)

سل عما يأتي:

أ - أول الخلفاء الراشدين.

ب - أطول شارع في المدينة.

جـ - حال مصر أيام المماليك.

د - الزمن الذي ينضج فيه العنب.

هـ - عدد المدارس العالية في مصر.

و - موطن الفيلة.

ز - حقيقة الصدق.

ح - معنى الضَّيغَم.

(٤)

١ - لمَ كان الاستفهام في الأمثلة الآتية مفيداً النفي، والإنكار، والتعظيم، على الترتيب؟

أ - هل الدَّهرُ إلاَّ ساعةٌ ثم تَنقضي ... بما كان فيها من بلاءٍ ومن خَفْض؟[1]

ب - قال تعالى: ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ﴾.

جـ - مَنْ منكم الملكُ المُطَاعُ كأنَّه ... تحت السوابغ تُبَّعٌ في حِمْيَر؟[2]

٢ - لمَ كان الاستفهام في الأمثلة الآتية مفيداً التقرير، والتعجب، والتمني، على الترتيب؟

(١) البلاء: الهم والغم، والخفض: النعيم والدعة.

(٢) البيت لابن هانىء الأندلسي، والسوابغ: الدروع، تبع: ملك اليمن، وحمير موضع أو قبيلة غربي صنعاء؛ يخاطب الجيش ويقول: أيها الجنود مَن منكم الملك الذي له من القوة والسلطان ما لتبع.

أ ـ قال تعالى: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾؟

ب ـ قالت إحدى نساء العرب تشكو ابنها:

أَنْشا يُمزِّق أثوابي يُؤدِّبني ... أبَعْد شَيْبي يبْغي عِنْدِي الأدبا؟

جـ ـ وقال أبو العتاهية في مدح الأمين:

تَذكَّرْ أمين الله حقي وحُرْمتي ... وما كُنْتَ تُوليني لَعلكَ تذكرُ

فَمَنْ لي بالعيْن التي كنتَ مرَّةً ... إليَّ بها في سالف الدهر تَنْظُرُ؟

(٥)

ماذا يُرادُ بالاستفهام في الأمثلة الآتية:

١ ـ قال المتنبي:

ومَنْ لَمْ يعْشَق الدُّنيا قَدِيماً؟ ... ولٰكن لا سبيل إلى الوصال[١]

٢ ـ وقال:

ولَسْتُ أُبالي بعْدَ إدْرَاكي العُلا ... أكان تُراثاً ما تَناوَلْتُ أمْ كَسْبا؟[٢]

٣ ـ وقال:

وهل تغْنِي الرَّسائلُ في عدُوٍّ ... إذَا مَا لَمْ يَكُنْ ظُباً رقاقا؟[٣]

٤ ـ وقال حينما صرع بدرُ بن عمّار أسداً:

أمُعفِّر الليثِ الهِزبْرِ بسَوطهِ ... لمن ادَّخرت الصارم المصقولا؟[٤]

---

(١) الناس من قديم الزمان مولعون بحب الدنيا والبقاء فيها، ولكن لم يتمتع أحد بهذا البقاء لأنها لا تدوم لأحد.

(٢) التراث: الإرث، يقول: إذا استوليت على معالي الأمور فما أبالي أن أكون بلغتها عن إرث أو كسب، وقد كان الوجه أن يقول: أتراثاً كان لأن الهمزة لا يليها إلا المسؤول عنه كما تقدم لك ولكنه لما ذكر المعادل تعين المسؤول عنه.

(٣) الظبا: جمع ظبة وهي حد السيف. أي أن العدو لا يشتفي منه إلا بالقتل.

(٤) عفره: مرغه في التراب، والليث: الأسد، والهزبر: الشديد، والصارم: السيف القاطع؛ يقول: إذا كنت تصرع الأسد بالسوط وهو أشد الحيوان بأساً، فلمن أعددت سيفك؟

٥ ـ وقال أبو تمام:

أَوُلَيس هُجْر القَوْل مَنْ لو هجوْتُهُ إذاً لَهجاني عنهُ معْرُوفُهُ عِنْدي؟

٦ ـ وكيْف أخافُ الفقْرَ أو أُحرمُ المنى ورأْيُ أمير المُؤمنين جميلُ؟

٧ ـ ما أنتِ يا دُنْيا أرؤيا نائم أمْ لَيْلُ عُرْسٍ أمْ بساطُ سُلاف؟[1]

٨ ـ وقال أبو الطيب:

ومَا لَك تُعْنَى بالأسِنَّةِ والقَنَا؟ وجَدُّكَ طَعَّانٌ بغَير سِنَانِ[2]

٩ ـ هلْ بالطُّلول لِسائِلٍ ردُّ؟ أمْ هلْ لَها بتَكَلُّم عَهْدُ؟

١٠ ـ حتى متَى أنتَ في لَهْوٍ وفي لَعِب؟ والموْتُ نَحْوكَ يهْوى فاتِحاً فاهُ

١١ ـ وقال أبو الطيب:

يفْنَى الْكَلامُ ولا يُحيطُ بفَضْلِكُم أيُحيطُ ما يَفْنَى بما لا يَنْفَدُ؟

١٢ ـ وقال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾؟

١٣ ـ وقال أبو الطيب:

أيدْري الرَّبْعُ أيَّ دمٍ أراقَا؟ وأيَّ قلوب هذا الرَّكْب شاقَا؟[3]

١٤ ـ وقال المتنبي في سيف الدولة يعُودُه من دُمَّل كان فيه:

وكيف تُعِلُّك الدنيا بشيءٍ؟ وأنت لِعِلَّة الدنيا طبيبُ

وكيف تنُوبُكَ الشكوى بداءٍ؟ وأنْتَ الْمُسْتغاث لما ينُوبُ

١٥ ـ وقال أبو العلاء المعري:

أتظُنُّ أنك للمعالي كاسِبٌ؟ وخَبِيُّ أمْرِكَ شِرَّةٌ وشَنَارُ[4]

---

(١) العرس: طعام الوليمة، والسلاف: الخمر.

(٢) تعني بصيغة المجهول أي تعتني، والجد: الحظ، يقول: ما لك تعتني بادخار الأسلحة وحظك يطعن أعداءك فيقتلهم بغير سنان.

(٣) الربع: الدار، وأراق: سفك، والركب: جماعة الركبان. يذكر مروره بربع الأحبة ويقول: أيدري هذا الربع ما فعل من إراقة دمي، وما هيج في قلبي من الشوق بذكر الأحبة.

(٤) الشرة بالكسر: الشر والحدة والحرص، والشنار بالفتح: أقبح العيب.

(٦)

١ ـ استعمل كل أَداة من أدوات الاستفهام في جملتين مفيدتين وأَجب عن كل سؤال تأْتي به، واجعل غرضك من الاستفهام معناه الحقيقي.

٢ ـ استعمل همزة الاستفهام في ست جمل بحيث تكون في الثلاث الأولى منها لطلب التصوُّر، وفي الثلاث الأَخيرة لطلب التصديق، واجعل غرضك من الاستفهام معناه الحقيقي.

٣ ـ كوِّن ثلاث جمل استفهامية تامة، أَداة الاستفهام في كل منها «هل»، واجعل غرضك من الاستفهام معناه الحقيقي.

٤ ـ هات ثلاث جمل أَداة الاستفهام في كل منها «أنى» واستوفِ المعاني التي عرفتها لهذه الأَداة، واجعل غرضك من الاستفهام معناه الحقيقي.

(٧)

١ ـ كوِّن ثلاث جمل استفهامية بحيث يدل الاستفهام في الأولى على التسوية، وفي الثانية على النفي، وفي الثالثة على الإِنكار.

٢ ـ هات ثلاث جمل استفهامية: يدل الاستفهام في الأولى منها على التعظيم، وفي الثانية على التحقير، وفي الثالثة على التوبيخ.

٣ ـ مثِّل للاستفهام الخارج عن معناه الأَصلي للتعجب، ثم للتمني، ثم للاستبطاء.

(٨)

اشرح البيتين الآتيين وبيِّن أغراض الاستفهام فيهما، وهما يُنسبان لأعرابي يمدح الفضلَ بن يحيى البَرْمكي:

ولائمة لامتْك يا فضلُ في النَّدى فقلت لها هل أَثَّر اللوم في البحر؟
أَتنْهَيْن فضلًا عن عطاياهُ للورى؟ ومَن ذا الذي ينْهى الغمام عن القَطر؟

(٤) التَمني

١ ـ قال ابن الروميّ في شهر رمضان:

فليت الليلَ فيه كان شهراً ومرّ نهارُه مَرّ السحاب

٢ ـ وقال تعالى: ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُواْ لَنَآ﴾.

٣ ـ وقال جرير:

وَلَّى الشبابُ حميدةً أيامُه لو كان ذلك يُشْتَرَى أو يَرْجِعُ

٤ ـ وقال آخر:

أسِربَ القَطا هل مَن يُعير جَناحه لَعَلي إلى مَن قد هَويتُ أطيرُ؟[1]

٥ ـ وقال تعالى: ﴿يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ﴾.

البحث:

الأمثلة المتقدمة جميعها من باب الإنشاء الطلبي. وإذا تأملت المطلوب في كل مثال وجدته أمراً محبوباً لا يرجى حصوله، إما لكونه مستحيلًا كما في الأمثلة الأربعة الأولى، وإما لكونه ممكناً غير مطموع في نيله كما في المثال الأخير، ويسمى هذا الضرب من الإنشاء بالتمني.

والأدوات التي أفادت التمني في الأمثلة المتقدمة هي: ليت، وهل، ولو، ولعلّ: غير أن الأداة الأولى أفادته بأصل الوضع، أما الثلاث الأخرى فإنها استُعْمِلت فيه للطائف بلاغيّة.

هذا وإذا كان المطلوب المحبوب ممكناً مطموعاً في حصوله كان طلبه ترجياً، ويعبر فيه بلعل وعسى، وقد تستعمل فيه ليت لسبب يقصده البليغ كما في قول أبي الطيب:

فَيا لَيتَ ما بيْني وبين أحبّتي مِن البُعْدِ ما بيْني وبين المصائبِ

---

(١) السرب: الجماعة، والقطا: نوع من الطير يشبه الحمام، وهويت: أحببت.

القواعد

(٤٩) التَّمَنِّي طَلَبُ أَمرٍ مَحْبُوبٍ لاَ يُرْجَى حُصُولُه، إِمَّا لِكَوْنِهِ مُسْتَحِيلاً، وإِمَّا لِكَوْنِهِ مُمْكِناً غَيْرَ مَطْمُوعٍ في نَيْلِهِ.

(٥٠) واللَّفْظُ الْمَوْضُوع للتَّمَنِّي لَيْتَ، وقد يُتَمَنَّى بهَلْ، وَلَوْ، وَلَعلَّ، لِغَرَضٍ بَلاَغيّ[١].

(٥١) إِذَا كَانَ ألأَمْرُ الْمَحْبُوبُ مِمَّا يُرْجَى حُصُولُهُ كانَ طَلَبُهُ تَرَجِّياً، ويُعَبَّرُ فيهِ بلَعَلَّ أَوْ عَسَى، وقد تُسْتَعْمَلُ فيه لَيْتَ لغَرَض بلاغيّ[٢].

نَمُوذَجٌ

لبيان ما في الأمثلة الآتية من تمنٍّ أو ترجٍّ، وتعيين الأداة في كل مثال:

١ ـ قال صريعُ الغواني:

واهـاً لأيـام الـصِّـبـا وزمـانِـه ... لَوْ كـان أَسْـعـف بـالْمُـقَـام قـلـيـلا[٣]

٢ ـ وقال أبو الطيب:

فَـلَيْـتَ هَـوَى الأَحِـبَّـةِ كـانَ عَـدْلًا ... فـحـمَّـل كـلَّ قَـلْـبٍ مـا أَطَـاقـا

٣ ـ وقال تعالى: ﴿فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾؟

الإجابة

الرقم	المعنى المراد	الأداة	البيان
١	التمني	لو	لأن المطلوب هنا ممكن غير مطموع في حصوله.
٢	الترجي	ليت	لأن المطلوب هنا ممكن مطموع في حصوله.
٣	التمني	هل	لأن المطلوب هنا ممكن غير مطموع في حصوله

(١) الغرض في هل ولعل، هو إبراز المتمني في صورة الممكن القريب الحصول؛ لكمال العناية به والتشوُّق إليه، والغرض في لو الإشعار بعزة المتمني وندرته؛ لأن المتكلم يبرزه في صورة الممنوع؛ إذ إن لو تدل بأصل وضعها على امتناع الجواب لامتناع الشرط.

(٢) الغرض هو إبراز المرجو في صورة المستحيل مبالغة في بعد نيله.

(٣) واهاً: كلمة تعجب تقولها إذا تعجبت من طيب الشيء، فمعنى واهاً لأيام الصبا ما أطيبها!

تمرينات

(١)

بيّن ما في الأمثلة الآتية من تمنٍّ أو ترجٍّ، وبيّن السر في استعمال ما جاء من الأدوات على غير وضْعِهِ الأصليّ:

١ ـ قال مَرْوانُ بنُ أبي حفصة في رثاء معْن بن زائدة:

فَلَيْتَ الشَّامِتِينَ بِهِ فَدَوْهُ ... ولَيْتَ العُمْرَ مُدَّ لَهُ فَطَالا[1]

٢ ـ وقال أبو الطيب في رثاء أُخت سيف الدولة:

فَلَيْتَ طالِعَةَ الشَّمْسَيْنِ غائِبَةٌ ... وليت غائبةَ الشمسين لم تَغِبِ[2]

٣ ـ وقال آخر:

علَّ الليالي الّتي أضْنَتْ بفرقتِنا ... جِسْمي ستَجْمعُني يوْماً وتَجْمعُهُ[3]

٤ ـ قال الله تعالى: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾.

٥ ـ وقال تعالى: ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝١٠٢﴾[4].

٦ ـ وقال الشاعر:

أيا منْزِلَيْ سَلْمى سلامٌ عليْكُما ... هلِ الأزمنُ اللائي مضَيْن رواجعُ

٧ ـ وقال:

لَيْتَ الملوكَ على الأقْدار مُعْطِيةٌ ... فلمْ يكنْ لِدنيءٍ عندها طَمعُ[5]

٨ ـ وقال في المديح:

ليْتَ المدائح تَسْتَوْفِي مناقِبَهُ ... فما كُليبٌ وأهلُ الأعصُرِ الأُوَلِ؟

(١) الشامتين به: الفرحين بموته، وفدوه: جعلوا فداء له.

(٢) جعل المرثية وشمس النهار شمسين، يقول: ليت الطالعة من هاتين الشمسين وهي شمس النهار غائبة، وليت الغائبة منهما وهي المرثية لم تغب. يريد أنها كانت أعم نفعاً من الشمس فليتها بقيت وفقدنا الشمس.

(٣) أضنت جسمي: أمرضته.

(٤) كرة: أي رجوعاً إلى الدنيا.

(٥) أي ليتهم يعطون الشعراء على قدر فضلهم ونبل أنفسهم فلا يطمع في عطائهم خسيس.

(٢)

١ ـ هات مثالين لكل أداة تفيد التمني.

٢ ـ هات مثالين للترجي، واستعمل في الأول لعل وفي الثاني عسى.

٣ ـ هات مثالين للترجي، واستعمل في كل منهما «ليت» وبيِّن السبب البلاغي في اختيار هذه الأداة.

(٣)

انثُر البيتين الآتيين نثراً وهما للمتنبي في مدح كافور:

لَحى الله ذِي الدنْيا مُناخاً لراكبٍ فكل بعِيدِ الهمّ فيها مُعذَّبُ[1]

ألا ليْتَ شعْري هلْ أقولُ قَصِيدةً فلا أشْتكي فيها ولا أتعَتَّبُ[2]

(٥) النِّداء

الأمثلة:

١ ـ كتبَ أبو الطيب إلى الوالي وهو في الاعتقال:

أمَالِكَ رقِّي ومَنْ شأْنُهُ هِبَاتُ اللُّجَيْن وَعِتْقُ الْعَبِيد[3]

دَعَوْتُكَ عِنْدَ انْقِطَاعِ الرَّجَا ءِ وَالْمَوْتُ مِنِّي كَحَبْلِ الْوَرِيد[4]

٢ ـ وقال أبو نُواس:

يا رَبِّ إنْ عَظُمَتْ ذُنُوبي كثْرَةً فَلَقَدْ عَلِمْتُ بأنَّ عَفْوَكَ أعْظَمُ

٣ ـ وقال الفرزدق يفتخر بآبائه ويهجو جريراً:

---

(١) لحى الله ذي الدنيا: أي قبحها ولعنها، والمناخ: المنزل وهو تمييز، يذم الدنيا ويقول: إنها دار شقاء وإن كل عظيم الهمة فيها معذب.

(٢) ليت شعري: أي ليتني أعلم.

(٣) الرق: العبودية، والهبات: العطايا، واللجين: الفضة، والعتق: التحرير.

(٤) حبل الوريد: عرق في العنق يضرب مثلاً في شدة القرب.

أُولَـئِكَ آبـائِي فَـجِـئْـنِي بِـمِـثْـلِهِـمْ إِذَا جَـمَـعَـتْـنَـا يَـا جَـرِيـرُ الْمَـجَـامِـعُ

٤ ـ وقال آخر:

أيَـا جَـامِـعَ الـدُّنْـيَـا لِغَـيْـرِ بَـلَاغَـةٍ لِمَـنْ تَـجْـمَـعُ الـدُّنْـيَـا وَأَنْـتَ تَـمُـوتُ؟

البحث:

إذا أردنا إقبال أحد علينا دعوناه بذكر اسمه أو صفة من صفاته بعد حرف نائب مناب أدعو، ويسمى هذا بالنداء.

وأدوات النداء هي: الهمزة، وأيْ، ويا، وآ، وآي، وأيا، وهيا، ووا.

والأصل في نداء القريب أن ينادى بالهمزة أو أي، وفي نداء البعيد أن ينادى بغيرهما من بقية الأدوات، غير أن هناك أسباباً بلاغيّة تدعو إلى مخالفة هذا الأصل، وسنشرح لك هذه الأسباب فيما يأتي:

تأمل المثال الأول تجد المنادى فيه بعيداً، ولكنْ أبا الطيب ناداه بالهمزة الموضوعة للقريب، فما السبب البلاغي هنا؟ السبب أن أبا الطيب أراد أن يبيّن أن المنادى على الرغم من بعده في المكان، قريب من قلبه مستحضر في ذهنه لا يغيب عن باله، فكأنه حاضر معه في مكان واحد. وهذه لطيفة بلاغيّة تسوغ استعمال الهمزة وأيْ في نداء البعيد.

انظر إلى الأمثلة الثلاثة الباقية تجد المنادى في كل منها قريباً، ولكن المتكلم استعْمل فيها أحرف النداء الموضوعة للبعيد فما سبب هذا؟

السبب أن المنادى في المثال الثاني جليل القدر خطير الشأن فكأن بُعد درجته في العِظم بعدٌ في المسافة، ولذلك اختار المتكلم في ندائه الحرف الموضوع لنداء البعيد ليشير إلى هذا الشأن الرفيع. وأما في المثال الثالث فلأن المخاطب في اعتقاد المتكلم وضيع الشأن صغير القدر فكأن بُعد درجته في الانحطاط بعدٌ في المسافة. وأما في المثال الأخير فلأن المخاطب لغفلته وذهوله كأنه غير حاضر مع المتكلم في مكان واحد.

وقد تخرج ألفاظ النداء عن معناها الأصلي وهو طلب الإقبال إلى معان أُخرى تستفاد من القرائن، ومن هذه المعاني ما يأتي:

١ ـ الزجر كقوله:

يـا قَلْبُ ويْحك ما سمِعْتَ لنَاصِحٍ لَمَّـا ارْتَـمـيْـتَ ولا اتَّـقَـيْـتَ مـلامـا

٢ ـ التحسُّر والتوجُّع نحو قوله:

أيا قبْرَ معْنٍ كيْفَ واريْتَ جُودهُ   وقدْ كانَ مِنْهُ البرُّ والبحْرُ مُتْرعا

٣ ـ الإغراء كقولك لمَن أقبل يتظلّم: يا مظلوم تكلم.

القواعد

(٥٢) النّداءُ طَلَبُ الإقْبال بحَرْفٍ نائِبٍ مَنابَ أدْعُو.

(٥٣) أدَواتُ النّداءِ ثَمانٍ: الْهَمْزَةُ، وأيْ، ويَا، وآ، وآي، وأيا، وهَيَا، ووا.

(٥٤) الهمزَةُ وأيْ لِنِداءِ الْقَريبِ، وغَيْرُهُما لِنِدَاءِ البَعِيدِ.

(٥٥) قَدْ يُنَزَّل الْبَعِيدُ مَنْزِلَةَ الْقَريبِ فَيُنادَى بالْهَمْزَةِ وأيْ، إشارَةً إلى قُرْبِهِ مِنَ القَلْبِ وحُضُورِهِ فِي الذِّهْنِ. وقَدْ يُنزَّل الْقَريبُ مَنْزِلَةَ الْبَعِيدِ فَيُنادَى بغَير الْهَمْزَةِ وأيْ، إشَارَةً إلى عُلُوِّ مَرتَبَتِه، أو انْحِطاطِ مَنْزِلَتِهِ، أوْ غَفْلَتِهِ وشُرُودِ ذِهْنِهِ.

(٥٦) يَخْرُجُ النِّدَاءُ عَنْ مَعْنَاهُ الأَصْلِيِّ إلَى مَعَانٍ أُخْرَى تُسْتَفادُ مِنَ القَرائنِ، كالزَّجْر والتَّحَسُّر والإغْرَاءِ.

نَمُوذَجٌ

لبيان أدوات النداءِ في الأمثلة الآتية، وما جرى منها على أصل وضعه في نداء القريب أو البعيد، وما خرج عن ذلك مع بيان السبب:

١ ـ أبُنَيَّ إنَّ أباكَ كاربُ يَوْمِهِ   فإذَا دُعِيتَ إلَى المكارمِ فاعْجل[1]

٢ ـ يا مَنْ يُرجَى لِلشّدائِدِ كلِّها   يَا مَنْ إلَيْهِ المُشْتَكَى والمفْزَعُ

٣ ـ قال أبو العتاهية:

أيا مَنْ عاش فِي الدُّنْيا طويلًا   وأفْنَى الْعُمْر فِي قِيلٍ وقالِ

وأتعبَ نَفْسهُ فيما سيفْنَى   وجمَّع مِنْ حرامٍ أو حلالِ

هب الدُّنْيا تُقادُ إليْكَ عفْواً   أليْس مصِيرُ ذلكَ للزّوالِ؟

---

(١) كارب يومه: أي مقارب يومه الذي يموت فيه.

٤ ـ وقال سَوار بن المُضَرَّب[1]:

يـأيـهـا الـقَـلْـبُ هـلْ تَـنْـهـاك مـوْعِـظَـةٌ أوْ يُـحْـدِثَـنْ لَك طُـولُ الـدَّهْـرِ نِـسْـيَـانـا

٥ ـ وكتب والد لولده ينصحه:

أحُــســيْــنُ إنّــي واعِــظٌ ومُــؤَدِّبٌ فـافْـهَـمْ فـإن الْعـاقـل الـمُـتـأدِّبُ

الإجابة

١ ـ الأداة «الهمزة» وقد استعملت في نداء القريب جرياً على الأصل.

٢ ـ الأداة «يا» وقد استعملت في نداء القريب على خلاف الأصل، إشارة إلى علو مرتبة المنادَى وارتفاع شأنه.

٣ ـ الأداة «أيا» وقد استعملت في نداء القريب على خلاف الأصل، إشارة إلى غفلة المخاطب.

٤ ـ الأداة «يا» وقد استعملت في نداء القريب على خلاف الأصل، إشارة إلى أن المنادَى غافل لاه فكأنه غير قريب.

٥ ـ الأداة «الهمزة» وقد نُودي بها البعيد على خلاف الأصل، إشارة إلى أن المنادى حاضر في الذهن لا يغيب عن البال فكأنه حاضرُ الجثمان.

تمرينات

(١)

بيِّن أدوات النداء في الأمثلة الآتية، وما جرى منها على أصل وضعه في نداء القريب أو البعيد، وما خرج منها عن ذلك مع بيان الأسباب البلاغيّة في الخروج:

١ ـ قال أبو الطيب:

يـا صـائِدَ الـجـحْـفَـل الـمرْهُـوبِ جـانِبُـهُ إنَّ الـلُّيُـوثَ تَـصِـيـدُ الـنَّـاس أحْـدانـا[2]

٢ ـ أيـا رَبِّ قَـدْ أحْـسـنـتَ عـوداً وبـدْأَةً إلـيَّ فـلم يـنْـهَـضْ بـإحْـسـانـكَ الـشـكْـرُ

---

(١) شاعر إسلامي كان مع قطري بن الفجاءة، وهو من بني سعد تميم.

(٢) الجحفل: الجيش الكبير، والليوث: الأسود، وأحدانا: جمع واحد وأصله وحدانا، يقول: أنت أشد بطشاً من الأسد، لأن الأسد يصيد الناس واحداً واحداً وأنت تصيد الجيش برمته.

٣ ـ أسُكانَ نَعمان الأراكِ تيقَّنوا بأنكُم في رَبْع قَلْبي سُكانُ[١]

٤ ـ قال تعالى يحكي قول فِرْعون لموسى عليه السلام: ﴿إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾.

٥ ـ قال أبو العتاهية:

أيا مَنْ يُؤَمِّلُ طُول الْحَياةِ وطولُ الْحَياةِ عليْهِ خَطَرْ
إذا ما كبِرْت وبانَ الشَّبابُ فَلا خيْر في العيْش بَعْد الكِبر

٦ ـ وقال أبو الطيب في مدح كافور من قصيدة أنشده إياها:

يا رجاء العُيُون في كُلّ أرْض لَمْ يكُنْ غَيْرَ أنْ أراكَ رجائي

٧ ـ أي بُنَيّ، أعد عَلَيّ ما سمعتَ مني.

٨ ـ أمحمدُ، لا ترفع صوتك حتى لا يسمعَ حديثَنا أحد.

٩ ـ أيا هذا، تنبّه فالمكاره مُحْدِقة بك.

١٠ ـ يا هذا لا تتكلمْ حتى يُؤْذَنَ لك.

(٢)

نادِ مَن يأتي، مستعملًا أدوات النداء استعمالًا جارياً على خلاف الأصل من حيث قرب المنادى وبُعْدُه، وبيّن العلل البلاغيّة في هذا الاستعمال:

١ ـ غائباً تحنّ إلى لقائه.

٢ ـ سفيهاً تنهاه عن التعرُّض للكرام.

٣ ـ منصرفاً عن عمله تدعوه إلى الجِدّ.

٤ ـ عظيماً تخاطبه وترجوه أن يساعدك.

(٣)

ماذا يراد بالنداء في الأمثلة الآتية:

١ ـ أعَدّاءُ ما للعيش بعْدكَ لَذةٌ ولا لِخَليل بهْجةٌ بخَليل[٢]

---

(١) نعمان الأراك: موضع في بلاد العرب، والربع: المنزل.

(٢) الهمزة للنداء، وعداء منادى، والبهجة: السرور، يقول: يا عداء، ذهبت بعدك لذة العيش ولم يبق لخليل بخليله سرور.

٢ ـ يا شجاع أَقْدِمْ (تقوله لمَن يتردد في منازلة العدو).

٣ ـ دعوتُك يا بُنيّ فلَمْ تُجبْني ... فرُدت دعْوتي يأساً عليّا

٤ ـ بالله قلْ لي يَا فُلاَ ... نُ ولِي أقُولُ ولِي أسائِلْ

أتُريد في السَّبْعِين ما ... قد كنْتَ في العشرين فاعِلْ

٥ ـ يا دارَ عاتِكَة حُيِّيتِ مِنْ دار ... سيَّرْتُ فِيكِ وفيمن فيكِ أشْعَاري

(٤)

١ ـ هات مثالين للهمزة المستعملة في نداء البعيد، وبيِّن السبب في خروجها عن أصل وضعها في كل من هذين المثالين.

٢ ـ هات مثالين للمنادى القريب المنزَّل منزلة البعيد لعلو مكانته.

٣ ـ هات مثالين للمنادى القريب المنزَّل منزلة البعيد لانحطاط منزلته.

٤ ـ هات مثالين للمنادى القريب المنزَّل منزلة البعيد لغفلته وشرود ذهنه.

٥ ـ مثِّل للنداء المستعمل في التحسُّر والزجر والإغراء.

(٥)

انثر البيتين الآتيين نثراً فصيحاً وهما لأبي الطيب، وبيِّن الغرض من النداء:

يا أعْدل النّاس إلّا في مُعاملَتي ... فِيك الخِصامُ وأنتَ الْخَصْمُ والْحكَمُ

أُعِيذُها نَظَراتٍ مِنْكَ صادِقَةً ... أنْ تَحْسب الشَّحْم فِيمن شحْمُهُ ورَمُ

القَصْرُ
تعريفه ـ طُرُقه ـ طَرَفاه

الأمثلة:

١ ـ لاَ يَفُوزُ إلاَّ المُجِدُّ.

٢ ـ إنما الحياةُ تَعَبٌ.

٣ ـ الأَرْضُ مُتَحَرِّكَةٌ لا ثابتة.

٤ ـ ما الأرض ثابتة بل متحركةٌ.

٥ ـ ما الأرض ثابتة لكن متحركة.

٦ ـ عَلَى الرِّجَال العاملين نُثني.

البحث:

إذا تأملتَ الأمثلة السابقة رأيت أن كل مثال منها يتضمن تخصيص أمر بآخر، فالمثال الأولُ يفيد تخصيص الفَوْز بالمُجدِّ، بمعنى أن الفوز خاصٌ بالمُجِدِّ لا يتعداه إلى سواه. والمثال الثاني يُفيد تخصيص الحياة بالتَّعب، بمعنى أن الحياة وقْفٌ على التعب لا تفارقه إلى الراحة. وهكذا يقال في بقية الأمثلة.

وإذا أردت أن تعرف منشأ هذا التخصيص في الكلام، كفاك أن تبحث في الأمثلة قليلًا. خذ المثال الأول مثلًا واحذف منه أداتي النفي والاستثناء، تجد أن التخصيص قد زال منه وكأنه لم يكن. إذاً النفيُ والاستثناءُ هما وسيلة التخصيص فيه، وبمثل هذه الطريقة تستطيع أن تدرك أن وسائل التخصص في الأمثلة الباقية هي: إنما: والعطف بلا، أو بل، أو لكن، وتقديمُ ما حقه التأخير. ويُسمِّي علماءُ المعاني التخصيص المستفاد من هذه الوسائل بالقصر، ويسمون الوسائل نَفْسها طرق القصر.

إرجع إلى الأمثلة مرة أُخرى وابحث فيها واحداً واحداً: تجد المتكلم في المثال الأول يقْصُر الفوز على المُجد، فالفوز مقصور، والمُجدُّ مقصور عليه، وهما طرفا القصر. ولما كان الفوز صفة من الصفات والمُجدُّ هو الموصوف بهذه الصفة، كان

القصر في هذا المثال قصر صفة على موصوف، بمعنى أن الصفة لا تتعدى الموصوف إلى موصوف آخر. وتراه في المثال الثاني يقْصُر الحياة على التعب، فالحياة مقصورة، والتعب مقصور عليه، ولما كانت الحياة موصوفة والتعب صفة لها، كان القصر في المثال قصر موصوف على صفة، بمعنى أن الموصوف لا يفارق صفة التعب إلى صفة الراحة، ولو أنك تدبّرت جميع أمثلة القصر ما ذُكر منها هنا وما لم يُذكر، لوجدت كل مثال يشتمل على مقصور ومقصور عليه، ووجدت القصر لا يخلو عن حال من الحالين السابقين. فهو إما قصر صفة على موصوف، وإما قصر موصوف على صفة.

وإذا أردت أن تعرف ضوابط تسهل عليك معرفة كل من المقصور والمقصور عليه في كل ما يرد عليك، فانظر إلى القواعد الآتية تجد ذلك مفصّلاً.

القواعد

(٥٧) الْقَصْرُ تخْصِيصُ أمْرٍ بآخَرَ بطَرِيقٍ مَخْصُوصٍ.

(٥٨) طُرُقُ الْقَصْر الْمَشْهُورَةُ أرْبَع[١]:

أ ـ النَّفْيُ والاِسْتِثْناء، وهُنا يَكُونُ الْمَقْصُور عَلَيْهِ مَا بَعْدَ أدَاةِ الاسْتِثْناء.

ب ـ إنّما، وَيَكُونُ الْمقْصُورُ عَلَيْهِ مُؤَخّراً وُجُوباً.

جـ ـ الْعَطْفُ بلا، أوْ بَلْ، أوْ لَكنْ، فإنْ كان العطفُ بلاَ كان المقصورُ عليه مقابلاً لما بعدها، وإن كان العطف ببَلْ أوْ لكنْ كان الْمقصورُ عَلَيْهِ ما بَعْدَهُما.

د ـ تقْدِيمُ مَا حَقُّهُ التَّأْخِيرُ. وهُنا يَكُونُ الْمَقْصُورُ عَليْهِ هُوَ الْمُقدَّمَ.

(٥٩) لِكلِّ قَصْر طَرَفان: مَقْصُور، ومَقْصُورٌ عَلَيْهِ.

(٦٠) يَنْقسِمُ القصْرُ باعْتِبارِ طَرَفَيْهِ قِسْمَيْن:

أ ـ قَصْرُ صِفَة عَلَى مَوْصُوف.

ب ـ قَصْرُ مَوْصُوف عَلَى صِفَة.

---

(١) هناك طرق للقصر غير هذه الأربع، منها ضمير الفصل نحو: علي هو الشجاع، ومنها التصريح بلفظ وحده أو ليس غير نحو: أكرمت محمداً وحده، ولكنها لا تعد من طرقه الاصطلاحية.

تقسيم القَصْر إِلى حقيقي وإِضافي

الأمثلة:

١ - لا يُروِي مِصْرَ مِنَ الأنْهارِ إلاَّ النّيلُ.

٢ - إنّما الرّازقُ اللّهُ.

٣ - لاَ جَوادَ إلاَّ عَليّ.

٤ - إنّما حَسَنٌ شُجَاع.

البحث:

قدّمنا لك أن القصر ينقسم بحسب طَرَفَيه إلى قصر صفة على موصوف، وقصر موصوف على صفة، وهنا نريد أن نبين لك أنه ينقسم تقسيماً آخر باعتبار الحقيقة والواقع.

تأمل المثالين الأولين تجد القصر فيهما من باب قصر الصفة على الموصوف، وإذا تدبّرت الصفة في كل من المثالين وجدت أنها لا تفارق موصوفها إلى موصوف آخر مطلقاً، فإرواءُ الأرض المصرية في المثال الأول صفة لا تتجاوز النيل إلى غيره من سائر أنهار الدنيا، والرزقُ في المثال الثاني صفة لا تتعدى المولى عزّ وجل إلى سواه، ويُسمّى القصر في هذين المثالين **قصراً حقيقيًا**، وكذلك كل قصر يختص فيه المقصورُ بالمقصور عليه اختصاصاً منظوراً فيه إلى الحقيقة والواقع بألا يتعداه إلى غيره أصلاً.

انظر إلى المثالين الأخيرين تجد القصر في أولهما من باب قصر الصفة على الموصوف وفي ثانيهما من باب قصر الموصوف على الصفة، وإذا تدبرت المقصور في كل منهما وجدته مختصًا بالمقصور عليه بالإضافة (أي بالنسبة) إلى شيء معين، لا إلى جميع ما عداه، فإن المتكلم في المثال الأول يقْصِد أن يقصر صفة الجود على عليٍّ بالنسبة إلى شخص آخر معين كخالد مثلًا، وليس من قصده أن هذه الصفة لا توجد في غير عليّ من جميع أفراد الإنسان، فإن الواقع خلاف ذلك. وكذلك الحال في المثال الثاني، ولذلك يُسمى القصر في المثالين **قصراً إضافيًا**، وكذلك كل قصر يكون التخصيص فيه بالإضافة إلى شيء آخر.

القاعدة

(٦٢) يَنْقَسِمُ القَصْرُ باعْتِبار الْحَقِيقَةِ والْواقِعِ قِسْمَيْن:

أ ـ حَقِيقيٌّ[١] وهُوَ أَنْ يَخْتَصَّ الْمَقْصُورُ بالْمَقْصُور عَلَيْهِ بحَسَبِ الْحَقِيقَةِ والْوَاقِعِ بألاَّ يَتَعَدَّاهُ إلَى غَيْرِهِ أَصْلاً.

ب ـ إضَافيٌّ[٢] وهُوَ مَا كَانَ الاخْتِصَاصُ فِيهِ بحَسَبِ الإضَافَةِ إلَى شَيْءٍ مُعَيَّن[٣].

نمُوذَجٌ (١)

بيِّن فيما يأتي نوع القصر وعيِّن كلًّا من المقصور والمقصور عليه:

١ ـ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾.

٢ ـ قال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾؟

٣ ـ قال لَبِيد:

وما المَرْءُ إلَّا كالهِلالِ وضَوْئِهِ ... يُوافي تَمامَ الشَّهْرِ ثم يَغِيبُ

٤ ـ وقال ابن الرُّومي في المدح:

أمْوالُهُ في رقاب الناس مِنْ مِنَنٍ ... لا في الخزائن مِنْ عيْنٍ ومِنْ نَشبِ[٤]

---

(١) القصر الحقيقي يكثر في قصة الصفة على الموصوف كما رأيت في الأمثلة، ولا يكاد يوجد في قصر الموصوف على الصفة.

(٢) القصر الإضافي يأتي كثيراً في كل من قصر الصفة على الموصوف وقصر الموصوف على الصفة كما رأيت في الأمثلة، وهو ميدان فسيح لتنافس الكتاب والشعراء.

(٣) ينقسم القصر الإضافي باعتبار حال المخاطب ثلاثة أقسام، وذلك أنك إذا قلت الشجاع علي لا حسن مثلاً، فإن كان المخاطب يعتقد اشتراك علي وحسن في الشجاعة كان القصر «قصر إفراد»، وإن كان يعتقد عكس ما تقول كان القصر «قصر قلب»، وإن كان متردداً لا يدري أيهما الشجاع كان القصر «قصر تعيين».

(٤) العين: الذهب والفضة، والنشب: المال، يقول: إنه ينفق أمواله في المنن التي يقلد بها أعناق الرجال ولا يخزنها في خزائنه.

٥ ـ وقال:

وما عجبْنا وإنْ أصْبحْتَ تُعْجِبُنا أنْ نَجْتَني ذَهباً مِنْ موْضِع الذهبِ
لكن عجِبنا لِعُرْفٍ لا نكافئهُ ونَسْتَزيدُكَ مِنهُ أكثر العجبِ

٦ ـ وقال الغَطمّشُ الضَّبيُّ[1]:

إلى الله أشكو لَا إلى الناس أنني أرى الأرضَ تَبْقى والأخِلّاء تذْهب

الإجابة

الرقم	نوع القصر باعتبار طرفيه	نوعه باعتبار الواقع	طريق القصر	المقصور	المقصور عليه
١	صفة على موصوف	حقيقي	إنما	يخشى الله	العلماء
٢	موصوف على صفة	إضافي	النفي والاستثناء	محمد	رسول
٣	موصوف على صفة	إضافي	النفي والاستثناء	المرء	كونه كالهلال
٤	موصوف على صفة	إضافي	العطف بلا	أمواله	كونها في رقاب الناس
٥	صفة على موصوف	إضافي	العطف بلكن	عجبنا	لعرف لا نكافئه
٦	صفة على موصوف	إضافي	تقديم الجار والمجرور	أشكو	لفظ الجلالة

نَمُوذَج (٢)

عيّن المقصور عليه في الجملتين الآتيتين، وبيّن الفرق بينهما في المعنى:

أ ـ إنما يُدافعُ عنْ أحْسابِكُمْ عليٌّ.

ب ـ إنما علي يدافع عن أحسابكم.

---

(١) شاعر جاهلي من شعراء الحماسة، والغطمش: الجائر الظالم.

الإجابة

أ ـ المقصور عليه في الجملة الأولى عليّ[١] فالمتكلم يقول لمخاطبيه: عليٌّ وحده يستقل بالدفاع عن أحسابكم ولا يشترك معه في ذلك أحد. ومن الجائز أن تكون لعلي أعمال أخرى يخدمُهم بها غير هذه المدافعة، كمعالجة مرضاهم ومواساة فقرائهم.

ب ـ أما في الجملة الثانية فالمقصور عليه المدافعة، فعلي لا يقوم بسواها من الأعمال، على أنه من الجائز أن يشترك معه في الدفاع سواه. فأنت ترى أن الجملة الأولى أبلغ في مدح علي من وجهين: أما أولاً فلأنها تفيد أنه مستقل بالدفاع لا شريك له فيه، وأما ثانياً فلأنها لا تنفي أن له أعمالاً أخرى غير المدافعة.

تمرينات

(١)

بيّن نوع القصر، وطريقه، وعيّن كلًّا من المقصور والمقصور عليه فيما يأتي:

١ ـ قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ۝٤٠﴾.

٢ ـ وقال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾.

٣ ـ وقال ابن الرومي يمدح:

مَعْرُوفُهُ في جميعِ النّاسِ مُقْتَسَمٌ ... فَحمْدُهُ فِي جميعِ النّاس لَا الْعُصَبِ[٢]

٤ ـ وقال:

يَتَغابى لَهُمْ ولَيْسَ بِمُوقٍ ... بلْ لِلُبٍّ يَفُوقُ لُبَّ اللَّبِيبِ[٣]

٥ ـ وقال:

يَهْتَزُّ عِطْفَاهُ عِنْدَ الحمْدِ يَسْمَعُهُ ... مِنْ هِزَّةِ الْمَجْدِ لَا مِنْ هِزَّةِ الطَّرَبِ[٤]

---

(١) وذلك لأنك قد علمت أن المقصور عليه مع إنما يكون مؤخراً وجوباً.

(٢) يقول: إن معروفه عام لجميع الناس لا خاص بطوائف بعينها.

(٣) يتغابى: يظهر الغباوة، والموق: الحمق في غباوة، واللب: العقل.

(٤) عطفاه: جانباه؛ يعني يميل يمنة ويسرة.

٦ ـ وقال:

وما قُلْتُ إلَّا الحقَّ فيكَ ولَمْ تَزلْ ... على منْهَجٍ مِنْ سُنَّةِ الْمَجْدِ لاحِب[١]

٧ ـ وقال ابن المعتز:

ألا إنَّما الدُّنْيا بلاغ لِغايةٍ ... فإمَّا إلى غيٍّ وإمَّا إلى رُشدِ

٨ ـ وقال:

وما العيْشُ إلَّا مدَّةٌ سوْف تَنْقَضي ... وما الْمالُ إلا هالِكٌ وابْنُ هالِكِ

٩ ـ وقال أبو الطيب:

برجاءِ جُودِك يُطرَدُ الْفقْرُ ... وبأَنْ تُعادَى يَنْفَدُ العُمْرُ

١٠ ـ وقال:

لَيْس التَّعجُّبُ مِنْ مواهِبِ ماله ... بل مِن سلامتها إلى أوْقاتها[٢]

١١ ـ وقال تعالى: ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾.

١٢ ـ إلى الله أشكو أنَّ في النفسِ حاجةً ... تمرُّ بها الأيامُ وهْي كما هِيا

١٣ ـ وقال أبو الطيب:

وإنما نحْنُ في جيل سواسِيةٍ ... شُرٌّ عَلى الْحُرّ مِنْ سُقْمٍ على بَدَنِ[٣]

١٤ ـ راحلٌ أنت والليالي نزولُ ... ومضرٌّ بك البقاءُ الطويل

١٥ ـ وقال ابن الرومي:

وما يُريغُونَ بالنُّعْمَى مُكافأةً ... لَكِنْ يُقضُونَ ما لِلْمجْدِ مِنْ أرَب[٤]

١٦ ـ وقال أبو العتاهية يمدحُ يزيدَ بْن مزيد الشَّيْباني[٥]:

---

(١) المنهج: الطريق الواضح، واللاحب: الطريق الواضح أيضاً.

(٢) يقول لا نتعجب من كثرة هباته، وإنما نتعجب كيف بقيت أمواله وسلمت من التفريق إلى أوقات بذلها إذ ليس من عاداته أن يمسك شيئاً.

(٣) الجيل: الصنف من الناس، وسواسية بمعنى متساوين وهو خاص بالذم أي متساوين في اللؤم والخسة، وشر: اسم تفضيل بمعنى أشر.

(٤) يقول: لا يطلبون جزاء على نعمهم ولكنهم يقضون واجب المجد.

(٥) قائد شجاع. كان والياً بأرمينية، وندبه هارون الرشيد لقتال الوليد بن طريف عظيم الخوارج في عهده فقتله يزيد وعاد إلى أرمينية، وتوفي سنة ١٨٥هـ، ورثاه شعراء كثيرون.

كأنكَ عِنْدَ الْكَرِّ والحرْب إنَّما تَفر مِن الصفِّ الذي مِن ورائكا
فَما آفةُ الأبطال غيرُكَ في الْوَغى وما آفةُ الأموالِ غيْر حِبائكا

١٧ ـ وقال أبو تمام:

على مثلها من أربُعٍ وملاعِبِ تُذَالُ مَصُوناتُ الدموعِ السواكب[1]

(٢)

عيِّن المقصور عليه في الجمل الآتية، وبيِّن الفرق بينها في المعنى:

أ ـ إنما يحِبُّ عليٌّ السباحة في الصباح.

ب ـ إنما يحب السباحة في الصباح عليٌّ.

جـ ـ إنما يحب علي في الصباح السباحة.

(٣)

أيُّ الجملتين أبلغُ في مدح سعيد؟ وضِّح السبب.

أ ـ إنما يجيد الْخِطابةَ سعِيدٌ.

ب ـ إنما سعيد يجيدُ الخطابةَ.

(٤)

اجعل الجمل الآتية مفيدة للقصر، ثم بيِّن نوع القصر وطريقه:

١ ـ الفراغُ مفْسدةٌ.

٢ ـ بركةُ المال في أداءِ الزكاة.

٣ ـ السلامة في التأني.

٤ ـ صداقةُ الجاهل تَعَبٌ.

٥ ـ سكتُّ عن السَّفيه.

٦ ـ طُول التجارب زيادةٌ في العقل.

٧ ـ يدُومُ السرور برؤْية الإخوان.

٨ ـ غدْرك مَنْ دلَّك على الإساءة.

٩ ـ يسُودُ المرءُ قوْمه بالإحسان إليهم.

١٠ ـ وضْعُ الإحْسان في غير موْضِعِهِ ظلْمٌ.

---

(١) الأربع جمع ربع وهو المنزل، والملاعب: أمكنة لعب الناس أو هبوب الرياح، وتذال: تهان.

(٥)

ما يسُرُّ الوالِدَيْن إلّا نَجابَةُ الأبناءِ.

متى يكون القصر في هذه الجملة قصر قلب؟ ومتى يكون قصر إفراد؟ ومتى يكون قصر تعيين؟

(٦)

١ - إجعل الجمل الآتية دالة على قصر صفة على موصوف من غير أن تزيد على كلماتها شيئاً: نَحْترمُ العالِمَ العامِلَ.

٢ - إجعل الجملة الآتية دالة على القصر واستخدم في ذلك طرق القصر التي تعرفها: مَلِلنا صُحْبةَ الجُهّال.

٣ - عِند البلاءِ يُعْرف الصّديقُ.

إجعل الجملة السابقة دالة على القصر مرة من طريق النّفْي والاستثناء، ومرة من طريق العطف.

(٧)

رُدَّ بأُسْلُوبٍ من أساليب القصر على مَن اعتقد أنَّ الأرض ثابتة، ثم بيِّن نوع القصر وطريقه في الجملة التي تأْتي بها.

(٨)

وضِّح ما اشتملت عليه القصة الآتية من أنواع القصر، وطرقه، وبيِّن المقصور والمقصور عليه في كل جملة فيها قصر:

زَعم العربُ أنَّ أرْنباً التقطت تمرةً فاختلسها الثّعلبُ فأكلها، فانْطلَقا يختصمان إلى الضّب، فقالت الأرنب: يا أبا الحِسْل[1]؛ فقال: سمِيعاً دعوْت؛ قالت: أتيناك نختصم؛ قال: عادلًا حكّمتُما؛ قالت: فاخرج إلينا؛ قال: في بيته يُؤْتَى الحكم[2]؛

(١) أبو الحسل: كنية الضب.

(٢) الحكم: الذي يحكم بين الناس.

قالت إنّي وجدتُ تمرَة؛ قال: حُلْوة فكليها؛ قالت: فاختلسها ثعالَةٌ[1]؛ قال: لنفسه بغى الخيْر؛ قالت: فلطمْتُهُ لَطْمةً، قال: بحقكِ أخذْتِ؛ قالت: فَلَطَمَني أُخْرى؛ قال: حرٌ انْتَصر؛ قالت: فاقضِ بيْننا؛ قال: قدْ فَعلْتُ.

فذهبت أقواله كلُّها أمثالًا.

(٩)

١ - هات جملتين لقصر الصفة على الموصوف بحيث يكون في الأُولى حقيقيًا وفي الثانية إضافيًا.

٢ - هات جملتين لقصر الموصوف على الصفة بحيث يكون القصر فيهما إضافيًا.

٣ - مثل لكل طريق من طرق القصر بمثالين يكون المقصور عليه في أولهما صفة، وفي ثانيهما موصوفاً.

٤ - هات مثالين لقصر الموصوف على الصفة بحيث يكون طريق القصر في أولهما العطف ببل، وفي ثانيهما العطف بلكن.

(١٠)

إشرح البيتين الآتيين وبيّن نوع القصر وطريقه فيهما، وهما لأبي الطيب في مدح أبي شجاع فاتك[2]:

لا يـدْركُ الـمـجْـدَ إلّا سـيّـدٌ فـطـنٌ   لِمـا يَـشُـقُّ عـلى الـسـادات فـعّـالُ[3]

لا وارثٌ جـهـلَتْ يُـمْـنـاهُ مـا وهـبَـتْ   ولا كَـسُـوبٌ بـغَـيْـر الـسَّـيْـف سـئّـالُ

---

(١) ثعالة: لقب الثعلب.

(٢) هو فاتك الكبير المعروف بالمجنون، كان رومياً أخذه الإخشيد كرهاً من سيده بلا ثمن، وأعتقه وأبقاه عنده حرًا في عداد مماليكه، وكان كريم النفس بعيد الهمة شجاعاً كثير الإقدام، ولذلك قيل له المجنون، ولما مات الإخشيد انتقل إلى الفيوم فاعتل بها جسمه وأحوجته العلة إلى الانتقال إلى مصر، فالتقى فيها بأبي الطيب المتنبي ووصله بالهدايا النفيسة وسمع مدائحه، وتوفي سنة ٣٥٠هـ.

(٣) يشق: يصعب، والسادات: جمع سادة، جمع سيد.

الْفَصْلُ والْوَصْلُ

(١) مَواضِع الْفَصْل

الأمثلة:

١ ـ قال أبو الطيب:

وَمَا الدَّهْرُ إلّا مِنْ رُوَاةِ قَصَائِدِي ... إذَا قُلْتُ شِعْراً أَصْبَحَ الدَّهْرُ مُنْشِدَا[١]

٢ ـ وقال أبو العلاء:

النَّاسُ لِلنَّاس مِنْ بَدْوٍ وَحَاضِرَة ... بَعْضٌ لِبَعضٍ وَإنْ لَمْ يَشْعُرُوا خَدَمُ[٢]

٣ ـ وقال تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾.

٤ ـ وقال أبو العتاهية:

يَا صَاحِبَ الدُّنْيَا الْمُحِبَّ لهَا ... أَنْتَ الَّذِي لَا يَنْقَضِي تَعَبُهْ

٥ ـ وقال آخر:

وَإِنَّمَا الْمَرْءُ بِأَصْغَرَيْهِ ... كُلُّ امْرِىءٍ رَهْنٌ بِمَا لَدَيْهِ[٣]

٦ ـ وقال أبو تمام:

لَيْسَ الْحِجَابُ بِمُقْصٍ عنْكَ لِي أَمَلًا ... إنَّ السَّماء تُرَجَّى حِينَ تَحْتَجِبُ[٤]

---

(١) يقول: إن الدهر من جملة شعري، وذلك لأن ألسنة الناس جميعاً تتناقله في كل وقت، فكأن الدهر إنسان ينشد قصائدي ويرويها.

(٢) البدو: البادية، والحاضرة: ضد البادية وهي المدن والقرى والريف، يقال فلان من أهل الحاضرة وفلان من أهل البادية، ومعنى البيت أن الناس لا بد لهم من التعاون فلا يتهيأ لإنسان أن يستقل في هذه الحياة بشؤون نفسه.

(٣) الأصغران: القلب واللسان، ورهن بما لديه: يجازى بما عمل.

(٤) المراد بالحجاب احتجاب الممدوح عن قصاده، ومقص: مبعد، وتحتجب: تختفي تحت الغيوم.

البحث:

يقصِد علماء المعاني بكلمة «الوصْل» عطفَ جملة على أُخرى «بالواو»[١] كقول الأبيوَرْدي يخاطب الدهر:

العبْدُ ريَّانُ مِنْ نُعْمى تجودُ بها ... والحرُّ مُلْتَهِبُ الأحْشاءِ من ظَمإِ[٢]

ويقصدون بالفصل ترك هذا العطف، كقول المعري:

لا تَطْلُبَنَّ بآلةٍ لكَ حاجةً ... قَلمُ البليغ بغيْر حظٍّ مِغْزَلُ

هذا ولكل من الفصل والوصل مواطن تدعو إليها الحاجة ويقتضيها المقام، وسنبدأُ لك بمواطن الفصل:

تأمل أمثلة الطائفة الأُولى تجد بين الجملة الأُولى والثانية في كل مثال تآلفاً تامًّا، فالجملة الثانية في المثال الأول، وهي «إذا قُلتُ شِعْراً أصْبح الدَّهْرُ مُنشِداً» لمْ تجيء إلا توكيداً للأولى، وهي جملة «وما الدهرُ إلا من رُواة قصائدِي»، فإن معنى الجملتين واحد. والجملة الثانية في المثال الثاني «بعضٌ لبعض وإن لم يشعرُوا خدمُ»، ما جاءت إلا لإيضاح الأولى «الناسُ للناس من بدْوٍ وحاضرة»، فهي بيان لها، والجملة الثانية في المثال الثالث جزء من معنى الأولى؛ لأن تفصيل الآيات بعض من تدبير الأمور، فهي بدلٌ منها. ولا شك أنك لَحَظْتَ أن الجملة الثانية مفصولة عن الأولى في كل مثال من الأمثلة الثلاثة، ولا سر لهذا الفصل سوى ما بينهما من تمام التآلف وكمال الاتحاد[٣]. ولذا يقال إن بين الجملتين **كمال الاتصال**.

تأمل مِثالَي الطائفة الثانية تجد الأمر على العكس، فإن بين الجملة الأُولى والثانية في كل مثال منتهى التباين وغايةَ الابتعاد، فإنهما في المثال الرابع مختلفان خبراً وإنشاءً. وهذا جلي واضح. أما في المثال الخامس فلأنه لا مناسبة بينهما مطلقاً إذ لا رابطة في المعنى

---

(١) إنما قصر علماء المعاني عنايتهم في هذا الباب على البحث في عطف الجمل «بالواو» دون بقية حروف العطف؛ لأنها هي الأداة التي تخفي الحاجة إليها، ويحتاج العطف بها إلى لطف في الفهم ودقة في الإدراك، إذ إنها لا تدل إلا على مطلق الجمع والاشتراك، أما غيرها من حروف العطف فتفيد معاني زائدة، كالترتيب مع التعقيب في الفاء، والترتيب مع التراخي في ثم، وهلم جرًّا، ومن أجل ذلك سهل إدراك مواطنها.

(٢) الريان: ضد الظمآن، والنعمى: النعمة.

(٣) لأن الجملة الثانية هنا إما أن تكون بمعنى الأولى أو بمنزلة الجزء منها كما رأيت، وهذا يقتضي ترك العطف لأن الشيء لا يعطف على نفسه، والجزء لا يعطف على كله.

بين قوله: «وإنما المرءُ بأصغريه» وقوله: «كل امرىءٍ رهْن بما لديه»، وهنا تجد الجملة الثانية في كل من المثالين مفصولة عن الأولى، ولا سر لذلك إلا كمالُ التباين وشدةُ التباعد[١]، ولذلك يقال في هذا الموضع إن بين الجملتين **كمال الانقطاع**.

انظر إلى المثال الأخير ترَ أن الجملة الثانية فيه قوية الرابطة بالجملة الأولى؛ لأنها جواب عن سؤال نشأ من الأولى، فكأن أبا تمام بعد أن نطق بالشطر الأول توهم أن سائلًا سأله، كيف لا يحولُ حجاب الأمير بينك وبين تحقيق آمالك؟ فأجاب: «إن السماء ترجَى حين تحتجب» فأنت ترى أن الجملة الثانية مفصولة عن الأولى، ولا سر لهذا الفصل إلا قوة الرابطة بين الجملتين، فإن الجواب شديد الارتباط والاتصال بالسؤال فأشبهت الحالُ هنا من بعض الوجوه حال كمال الاتصال التي تقدمت، ولذلك يقال إن بين الجملتين **شبه كمال الاتصال**.

القواعد

(٦٢) الْوَصْلُ عَطْفُ جُمْلةٍ عَلَى أُخْرَى بالواو، والفَصْلُ تَرْكُ هذا العطف، ولكلٍّ مِنَ الفَصْل والوَصْل مَوَاضِعُ خاصَّةٌ.

(٦٣) يَجبُ الْفَصْلُ بَيْنَ الْجُمْلَتَيْنِ في ثَلاثَةِ مَواضِعَ:

أ ـ أَنْ يَكُونَ بَيْنَهُمَا اتِّحَادٌ تَامٌّ، وذلك بِأَنْ تَكونَ الْجمْلَةُ الثَّانيةُ تَوْكِيداً لِلأُولَى، أَوْ بَيَاناً لها، أَوْ بَدَلاً مِنْهَا، وَيُقَالُ حِينَئِذٍ إِنَّ بَيْنَ الجمْلَتَيْن كَمَالَ الاتِّصَال.

ب ـ أَنْ يَكونَ بَيْنَهُمَا تَبَايُنٌ تَامٌّ، وذلكَ بأَنْ تَخْتلفَا خَبَراً وَإِنشَاءً، أَوْ بِألاَّ تَكونَ بَيْنَهُمَا مُنَاسَبَةٌ مَا، وَيُقَالُ حِينَئِذ إِنَّ بَيْنَ الجمْلَتَيْن كَمَالَ الانْقِطَاع.

جـ ـ أَنْ تَكونَ الثَّانيَةُ جَواباً عَنْ سُؤَالٍ يُفْهَمُ مِنَ الأُولَى، وَيُقَالُ حِينَئِذٍ إِنَّ بَيْنَ الجمْلَتَيْن شِبْهَ كَمَال الاتِّصَال[٢].

---

(١) إنما وجب ترك العطف هنا لأن العطف يكون للجمع بين الشيئين والربط بينهما. ولا يكون ذلك في المعنيين إذا كان بينهما غاية التباين.

(٢) ذهب بعض المتأخرين من علماء المعاني إلى زيادة موضعين للفصل على المواضع التي ذكرناها، ولكن هذين الموضعين عند التأمل يمكن ردهما إلى الموضع الثالث.

(٢) مواضِعُ الْوَصْل

الأمثلة:

١ ـ قال أبو العلاء المعري:

وحُبُّ العَيْشِ أعْبَدَ كُلَّ حُرٍّ وَعَلَّمَ سَاغِباً أكْلَ المُرَارِ[١]

٢ ـ وقال أبو الطيب:

ولِلسِّرِّ مِنّي مَوْضِعٌ لا يَنالُهُ نَدِيمٌ وَلا يُفْضِي إلَيْهِ شَرابُ[٢]

* * *

٣ ـ وقال:

يُشَمِّرُ لِلُّجِّ عَنْ سَاقِهِ وَيَغْمُرُهُ الْمَوْجُ فِي السَّاحِلِ[٣]

٤ ـ وقال بشارُ بن بُرد:

وأدْنِ إلى الْقُرْبَى المُقَرِّبَ نَفْسَهُ ولَا تُشْهِد الشورَى امْرَأً غَيْرَ كاتِمِ[٤]

٥ ـ لا وبارك اللّهُ فِيك: (تجيب بذلك مَن قال: هل لك حاجة أساعدك في قضائها).

٦ ـ لا ولطَفَ اللّهُ بِهِ: (تجيب بذلك مَن قال: هل أبلَّ أخوك من علته؟).

البحث:

تأمل الجملتين «أعْبَدَ كُل حُرٍّ» و«علَّمَ ساغباً أكْلَ المُرار» في البيت الأول، تجد أن للأولى منهما موضعاً من الأعراب لأنها خبر للمبتدإ قبلها، وأن القائل أراد إشراك

---

(١) الساغب: الجائع، والمرار: شجر مر، يقول: إن حب الحياة يجعل الحر عبداً ويضطر الإنسان إلى احتمال الأذى.

(٢) النديم: الجليس على الشراب، ويفضي: ينتهي، يقول: إنه كتوم للسر يضعه حيث لا يطلع عليه النديم ولا يكشف عنه الشراب.

(٣) اللج: معظم الماء، والبيت مثل يضرب لمن تحدثه أطماعه بإدراك المطالب العظيمة وهو يعجز عن اليسيرة.

(٤) يقول: «رب مَن يتقرب إليك بعقله وكماله، ولا تستشر أمام مَن لا يكتم الأسرار.

الثانية لها في هذا الحكم الإعرابي. وتأمل الجملتين: «لا يناله نديم» و«لا يُفْضِي إليه شراب» في البيت الثاني، تجد أن للأولى أيضاً موضعاً من الإعراب لأنها صفة للنكرة قبلها، وأنه أُريد إشراك الثانية لها في هذا الحكم، وإذا تأملت الجملة الثانية في كل من البيتين وجدتها معطوفة على الجملة الأولى موصولة بها. وكذلك يجب الوصل بين كل جملتين جاءتا على هذا النحو.

انظر في البيت الثالث إلى الجملتين: «يُشَمِّرُ للُّجِّ عن ساقه» و«يغمُرُه الموج في الساحل» تجدهما متحدتين خبراً متناسبتين في المعنى[1] وليس هناك من سبب يقتضي الفصل ولذلك عطفت الثانية على الأولى، والمثال الرابع كذلك مكون من جملتين متحدتين إنشاءً هما: «أَذِنْ» و«لا تشهد» وهما متناسبتان في المعنى وليس هناك من سبب يقتضي الفصل ولذلك عطفت الثانية على الأولى، وهكذا يجب الوصل بين كل جملتين اتحدتا خبراً أو إنشاءً وتناسبتا في المعنى ولم يكن هناك ما يقتضي الفصل بينهما.

انظر في المثال الخامس إلى الجملتين: «لا» و«بارك الله فيك» تجد أن الأولى خبرية[2]، والثانية إنشائية[3]. وأنك لو فصلت فقلت: «لا بارك الله فيك» لتوهم السامع أنك تدعو عليه في حين أنك تقصد الدعاء له، ولذلك وجب العدول عن الفصل إلى الوصل. وكذلك الحال في جملتي المثال الأخير، وفي كل جملتين اختلفتا خبراً وإنشاءً وكان ترك العطف بينهما يوهم خلاف المقصود.

القاعدة

(٦٤) يَجبُ الْوَصْلُ بَيْنَ الْجُمْلَتَيْن في ثَلاثَة مَوَاضعَ:

أ ـ إذَا قُصِدَ إشْرَاكُهُمَا في الْحُكْم الإعْرابي.

ب ـ إذَا اتَّفَقَتَا خَبراً أَوْ إنْشاءً وكانَتْ بَيْنَهُمَا مُنَاسَبَةٌ تَامَّة، وَلَمْ يَكُنْ هُنَاكَ سَبَبٌ يَقْتَضِي الْفَصلَ بَيْنَهُما.

جـ ـ إذَا اخْتَلَفَا خَبَراً وَإنشاءً وَأوْهَمَ الْفَصْلُ خِلاَفَ الْمَقْصُودِ.

---

(١) يراد بالتناسب أن يكون بين الجملتين رابطة تجمع بينهما كأن يكون المسند إليه في الأولى له تعلق بالمسند في الثانية، وكأن يكون المسند في الأولى مماثلاً للمسند في الثانية أو مضاداً له.

(٢) «لا» في هذا الموضع قائمة مقام جملة خبرية إذ التقدير «لا حاجة لي» وكذلك يقال.

(٣) جملة «بارك الله فيك» خبرية لفظاً إنشائية معنى، والعبرة بالمعنى.

نموذج

لبيان مواضع الوصل والفصل فيما يأتي مع ذكر السبب في كل مثال:

١ ـ قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾﴾.

٢ ـ وقال الأحنف بن قيس: لا وفاء لكَذُوب ولا راحة لحسود.

٣ ـ وقال تعالى: ﴿وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً[1] قَالُوا لَا تَخَفْ﴾.

٤ ـ وجاء في الحِكَم: كَفى بالشَّيْبِ داءً. صلاحُ الإِنسان في حِفظِ اللسان.

٥ ـ وينسب للإمام عليّ كرّم الله وجهَه: دعِ الإِسراف مقتصداً، واذكر في اليوم غداً، وأمْسِكْ مِن المال بقَدْر ضَرُورتِكَ، وقدِّم الفَضْل لِيوْم حاجتِك.

٦ ـ ولأبي بكر رضي الله عنه: أيُّها الناسُ، إنّي وُلِّيتُ عليْكمْ ولَسْتُ بخيركم.

٧ ـ وقال أبو الطيب:

إن نُيوبَ الزمانِ تَعْرِفُني ... أنا الذي طال عَجْمُها عُودِي[2]

٨ ـ لا وكُفيتَ شَرها (تجيب بذلك مَن قال: أذهَبتِ الحُمّى عن المريض؟).

٩ ـ قال تعالى: ﴿أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾﴾.

١٠ ـ وقال أبو العتاهية:

قدْ يُدْركُ الرّاقدُ الهادِي برقْدتِهِ ... وقدْ يخيبُ أخُو الرّوحاتِ والدُّلَجِ[3]

١١ ـ وقال الغزّيّ يشكو الناس:

يصُدُّونَ في البأساء منْ غيرِ عِلّة ... ويمتثلُونَ الأمْر والنّهْيَ في الخفْض[4]

---

(١) أوجس منهم خيفة: أحسّ منهم خوفاً.

(٢) عجم العود: عضه ليعرف أصلب هو أم رخو، يقول: قد طالت صحبتي للزمان وقد جربني وعرف صلابتي وصبري على نوائبه.

(٣) الروحات: جمع روحة اسم بمعنى الرواح وهو السير آخر النهار من راح يروح ضد غدا يغدو: والدلج: جمع دلجة من أدلج إذا سار من أول الليل: يقول قد يدرك القاعد مطالبه ويخيب المجد الساعي.

(٤) البأساء: الشدة، والخفض: الدعة والنعيم.

١٢ ـ وقال أبو العلاء المعري:

لا يُعْجِبَنْكَ إقبالٌ يُريكَ سناً إنَّ الخُمُودَ لعمْري غايةُ الضَّرَمِ[١]

١٣ ـ يقولون إني أخجل الضيم عِنْدَهم أَعُوذُ بربِّي أن يُضامَ نظيري[٢]

١٤ ـ وقال تعالى: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ[٣] يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾.

١٥ ـ وقال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾.

الإجابة

١ ـ فصّل بين الجملتين، جملة: سواءٌ عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم، وجملة لا يؤمنون، لأن بينهما كمال الاتصال؛ إذ إن الثانية لا توكيد للأولى.

٢ ـ وصّل بين الجملتين لاتفاقهما خبراً وتناسبهما في المعنى. ولأنه لا يوجد هناك ما يقتضي الفصل.

٣ ـ فصلت جملة «قالوا» عن جملة «وأوجس منهم خيفة» لأن بينهما شِبْه كمال الاتصال، إذ الثانية جواب لسؤال يفهم من الأولى، كأن سائلاً سأل: فماذا قالوا له حين رأوه وقد داخله الخوف؟ فأُجيب «قالوا لا تخف».

٤ ـ فصّل بين الجملتين لأن بينهما كمال الانقطاع؛ إذ لا مناسبة في المعنى بين الجملة الأولى والجملة الثانية.

٥ ـ وصّل بين الجمل الأربع لاتفاقها إنشاءً مع وجود المناسبة، ولأنه لا يوجد هناك سببٌ يقتضي الفصل.

٦ ـ فصّل بين الجملتين: «أيها الناس» و«إني وليت عليكم» لاختلافهما خبراً وإنشاءً فبينهما كمال الانقطاع، ووصل بين الجملتين: «وليت عليكم» و«لست بخيركم» لأنه أُريد إشراكهما في الحكم الإعرابي إذ كلتاهما في محل رفع، وإذا كانت الواو للحال فلا وصل.

---

(١) السنا: ضوء البرق، وخمود النار: سكون لهبها، والضرم: اشتعال النار والتهابها.

(٢) الضيم: الذل.

(٣) يسومونكم سوء العذاب: يحملونكم إياه.

٧ - فصّل بين شطري البيت؛ لأن الثاني منهما جواب عن سؤال نشأ من الأولى، فبينهما شبه كمال الاتصال.

٨ - وصّل بين جملتي لا، وكفيت، لاختلافهما خبراً وإنشاءً، وفي الفَصْل إيهام خلاف المقصود، فبينهما كمال الانقطاع مع الإبهام.

٩ - بيْن جملة ﴿أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ﴾ وجملة ﴿ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾. كمال الاتصال؛ فإن الثانية منهما بدل بعض من الأولى، إذ الأنعام والبنون والجنات والعيون بعض ما يعلمون.

١٠ - ووصل أبو العتاهية بين الجملتين لأنهما اتفقتا في الخبرية، وبينهما مناسبة تامة، وليس هناك ما يقتضي الفصل.

١١ - كذلك وصل الغَزّي بين شطري البيت لما تقدم.

١٢ - وفصل أبو العلاء بين شطري البيت لأن بينهما كمال الانقطاع؛ إذ الجملتان مختلفتان خبراً وإنشاءً.

١٣ - بين جملة «يقولون إني أحمل الضيْمَ» وجملة «أعوذ بربي أن يضام نظيري» شبه كمال الاتصال لأن الثانية جواب عن سؤال نشأ من الأولى، فكأن الشاعر بعد أن أتى بالشطر الأول من البيت أحسّ أن سائلاً يقول له: «وهل ما يقولونه من أنك تتحمل الضَّيم صحيح؟» فأجاب بالشطر الثاني.

١٤ - بين جملة: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ وجملة ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾ كمال الاتصال فإن الثانية منهما بدل بعض من الأولى.

١٥ - فصل الله تعالى بين الجملتين في الآية الكريمة لأن بينهما كمال الاتصال فإن الجملة الثانية بيان للأولى.

تمرينات

(١)

بيّن مواضع الوصل والفصل فيما يأتي ووضح السبب في كل مثال:

١ - قال بعض الحكماء: العَبْدُ حرٌ إذا قنِع، والحر عبد إذا طمع.

٢ - وقال ابن الرومي:

قَدْ يَسْبِقُ الْخَيْرَ طالِبٌ عَجِلٌ ... ويَرْهَقُ الشر مُمْعِناً هَرَبُه[١]

٣ ـ وقال أبو الطيب:

الرأيُ قَبْلَ شَجاعةِ الشُّجْعانِ ... هُوَ أوَّلٌ وهْيَ المحلُّ الثاني

٤ ـ وخطب الحجاج فقال: اللهُم أرني الغيَّ غيًّا فأجْتَنِبَهُ، وأرني الهُدى هُدًى فأتَّبِعَهُ، ولا تَكِلْني إلى نَفْسي فأضِلَّ ضلالاً بعيداً.

٥ ـ وقال الشريف الرضيُّ في الرثاء:

أعَلِمْتَ مَنْ حَمَلُوا عَلَى الأعْوادِ ... أعَلِمْتَ كَيْفَ خَبا ضِياءُ النادِي[٢]

٦ ـ قال حسان بن ثابت الأنصاري:

أصُونُ عِرْضي بِمالي لا أُدنِّسُهُ ... لا بارَكَ الله بعْدَ العِرْضِ في الْمالِ[٣]

أحْتالُ لِلْمالِ إنْ أوْدى فأكْسِبُهُ ... ولَسْتُ لِلعرض إن أودى بِمُحْتالِ[٤]

٧ ـ وقال النابغة الذبيانيُّ يرثي أخاه من أمّه:

حَسْبُ الْخَليلين نَأْيُ الأرضِ بيْنَهُما ... هٰذا عليها وهٰذا تحتَها بالي[٥]

٨ ـ وقال الطُّغْرائيُّ:

يا وارداً سُؤْرَ عيشٍ كُلُّه كَدَرٌ ... أنفَقْتَ عُمْرَكَ في أيّامِك الأولِ[٦]

٩ ـ لا الدمْعُ غاضَ ولا فؤادُكَ سالِي ... نزلَ الحِمامُ عرينَةَ الرِّئْبالِ[٧]

---

(١) يرهقه: يغشاه ويلحقه، والممعن في الشيء: المبعد، يقول: كثيراً ما يفوت الخير مَن هو شديد الحرص في طلبه، ويقع في الشر مَن يهرب منه.

(٢) الأعواد: جمع عيد والمراد بها النعش، وخبا الضياء: انطفأ.

(٣) العرض بالكسر: النفس وقيل الحسب وهو ما يعده الإنسان من مفاخر آبائه، يقول: إني أصون نفسي عما يدنسها ببذل ما أملكه من المال.

(٤) أودى: تلف؛ يقول: إن المال إذا تلف استطعت العمل لكسبه ثانية، أما العرض إذا تدنس فلا أستطيع تطهيره من الدنس الذي لحقه.

(٥) حسب الخليلين: أي كفاهما، والنأي: البعد، والبالي: الممزق الأعضاء، يقول: كفاني وأخي حيلولة الأرض بيننا، فأنا حي فوقها وهو بالي الجسم تحتها، وهذا نهاية البعد.

(٦) سؤر العيش: بقيته.

(٧) الحمام: الموت، والعرينة: مأوى الأسد، والرئبال: الأسد.

١٠ ـ وقالت زينبُ بنتُ الطَّثْرِيَّة[١] ترثي أخاها:

وقد كان يُرْوِي المشْرِفِيّ بكَفِّه ... ويبلغُ أقصى حَجْرةِ الحيِّ نائِلُه[٢]

١١ ـ وقال أبو الطيب:

أعزُّ مكانٍ في الدُّنا سرْجُ سابحٍ ... وخيْرُ جليس في الزمان كتاب[٣]

١٢ ـ العينُ عبْرى والنُّفوسُ صوادِي ... ماتَ الحجا وقَضى جلالُ النّادِي[٤]

١٣ ـ وقال رجل من بني أسد في الهجاءِ:

لَا تحسَبِ المجْد تَمْراً أنت آكِله ... لَنْ تَبلغَ المجْد حتى تَلْعقَ الصَّبِرا[٥]

١٤ ـ وقال عُمارةُ اليمنيّ[٦]:

وغَدْرُ الفَتى في عهْدِه ووفائِهِ ... وغدْرُ المواضي في نُبُوّ المضارب[٧]

١٥ ـ قال تعالى في قصة فرعون وردُ موسى عليه السلام: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾﴾.

١٦ ـ وقال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾[٨].

---

(١) أبوها الصمة، والطثرية أمها، ويزيد أخوها، وهي شاعرة مجيدة من شواعر الإسلام، ولها في أخيها يزيد مراث جيدة.

(٢) المشرفي: السيف، الحجرة: الناحية، النائل: العطاء؛ تقول: إنه كان عظيم البأس كثير الجود.

(٣) الدنا: جمع دنيا، السابح: الفرس السريع الجري، يقول: سرج الفرس أعز مكان؛ لأن صاحبه يجاهد عليه في طلب المعالي، والكتاب خير جليس لأنه مأمون الأذى.

(٤) عبرى: باكية، الصوادي: جمع صادية أي ظمأى، الحجا: العقل، قضى: مات.

(٥) الصبر بكسر الباء: عصارة شجر مر، يقول: لا تظن أن طريق المجد سهل يسلكه أمثالك، كلا، إن دون المجد صعاباً لا يتغلب عليها إلا ذوو الهمم العالية.

(٦) مؤرخ ثقة وشاعر فقيه أديب، قدم مصر سنة ٥٥٠هـ فأحسن الفاطميون إليه فأقام عندهم ومدحهم ولم يزل موالياً لهم حتى دالت دولتهم، ثم تآمر هو وسبعة من المصريين على مقاومة السلطان صلاح الدين، فصلبه معهم سنة ٥٦٩هـ وله ديوان شعر كبير.

(٧) المواضي: السيوف القاطعة، نبو المضارب: عدم قطعها.

(٨) الوقر: الثقل في السمع.

(٢)

لِمَ يعيبُ الناس العطف في الشطر الثاني من أبي تمام؟

لا والـذِي هُـو عـالِمٌ أنَّ الـنـوَى صَـبِـرٌ وأنَّ أبـا الـحُـسَـيْـن كـريـمُ

٢ - لِمَ يحْسُنُ أن نقول: عليٌّ خطيبٌ وسعيد شاعر، ويقبح أن نقول: علي مريض وسعيد عالِم؟

(٣)

١ - هات ثلاثة أمثلة للجمل المفصول بينها لكمال الاتصال، واستوفِ المواضع الثلاثة التي يظهر فيها هذا الكمال.

٢ - هات مثالين للجمل المفصول بينها لشبه كمال الاتصال.

٣ - هات مثالين للجمل المفصول بينها لكمال الانقطاع.

(٤)

١ - مثّل بمثالين لكل موضع من مواضع الوصل.

(٥)

انثُر البيتين الآتيين وبيِّن سبب ما فيهما من فصل ووصل، وهما لأبي الطيب في مدح سيف الدولة:

يـا مَـنْ يُـقـتّـلُ مَـنْ أراد بـسـيْـفِـهِ أصْـبـحْـتُ مِـنْ قـتْـلاكَ بـالإحْـسـانِ

فـإذا رأيْـتُـكَ حـار دُونـكَ نـاظِـري وإذا مـدحْـتُـك حـار فـيـكَ لِسـانِـي

الإِيجازُ والإِطنابُ والمُساواة

(١) الْمُسَاوَاة

الأمثلة:

١ ـ قال تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ﴾.

٢ ـ وقال تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾[١].

٣ ـ وقال النابغة الذبيانيُّ:

فَإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي ... وإِنْ خِلْتُ أَنَّ الْمُنْتَأَى عَنْكَ وَاسِع[٢]

٤ ـ وقال طَرَفَةُ بنُ العَبْد:

سَتُبْدِي لكَ الأيامُ مَا كُنْتَ جَاهِلًا ... وَيَأْتِيكَ بالأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ[٣]

البحث:

يختارُ البليغُ للتعبير عما في نفسه طريقاً من طرق ثلاث؛ فهو تارة يُوجزُ، وتارة يُسْهبُ، وتارة يأتي بالعبارة بَيْن بَيْن، على حسب ما تقتضيه حالُ المخاطب ويدعو إليه موْطنُ الخطاب، ونريد هنا أن نشرح هذه الطرق الثلاث، وسنبدأ بالمساواة لأنها الأصل المقيسُ عليه.

---

(١) يحيق: من قولهم حاق به الشيء إذا أحاط به.

(٢) المنتأى: موضع البعد وهو اسم مكان من انتأى عنه أي بعد: يخاطب النابغة الذبياني النعمان بن المنذر ويشبهه في حال سخطه بالليل في أنه يعم كل موطن، وذلك لسعة ملك النعمان وبسطة نفوذه فلا يفلت منه أحد.

(٣) مَن لم تزود: أي مَن لم تعطه زاداً، والزاد: طعام المسافر، يقول: إن عشت فستعلمك الأيام ما لم تكن تعلم، ويأتيك بالأخبار مَن لم توجهه في طلبها.

تأمّل الأمثلة المتقدمة تجد الألفاظ فيها بقدر المعاني، وأنك لو حاولت أن تَزيد فيها لفظاً لجاءت الزيادة فضلًا، أو أردتَ إسْقاط كلمة لكان ذلك إخلالًا، فالألفاظ في كل مثال مساوية للمعاني، ولذلك يُسَمّى أداءُ الكلام على هذا النحو مساواة.

القاعدة

(٧٥) الْمُسَاوَاةُ أَنْ تَكونَ الْمعَاني بِقَدْرِ الأَلْفَاظِ، وَالأَلْفَاظُ بِقَدْرِ الْمعاني، لاَ يَزيدُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ.

(٢) الإِيجَازُ

١ - قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾.

٢ - وقال ﷺ: «الضَّعِيفُ أميرُ الرَّكْب»[١].

٣ - وقيل لأَعْرَابيٍّ يَسوق مالاً[٢] كثيراً: لِمَنْ هذا الْمالُ؟ فقال: لله في يَدِي.

* * *

٤ - قال تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾.

٥ - وقال تعالى: ﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾.

٦ - وقال تعالى في حكاية موسى عليه السلام مع ابْنَتَيْ شُعَيْب: ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾.

البحث:

تأمل أمثلة الطائفة الأولى تجد أن ألفاظها في كل مثال على قِلّتها جمعتْ معاني كثيرةً متزاحمة، فالمثال الأول تضمَّن كلمتين اسْتَوْعبتا جميع الأشياء والشؤون على

(١) الركب: جماعة المسافرين.

(٢) المال: كل ما ملكته، ويطلق عند الأعراب على الإبل.

وجْهِ الاستقصاء، حتى لقد رُوِيَ أن ابن عُمَر رضي الله عنه قرأها فقال: مَنْ بقي له شيء فلْيطلبه. والمثال الثاني آية في البلاغة والحسن، فقد جمع من آداب السفر والعطف على الضعيف ما لا يسهل على البليغ أن يُعبِّر عنه إلّا بالقول المُسْهَب الطويل. وكذلك الحال في المثال الثالث. وهذا الأسلوب من الكلام يسمى إيجازاً. ولما كان مدار الإيجاز هنا على اتساع الألفاظ القليلة للمعاني المتكاثرة والأغراض المتزاحمة، لا على حذف بعض كلمات أو جمل، سمّي إيجاز قِصَر.

تأمل أمثلة الطائفة الثانية تجد أنها مُوجَزَةٌ أيضاً، وإذا أردت أن تَعْرف سِرّ الإيجاز فيها فانظر إلى المثال الأول تجد أنه قد حُذف منه كلمة، إذ تقدير الكلام فيه وجاء أمر ربك، وانظر إلى المثال الثاني تجد أنه حُذف منه جملة هي جواب القسم، إذ تقدير الكلام ﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾ لَتُبْعثُنّ. أمّا المثال الثالث فالمحذوف فيه جُمل عدة، ونظم الكلام من غير حذف أن يقال: فَذَهبَتَا إلى أبيهما، وقصّتا عليه ما كان من أمر موسى، فأرسل إليه، ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾.

ولما كان سبب الإيجاز في هذه الأمثلة هو الحذف سُمي إيجاز حذف ويشترط في هذا النوع من الإيجاز أن يقوم دليل على المحذوف، وإلا كان الحذف ردِيئاً والكلام غيرَ مقبول.

القاعدة

(٦٦) ٱلإِيجَازُ جَمْعُ ٱلْمَعَانِي ٱلْمُتَكَاثِرَةِ تَحتَ ٱللَّفْظِ ٱلْقَلِيلِ مَعَ ٱلإِبانَةِ وَٱلإِفْصَاحِ، وَهُوَ نوْعَان:

أ - إيجازُ قِصَرٍ، ويَكونُ بتَضْمِينِ الْعِبارَاتِ الْقَصِيرَةِ مَعَانِيَ قَصِيرَةٍ مِنْ غَيْرِ حَذْفٍ.

ب - إيجازُ حَذْفٍ، ويَكونُ بحَذْفِ كلِمَةٍ[1] أَوْ جُمْلَةٍ أَوْ أَكْثَرَ مَعَ قَرِينَةٍ تُعَيِّنُ ٱلْمَحْذُوفَ.

---

(١) الكلمة المحذوفة إما حرف، وإما فعل، وإما اسم، والاسم المحذوف قد يكون مضافاً، أو موصوفاً، أو صفة.

نَمُوذَجٌ

لبيان نوع الإيجاز في العبارات الآتية:

١ ـ قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ﴾.

٢ ـ وقال تعالى: ﴿تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ﴾.

٣ ـ وقال تعالى: ﴿أَخۡرَجَ مِنۡهَا مَآءَهَا وَمَرۡعَىٰهَا ٣١﴾.

٤ ـ وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ أَكَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ﴾.

٥ ـ وقال تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّ قُرۡءَانٗا سُيِّرَتۡ بِهِ ٱلۡجِبَالُ أَوۡ قُطِّعَتۡ بِهِ ٱلۡأَرۡضُ أَوۡ كُلِّمَ بِهِ ٱلۡمَوۡتَىٰۗ بَل لِّلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ جَمِيعًاۗ﴾.

٦ ـ وقال أبو الطيب:

أتى الزَّمانَ بنُوهُ في شَبيبَتِهِ فَسرَّهُمْ وأتيْناهُ على الهَرَمِ[1]

٧ ـ أكلت فاكهة وماءً.

الإجابة

١ ـ في الآية إيجاز قِصَر؛ لأن كلمة «الأمن» يدخل تحتها كلُّ أمر محبوب، فقد انتفَى بها أن يخافوا فقراً، أو موتاً، أو جوْراً، أو زوال نعمة، أو غير ذلك من أصناف المكاره.

٢ ـ في الآية إيجاز حذف، لأن المعنى ﴿تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ﴾ فحذف حرف النفي.

٣ ـ في الآية إيجاز قصر؛ فقد دلّ الله سبحانه بكلمتين على جميع ما أخرجه من الأرض قوتاً ومتاعاً للناس من العُشب والشجر والحطب واللّباس والنار والماء.

٤ ـ في الآية إيجاز حذف، فقد حُذِف جوابُ أمّا، وأصل الكلام «فيقال لهم أكفرْتُم بعد إيمانِكم».

٥ ـ في الآية إيجاز بحذف جواب لو، إذ تقدير الكلام لكان هذا القرآن.

---

(١) يقول: إن بني الزمان من الأمم السالفة جاؤوا في حداثة الدهر فسرهم، ونحن أتيناه وقد هرم فلم يبق عنده ما يسرنا به.

٦ ـ في البيت إيجاز بحذف جملة: والتقدير وأتيناه على الهَرم فساءنا.

٧ ـ في العبارة إيجاز بحذف جملة، إذ التقدير وشربْت ماءً.

تمرينات

(١)

بيّن نوع الإيجاز فيما يأتي ووضّح السبب:

١ ـ قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾.

٢ ـ وقال تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾[١].

٣ ـ وقال عليه الصلاة والسلام: «إن من البيان لَسِحْراً».

٤ ـ وقال تعالى في وصف الجنة: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾

٥ ـ وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ﴾[٢].

٦ ـ وقال تعالى: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾.

٧ ـ وقال ﷺ: «الطَّمعُ فقر واليأس غِنًى».

٨ ـ وقال علي كرّم الله وجهه: «آلة الرياسة سعةُ الصدرِ».

٩ ـ ويُنسبُ للسّموْءل:

وإنْ هُو لَمْ يحْمِلْ على النَّفْس ضَيْمَها ... فلَيْسَ إلى حُسْنِ الثناءِ سبيلُ[٣]

١٠ ـ وقال تعالى في وصف انتهاء حادثة الطوفان: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٤].

---

(١) خذ العفو: أي خذ الميسور من أخلاق الرجال ولا تستقص عليهم.

(٢) الخطاب للنبي ﷺ. يقول له: لو ترى حال الكفار عند الموت لرأيتها مزعجة. ومعنى قوله فلا فوت: فلا مهرب لهم من العذاب.

(٣) يقول: إذا كان المرء لا يصبر النفس على مكارهها لم يكن هناك سبيل إلى اكتسابه الحمد.

(٤) أقلعي: كفي عن المطر، وغيض الماء: نضب، والجودي: جبل بأرض الجزيرة استوت عليه سفينة نوح عليه السلام عند انتهاء الطوفان.

(٢)

بيِّن جمال الإيجاز فيما يأتي واذكر من أي نوع هو:

١ - كتب طاهرُ بن الحسين إلى المأمون وكان واليَهُ على عُمّاله بعد هزْمه عسْكَرَ علي بن عيسى بن ماهان[١] وقتْله إياه:

كتابي إلى أمير المؤمنين، ورأسُ علي بن عيسى بن ماهان بين يدَي، وخَاتَمُهُ في يدِي، وعسْكَرُهُ مُصرَّفٌ تحت أمري والسلام.

٢ - وخطب زيادٌ[٢] فقال: أيها الناسُ لا يمْنعنَّكُم سوءُ ما تعلمون عنّا أن تَنْتَفِعُوا بأحْسنِ ما تسمعون مِنّا.

(٣)

بيِّن ما في التوقيعات[٣] الآتية من جمال الإيجاز:

١ - وقَّع أبو جعفر المنصورُ في شكوى قوم من عاملهم:

كما تكونوا يُؤَمَّرْ عليكم[٤].

٢ - وكتب إليه صاحبُ مِصْر بنُقْصان النيل فوقَّع:

طَهِّرْ عسكرك من الفساد يعْطِكَ النيلُ القياد[٥].

٣ - ووقع على كتاب لعامله على حِمص وقد كثُر فيه الخطأ:

اسْتَبْدِل بكاتبك، وإلا اسْتُبْدِل بك[٦].

---

(١) علي بن عيسى بن ماهان من كبار القادة في عصر الرشيد والأمين، وهو الذي حرّض الأمين على خلع المأمون من ولاية العهد، وسيّره الأمين لقتال المأمون بجيش كبير فقتله طاهر بن الحسين قائد جيش المأمون سنة ١٩٥هـ.

(٢) أمير خطيب مصقع، وهو من القادة الفاتحين، والولاة الدهاة، أسلم في عهد أبي بكر رضي الله عنه، ثم ألحقه معاوية بنسبه فكان عضده الأقوى، وولاه البصرة والكوفة وسائر العراق، وتوفي سنة ٥٣هـ.

(٣) التوقيع: رأي الحاكم يكتبه على ما يعرض عليه من شؤون الدولة.

(٤) أمره عليهم: جعله أميراً.

(٥) القياد: حبل يقاد به.

(٦) أي اتخذ مكان كاتبك كاتباً آخر. وإلا أقيم مكانك عامل آخر.

٤ - وكتب إليه صاحب الهند أنّ جُنداً شغبوا عليه[١] وكَسرُوا أقفال بيت المال، فوقَّع: لو عدلتَ لَمْ يشْغبُوا، ولو وفَيْت لَمْ ينْتهِبُوا[٢].

٥ - ووقَّع هارون الرشيد إلى صاحب خُراسان: داوِ جُرْحك لا يتسع.

٦ - ووقَّع في قصة البرامكة: أنْبَتَتْهُم الطاعة، وحصدتْهُم المعصية.

٧ - وكتب إبراهيم بن المهْدِي في كلام للمأمون: إن عفوت فبفضلك، وإن أخذْتَ فبحقك. فوقَّع المأمون: القُدْرة تُذْهِبُ الحفيظَة[٣].

٨ - ووقَّع زِياد بنُ أبيه في قصة مُتظلم: كُفِيت.

٩ - ووقَّع جعفر بن يحيى[٤] لعامل كَثُرَتِ الشكوى منه:

كثُر شاكوك، وقلّ شاكرُوك، فإمّا عدلْت، وإمّا اعْتَزَلْت.

١٠ - ووقع في قصة محبوس: الْعدْلُ أوقعه، والتوبة تُطلِقُه.

(٤)

إقرأ الحكاية الآتية وبيّن وجه الإيجاز ونوعه فيما يعرض فيها من أمثال:

كان لرجل من الأعراب اسمه ضَبّةُ ابنان. يقال لأحدهما سعْد وللآخر سُعيْد، فنَفَرتْ إبل لضبة فتفرق ابناه في طلبها، فوجدها سعد فردّها، ومضى سُعيْد في طلبها، فلقيه الحارث بن كعْب، وكان على الغلام بُرْدان؛ فسأله الحارث إياهما فأبى عليه فقتله وأخذ برديه؛ فكان ضبّة إذا أمسى ورأى تحت الليل سواداً قال: أسعد أم سُعيْد؟ فذهب قوله مثلًا يُضرب في النجاح والخيبة، ثم مكث ضبة بعد ذلك ما شاء الله أن يمكث، ثم إنه حجّ فوافى عُكاظَ فلقي بها الحارث بن كعب، ورأى عليه بُرْدي ابنه سُعيْد، فعرفهما، فقال له: هل أنت مخبري ما هذان البردان اللذان عليك؟ قال:

---

(١) الشغب: تهييج الشر.

(٢) الانتهاب: النهب والأخذ.

(٣) الحفيظة: الحمية والغضب.

(٤) هو أحد مشهوري البرامكة ومقدميهم، ولد في بغداد ونشأ بها، ثم استوزره هارون الرشيد وألقى إليه مقاليد الدولة. فانقادت له الأمور، وما زال كذلك حتى غضب الرشيد على البرامكة فقتله في جملتهم سنة ١٧٨هـ وهو أحد الموصوفين بفصاحة المنطق وبلاغة القول وكرم اليد والنفس.

لقيت غلاماً وهما عليه فسألته إياهما فأبى عليَّ فقتلته وأخذتهما، فقال ضبة: بسيفك هذا؟ قال: نعم، قال: أرنيه فإني أظنه صارماً؛ فأعطاه الحارث سيفه، فلما أخذه هزّه وقال: الحديثُ ذو شُجُون[1] ثم ضربه به فقتله، فقيل له يا ضَبة: أفي الشهر الحرام؟ فقال: سبق السيفُ العذل[2]. فهو أوّل مَن سارت عنه هذه الأمثال الثلاثة.

(٥)

١ ـ هاتِ ثلاثة أمثلة لإيجاز القِصَر وبيّن وجه الإيجاز في كل منها.

٢ ـ هاتِ ثلاثة أمثلة لإيجاز الحذف. بحيث يكون المحذوف في المثال الأول كلمة وفي الثاني جملة، وفي الثالث أكثر من جملة، وبيِّن المحذوف في كل مثال.

(٦)

بيّن ما في قول أبي تمام في المديح من بلاغة وإيجاز:

ولوْ صوّرْتَ نفْسك لم تَزِدْها   علَى ما فيكَ من كَرَم الطِباعِ

(٣) الإِطناب

البحث:

١ ـ قال تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا﴾[3].

* * *

٢ ـ وقال تعالى: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾.

٣ ـ وقال: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾﴾.

* * *

٤ ـ وقال عنترة بن شداد في بعض روايات معلقته:

---

(١) أي ذو طرق، الواحد شجن، يضرب هذا المثل في الحديث يتذكر به غيره.

(٢) العذل: الملامة.

(٣) الروح: جبريل عليه السلام.

يَـدْعُـونَ عَـنْـتَـرَ والـرِّمـاحُ كـأنَّـهـا أشْـطَـانُ بـئْرٍ فـي لَبَـانِ الأدْهَـمِ[1]
يَـدْعُـونَ عَـنْـتَـرَ وَالـسُّـيُـوفُ كـأنَّـهـا لَمْـعُ الْبَـوَارِقِ فـي سَـحَـابٍ مُـظْـلِمِ

* * *

٥ ـ وقال النابغة الْجَعْدِي[2]:

ألا زَعَـمَـتْ بَـنُـو سَـعْـدٍ بـأنِّـي ـ ألَا كَـذَبُـوا ـ كَـبِـيـرُ الـسِّـنِّ فـانِـي

* * *

٦ ـ وقال الحُطَيْئة:

تَزُورُ فَتًى يُعْطِي على الْحَمْدِ مَالَه وَمَنْ يُعْطِ أثْمان الْمَحَامِدِ يُحْمَدِ

٧ ـ وقال ابنُ نُباتة السّعديّ:

لَمْ يُبْقِ جُودُكَ لِي شَيْئاً أؤَمِّلُهُ تَرَكْتَنِي أصْحَبُ الدُّنْيَا بلا أمَلِ

* * *

٨ ـ وقال ابن المعتز يصف فرساً:

صَبَبْنَا عَلَيْهَا ـ ظَالِمِينَ ـ سِيَاطَنَا فَطَارتْ بِهَا أيْدٍ سِرَاعٌ وأرْجُلُ

البحث:

عرفتَ فيما سبق معنى الإيجاز؛ ونريد هنا أن نشرح لك نوعاً آخر من الأساليب يقابله ويُضادُّه فتزيد فيه الألفاظ على المعاني لغرض بلاغيّ.

تأمل المثال الأول تجد لفظ «الروح» فيه زائداً، لأن معناه داخل في عموم اللفظ المذكور قبله وهو الملائكة، وانظر في المثال الثاني تجد أن لفظ «لي ولوالديّ» زائد أيضاً، لدخول معناه في عموم المؤمنين والمؤمنات، وكذلك يشتمل كل مثال من الأمثلة الباقية على زيادة لفظية ستعرفها فيما يأتي، وسترى أيضاً أنّ هذه الزيادة لم تجيء عبثاً، وإنما جاءت لِلطيفة من اللطائف البلاغيّة التي تزيد قيمة الكلام وترفع من معانيه، وأداءُ الكلام على هذا الوجه يُسمّى إطناباً.

ارجع إلى الأمثلة وابحث فيها واحداً واحداً تجد طرق الإطناب فيها مختلفة: فطريقه في المثال الأول ذكر الخاص بعد العام، فقد خَصَّ الله سبحانه وتعالى الروح

(١) أشطان البئر: حباله، ولبان الأدهم: صدر الفرس.

(٢) هو حسان بن قيس الجعدي، شاعر قديم معمر أدرك الجاهلية والإسلام، وأسلم وحسن إسلامه وأنشد النبي ﷺ فأعجب به وقال له: لا يفضض الله فاك.

بالذِّكر وهو جبريل مع أنه داخل في عموم الملائكة تكريماً له وتعظيماً لشأنه كأنه جنس آخر، ففائدة الزيادة هنا التنويه بشأن الخاص.

وطريقه في المثال الثاني ذكر العام بعد الخاص، فقد ذكر الله سبحانه المؤمنين والمؤمنات وهما لفظان عامان يدخل في عمومهما مَن ذُكِر قبل ذلك، والغرض من هذه الزيادة إفادة الشمول مع العناية بالخاص لذكره مرتين، مرة وحده، ومرة مندرجاً تحت العام.

وطريقه في المثال الثالث الإيضاح بعد الإبهام فإن قوله تعالى: ﴿أَنَّ دَابِرَ هَٰؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾ إيضاح للإبهام الذي تضمنه لفظ «الأمر» وذلك لزيادة تقرير المعنى في ذهن السامع بذكره مرتين، مرة على طريق الإجمال والإبهام، ومرة على طريق الإيضاح والتفصيل.

وطريقه في بيتي عنترة التكرار لتقرير المعنى في نفس السامع وتثبيته، ويظهر هذا الغرض في الخطابة، وفي موطن الفخر والمدح والإرشاد والإنذار، وقد يكون التكرار لدواعٍ أُخرى، منها التحسُّر كما في قول الحسين بن مطير[1] يرثي معْن بن زائدة:

فيا قَبْرَ معْنٍ أنتَ أوَّلُ حُفْرةٍ ... مِن الأرْض خُطَّتْ لِلسَّماحَةِ مَوْضِعا[2]

ويا قبرَ معن كَيْف وارَيْتَ جُودهُ ... وقَدْ كانَ مِنْهُ البَرُّ والبحرُ مُتْرعا

ومنها طول الفصل كما في قول الشاعر:

لقدْ عَلِمَ الحيُّ اليمانون أنني ... إذا قلْتُ أمّا بعْدُ أنّي خَطِيبُها[3]

وطريقه في المثال الخامس الاعتراض، وهو أن يؤتى في أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين في المعنى بجملة أو أكثر لا محل لها من الإعراب لغرض يقصِدُ إليه البليغ، فجملة «ألا كذبوا» قد جاءت في بيت النابغة بين اسم إن وخبرها للإسراع إلى التنبيه على كذب مَن رماه بالكِبَر، وقد يكون من أغراض الاعتراض الإسراع إلى التنزيه، نحو: إن الله - تبارك وتعالى - لطيف بعباده، وقد يكون للدعاء نحو إني - وقاك الله - مريض.

وطريقه في المثالين السادس والسابع التذييل، وهو تعقيب الجملة بجملة أُخرى

---

(١) شاعر عاش في الدولتين الأموية والعباسية، وله مدائح في رجالهما، وكان من أحسن أهل البادية زيًا وكلاماً، وتوفي سنة ١٦٩هـ بعد معن بن زائدة وله رثاء فيه.

(٢) خطت للسماحة موضعاً: أي اتخذت لتكون موضعاً للكرم والجود.

(٣) اليمانون: المنسوبون إلى اليمن.

تشتمل على معناها توكيداً لها، فإن المعنى في كلا البيتين قد تمّ في الشطر الأول، ثم ذُيّل بالشطر الثاني للتوكيد. وإذا تأملت التذييل في المثالين وجدت بينهما بعض الخلاف. وذلك أن التذييل في المثال الأول مستقلٌ بمعناه لا يتوقف فهمه على فهم ما قبله، ويقال له إنه جار مجرى المثل، أما في المثال الثاني فهو غير مستقل بمعناه إذ لا يفهم الغرضُ منه إلا بمعونة ما قبله، ويقال لهذا النوع إنه غير جار مجرى المثل.

تأمل المثل الأخير تجد أننا لو أسقطنا منه كلمة «ظالمين» لتوهَّم السامع أن فرس ابن المعتز كانت بليدة تستحق الضرب، وهذا خلاف المقصود، وتسمّى هذه الزيادة في البيت احتراساً، وكذلك كل زيادة تجيءُ لدفع ما يُوهِمُهُ الكلام مما ليس مقصوداً.

القاعدة

(٦٧) الإِطْنابُ زيادَةُ اللَّفْظِ عَلَى الْمَعْنَى لِفائِدَةٍ[١]، وَيكُونُ بِأُمُورٍ عِدة مِنْها:

أ - ذِكْرُ الْخَاصِّ بَعْدَ الْعامِّ لِلتَّنْبِيهِ عَلَى فَضْلِ الْخَاصِّ.

ب - ذِكْرُ الْعَامِّ بَعْدَ الْخَاصِّ لإِفادَةِ الْعُمُومِ مَعَ الْعِنايَةِ بِشَأْنِ الخاصِّ.

جـ - الإِيضاحُ بَعْدَ الإِبهام، لِتَقْرِيرِ الْمَعْنَى في ذِهْنِ السَّامِعِ.

د - التَّكْرَارُ لِدَاعٍ: كَتَمْكِينِ الْمَعْنَى من النفس، وكالتَّحَسُّر، وكَطُولِ الْفَصْل.

هـ - الاعْتِرَاضُ، وهُو أَنْ يُؤْتَى في أَثْناءِ الكلاَم أو بَيْنَ كلامَيْنِ مُتَّصِلَيْن في الْمَعْنَى بِجُمْلَةٍ أَوْ أَكْثر لا مَحَلَّ لها منَ الإِعْراب[٢].

و - التَّذْيِيلُ، وهُوَ تَعقيبُ اَلْجُمْلَةِ بجمْلَةٍ أُخْرَى تَشْتَمِلُ على مَعْنَاهَا تَوكيداً لها، وهُوَ قِسْمان:

١ - جَارٍ مَجرَى الْمَثَلِ إِنِ اَسْتَقَلَّ مَعْناهُ واَسْتَغْنَى عَمَّا قَبْلَهُ.

---

(١) فإذا لم تكن في الزيادة فائدة سميت «تطويلاً» إن كانت الزيادة غير متعينة، «وحشواً» إن كانت متعينة، فالتطويل كما في قول عنترة بن شداد:

حييت من طلل تقادم عهده ... أقوى وأقفر بعد أم الهيثم

والحشو كما في قول زهير بن أبي سلمى:

واعلم علم اليوم والأمس قبله ... ولكنني عن علم ما في غد عمي

(٢) ويجب أن يكون البليغ في الاعتراض غرض يرمي إليه غير دفع الإيهام، فإن كان الغرض دفع الإيهام كان احتراساً.

٢ ـ غَيْرُ جَارٍ مَجرَى الْمَثَلِ إنْ لَمْ يَسْتَغنِ عَمّا قَبْلَهُ.

ز ـ الاِحتراسُ، وَيَكُونُ حِينَما يَأْتي المتكلِّمُ بمَعْنى يُمْكِنُ أنْ يَدْخُلَ عَلَيْهِ فيه لَوْمٌ، فَيَفْطِنُ لذلكَ ويأْتي بما يُخَلِّصُهُ منْهُ.

نَمُوذَجٌ

بيِّن نوع الإطناب فيما يأتي:

١ ـ قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ (٩٧) أَوَ أَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٩٨) أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ (٩٩)﴾.

٢ ـ وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِي۟ن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ﴾.

٣ ـ وقال أبو الطيب:

إنّي أُصاحِبُ حِلمي وهْوَ بي كَرمٌ ... ولَا أُصاحِبُ حِلمي وهو بي جُبن

٤ ـ وقال النابغة الجعْدِيُّ يهجو:

لَوَ أنَّ الباخِلينَ وأَنْتَ مِنْهُمْ ... رأوْكَ تَعلَّموا مِنْكَ المِطالا

٥ ـ وقالت أعرابية لرجل: كَبتَ اللّهُ كُل عدُو لَك إلاّ نَفْسَك.

٦ ـ وقال تعالى: ﴿أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ (١٣٣)﴾.

الإجابة

١ ـ في الآية إطناب بالتكرار في معرض الإنذار لتقرير المعنى في نفوس السامعين.

٢ ـ في الآية إطناب بالتذييل في موضعين: أولهما قوله تعالى: ﴿أَفَإِي۟ن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾، وهذا تذييل لم يجرِ مجرى المثل، والثاني قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ وهو جار مَجْرَى المثل.

٣ ـ في البيت إطناب بالاحتراس في موضعين: أولهما في الشطر الأول بذكر وهو بي كرم، وثانيهما في الشطر الثاني بذكر وهو بي جُبن.

٤ ـ في البيت إطناب بالاعتراض. فقد جاءت جملة: «وأنت منهم» معترضة بين

اسم إن وخبرها للإسراع إلى ذم المخاطَب.

٥ ـ هنا إطناب بالاحتراس، لأن نفس الإنسان تجري مجْرى العدوّ له، فإنها تدعوه إلى ما يُوبِقهُ.

٦ ـ في الآية إطناب بالإيضاح بعد الإبهام فإن ذكر الأنعامِ والبنين توضيحٌ لما أُبْهم قبل ذلك في قوله: ﴿بِمَا تَعْلَمُونَ﴾.

تمرينات

(١)

وضّح الغرض من التكرار في كل مثال من الأمثلة الآتية:

١ ـ قال بعض شعراء الحماسة:

إلَى مَعْدِنِ العِزِّ المُؤَثَّلِ والنَّدى ... هُناك هناك الْفَضْلُ والخُلُقُ الجزْل[١]

٢ ـ وقالَتْ أعْرابيَّةٌ تَرْثِي ولَدَيْها:

يا مَنْ أحسَّ بُنَيَّيَّ اللذين هُما ... كالدُّرَّتَيْن تَشظَّى عنْهُما الصَّدف[٢]

يا مَنْ أَحسّ بُنَيَّيَّ اللذين هُما ... سمْعي وطَرْفِي فَطَرْفِي اليوم مُخْتَطَفُ[٣]

٣ ـ وقال عمرُو بن كلثوم[٤] في معلقته:

بأيِّ مشِيئةٍ عمْرو بْن هِنْد[٥] ... نَكُونُ لِقَيْلِكُمْ فِيها قَطِينَا[٦]

---

(١) معدن العز: موطنه ومركزه، والمؤثل: المؤصل والمعظم، والخلق الجزل: الطبع القوي الكريم.

(٢) تشظى الصدف: تطاير شظايا، والشظايا جمع شظية: وهي الفلقة من العصا ونحوها.

(٣) الطرف: البصر.

(٤) شاعر جاهلي وهو من فحول الشعراء في الجاهلية ومن فرسانهم وأشرافهم، وهو صاحب المعلقة التي أولها «ألا هبي بصحنك فاصبحينا».

(٥) هو ملك الحيرة وكان جباراً عنيداً لا يرى في الناس مَن يدانيه في الشرف والمنزلة، وقد أراد أن يستذل عمرو بن كلثوم باتخاذ أمه وصيفة لأمه، فثارت الحمية في قلب عمرو بن كلثوم فجرّد سيفاً وضرب الملك فقتله.

(٦) القيل: الملك دون الملك الأعظم وجمعه أقيال، والقطين: الخدم، يقول؛ كيف تطمع أن نكون خدماً لمَن وليت علينا من الأمراء على ما تعلم من عزنا.

بأيِّ مشيئة عمرو بن هند تُطيعُ بنا الوُشاةَ وتَزْدرينا[١]

٤ ـ قال تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾.

(٢)

بيِّن مواطن الاعتراض وفائدته في الأمثلة الآتية:

١ ـ قال العباس بن الأحنف:

إنْ تم ذَا الهجْرُ يا ظَلُومُ ولا تم فما لي في العيْشِ مِنْ أرَبِ[٢]

٢ ـ وقال أبو الفتح البُسْتيّ[٣]:

إذا حَمِدَ الكريمُ صباحَ يوْمٍ وأنّى ذاكَ لَمْ يحْمَدْ مساءْ[٤]

٣ ـ وقال أبو خراش الهُذَليّ[٥] يذكر أخاه عُرْوة:

تَقُولُ أراهُ بعْدَ عُرْوةَ لاهِياً وذَلِكَ رُزْءٌ لو عَلِمْتَ جليلُ

فلا تَحْسَبِي أنّي تَنَاسيْتُ عهْدهُ ولَكِنْ صَبْرِي يا أُميْمُ جميلُ[٦]

٤ ـ واعْلَم فعِلْمُ المرْءِ ينفَعُهُ أنْ سوْف يأتِي كلُّ ما قُدِرا[٧]

(٣)

بيِّن مواطن التذييل ونوعه في كل مثال من الأمثلة الآتية:

١ ـ قال أبو تمام يُعزي الخليفة في ابنه:

---

(١) يقول: كيف تطيع الوشاة فينا وتحتقرنا على ما تعلم من قلة صبرنا على احتمال الضيم.

(٢) ظلوم: اسم امرأة.

(٣) شاعر عصره وكاتبه، نسب إلى بوست (قرب سجستان) وقد ولي كتابة ديوانها، ثم انتقل إلى بخارى فمات فيها سنة ٤٠٠هـ، وله ديوان شعر.

(٤) يقول: إن الدهر قلب لا يدوم على حال، فإذا سر إنساناً في صباح يومه أساء إليه في مسائه، ومَن سره زمن ساءته أزمان.

(٥) هو خويلد بن مرة أحد بني هذيل، وهو من فرسان العرب وفتاكهم، شاعر مخضرم، أسلم وهو شيخ كبير يوم حنين، وكان عداء، وخراش ابنه، وعروة أخوه.

(٦) الصبر الجميل: هو الذي لا شكوى فيه.

(٧) أن في البيت مخففة من الثقيلة، وضمير الشأن محذوف، يقول: إن المقدور آت لا محالة وإن تأخر، وفي هذا تسلية وتسهيل للأمر.

تَعزَّ أميرَ المؤمنين فإنَّهُ ... لِما قَدْ ترى يُغذي الصبيُّ ويُولَدُ[١]
هَل ابْنُكَ إلّا من سُلالَةِ آدمٍ ... لِكلٍّ على حوْضِ المنِيَّةِ مَوْرِدُ

٢ ـ وقال إبراهيم بن المهدي في رثاءِ ابنه:

تَبدَّلَ داراً غيْرَ داري وجيرةً ... سِوايَ وأحْداثُ الزَّمانِ تَنُوبُ

٣ ـ فإن أكُ مقْتُولاً فكُنْ أنتَ قاتِلي ... فبعْض منايا القَوْمِ أكْرمُ مِنْ بعْض

٤ ـ قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾ (١٧).

(٤)

بيّن مواطن الاحتراس وسبب الإتيان به في الأمثلة الآتية:

١ ـ قال أبو الحسين الجزار[٢] في المديح:

ويَهْتَزُّ لِلْجدْوَى إذَا ما مدَحْتُه ... كما اهتَزَّ حاشا وصْفِه شاربُ الخمر

٢ ـ وقال آخر:

وما بي إلى ماءٍ سِوى النِّيلِ غُلةٌ ... ولوْ أنهُ أسْتَغْفِرُ الله زَمْزَمُ

٣ ـ وقال عنترة:

يُخبرْكِ مَنْ شهد الوقيعةَ أنّني ... أغْشَى الوَغى وأعِفُّ عِنْد المغْنَمِ[٣]

٤ ـ وقال كعب بن سعيد الْغَنَوي:

حليمٌ إذَا ما الحِلْمُ زَيَّنَ أهلَهُ ... مع الحِلْمِ فِي عيْنِ الرِّجال مهيبُ[٤]

(٥)

بيّن مواقع الإطناب والغرض منه فيما يأتي:

---

(١) تعز: تصبر، يقول: تصبر يا أمير المؤمنين، فإن الموت سبيل كل حي، والصبي لا يولد ولا يغذى إلا استعداداً للموت.

(٢) شاعر مصري رقيق، تظهر في شعره خفة الروح المصرية، ولد سنة ٦٠١هـ ومات سنة ٦٧٢هـ.

(٣) الوقيعة: القتال، والوغى في الأصل: صوت المقاتلة في الحرب ثم استعمل في الحرب نفسها، يقول: إنه يغشى الحرب شجاعة، فإذا كانت الغنيمة كف عفة؛ لأنه لا يقاتل لأجلها.

(٤) يقول: هو حليم في المواطن التي يحمد فيها الحلم، وهو مع حلمه مهيب في أعين الرجال.

١ ـ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ﴾.

٢ ـ وقال أيضاً: ﴿حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾.

٣ ـ وقال الشاعر:

والسَّعْيِ في الرِّزْقِ والأرْزَاقُ قَدْ قُسِمتْ ... بَغْيٌ ألا إنَّ بَغْيَ المرءِ يَصْرعُهُ

٤ ـ وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾﴾.

٥ ـ وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ﴾.

٦ ـ وقال تعالى: ﴿ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾.

٧ ـ وقال الحماسي:

أَسِجْناً وقَيْداً واشْتِياقاً وغُرْبَةً ... ونَأْيَ حَبِيبٍ؟ إنَّ ذا لَعَظِيمُ

وإنَّ امْرأً دامتْ مَواثِيقُ عَهْدِهِ ... عَلَى مِثْلِ هَذا إنَّه لَكَرِيمُ

٨ ـ وقال تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ﴾.

٩ ـ وقال إبراهيم بن المهدي في رثاء ابنه:

وإنّي وإنْ قُدِّمْتَ قَبْلي لَعالِمٌ ... بأنّي وإنْ أُخِّرْتُ مِنْكَ قريبُ

١٠ ـ قال تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾﴾.

١١ ـ وقال أوس بن حَجَر[١]:

ولَسْتُ بخابِىءٍ أبداً طعاماً ... حِذارَ غَدٍ لِكلّ غدٍ طَعامُ

١٢ ـ وقال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾.

١٣ ـ وقال تعالى: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

---

(١) من شعراء الجاهلية وفحولها يجيد في شعره ما يريد، وهو من الطبقة الثانية، وعمر طويلاً وكانت وفاته أول ظهور الإسلام.

١٤ ـ وقال تعالى: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾.

١٥ ـ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ﴾.

(٦)

بيِّن ما تراه في الأبيات الآتية من العيوب البلاغية.

١ ـ قال أبو نواس:

أقمْنَا بهَا يوْماً ويوْماً وثالِثاً ... ويوْماً له يَوْمُ الترحُلِ خامِس[1]

٢ ـ وقال النابغة في وصف دار:

تبيَّنْتُ آياتٍ لَها فعرَفْتُها ... لِسِتَّة أعْوامٍ وذَا العام سابعُ

٣ ـ وقال أبو العتاهية:

ماتَ واللّهِ سعِيدُ بْنُ وهْب ... رحِم اللّهُ سعِيدَ بْنِ وَهْبِ

يا أبا عُثمانَ أبْكيْتَ عيْني ... يا أبا عُثمانَ أوْجعْتَ قلبي

(٧)

تدبَّر الكلام الموجز الآتي ثم ضعه في أُسلوبين من إنشائك يكون في أحدهما مساوياً لمعناه، وفي الآخر زائداً على معناه:

أمّا بعد فعِظِ الناس بفِعْلِكَ، واَسْتَحْيِ من اللّهِ بقَدْر قُربهِ منك، وخَفْه بقدر قدْرته عليك.

(٨)

لماذا كان كل مثال به فصل لكمال الاتصال ضرباً من الإطناب؟ مثّل بأَمثلة مختلفة، وبيِّن نوع الإطناب في كل مثال.

---

(١) يريد أنهم أقاموا ثمانية أيام، عد منها ثلاثة في الشطر الأول، ثم أضاف إليها خمسة في الشطر الثاني، لأنه يقول إننا أقمنا بعد الثلاثة الأيام الأولى يوماً له يوم الرحيل خامس، أي خمسة أيام أخرى.

١ ـ هات مثالين للإطناب بذكر الخاص بعد العام، وآخرين للإطناب بذكر العام بعد الخاص، وبيِّن فائدة الزيادة التي تضمنها الكلام في كل مثال.

٢ ـ هات مثالين للاعتراض، وبيِّن فائدته في المثالين.

٣ ـ هات أربعة أمثلة للتكرار الحسن، وبيِّن غرضك منه في كل مثال، واستوفِ أغراض التكرار التي عرفتها.

٤ ـ هات مثالين للتذييل الجاري مجرى المثل، وآخرين للتذييل الذي لم يجرِ مجْرَى المثل.

٥ ـ هات مثالين للاحتراس.

(٩)

اشرح بَيْتَي المتنبي في وصف شِعْب بَوّان[١]، وبيِّن نوع الإطناب فيهما:

مَلاعِبُ جِنَّةٍ لَوْ سارَ فيها سُلَيْمانٌ لَسارَ بِتَرْجُمانِ[٢]

طَبَتْ فُرْسانَنا والْخَيْلَ حتى خَشِيتُ وإنْ كَرُمْنَ مِنَ الْحِرانِ[٣]

---

(١) شعب بوان: موضع عند شيراز، كثير الشجر والمياه ويعد من جنان الدنيا.

(٢) الجنة: الجن، جعل الشعب لغرابة مناظره كأنه منزل للجن، ويقول: إن لغة أهله بعيدة عن الأفهام حتى لو أتاهم سليمان مع علمه بلغات الجن لاحتاج إلى مَن يترجم له.

(٣) طباه: دعاه واستماله، والحران في الدابة: أن تقف مكانها فلا تبرح.

أثر عِلم المعاني في بَلاغة الكلام

نستطيع هنا بعد الدراسة السابقة أن نلخص لك مباحث علم المعاني في أمرين اثنين:

الأول أنه يبيِّن لك وجوب مطابقة الكلام لحال السامعين والمواطن التي يقال فيها، ويُريك أن القول لا يكون بليغاً كيفما كانت صورته حتى يلائم المقام الذي قيل فيه، ويناسب حال السامع الذي أُلقي عليه، وقديماً قال العرب: لكل مقام مقال.

فقد يؤكد الخبر أحياناً كما علمت، وقد يُلقى بغير توكيد، على حسب حال السامع مِنْ جَهْل بمضمون الخبر أو تردد أو إنكار. ومناهضة هذا الأصل بلا داع نُشوزٌ عما رُسم من قواعد البلاغة. انظر إلى قوله تعالى في شأن رُسل عيسى عليه السلام حين بعثهم إلى أهل أنطاكية: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُواْ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُواْ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾﴾.

فإن الرسل حين أحسُّوا إنكارهم في المرة الأولى اكْتفوْا بتأكيد الخبر بـ«إنَّ». فقالوا: ﴿إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾، فلما تزايد إنكارهم وجحودُهم قالوا: ﴿رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾، فأكدوا بالقَسم وإنَّ واللام.

وقد تَخْفى هذه الدقائق على غير أهل اللغة، رُوِي أن الكِنْدِيّ[1] ركِب إلى أبي العباس المبرّد[2] وقال له: إني لأجد في كلام العرب حشواً!

فقال أبو العباس: أيْن وجدت ذلك؟ فقال: وجدتهم يقولون: «عبد الله قائم»

---

(١) هو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق فيلسوف العرب كان معاصراً للمأمون والمعتصم والمتوكل، وله عندهم منزلة سامية، برع في الطب والفلسفة والحساب والمنطق والهندسة وطبائع الأعداد وعلم النجوم، نبغ وليس في المسلمين فيلسوف غيره، وحذا في تأليفه حذو أرسطو.

(٢) هو شيخ أهل النحو والعربية، وله التآليف النافعة في الأدب، وكان حسن المحاضرة مليح الأخبار كثير النوادر، وتوفي سنة ٢٨٥هـ.

ثم يقولون: «إن عبدَ الله قائم» ثم يقولون: «إن عبد الله لقائم» فالألفاظ مكررة والمعنى واحد؛ فقال أبو العباس: بل المعاني مختلفة، فالأول إخبارٌ عن قيامه، والثاني جواب عن سؤال، والثالث رَدٌّ على منكر.

كذلك يوجب علم المعاني أن يخاطب كل إنسان على قدر استعداده في الفهم ونصيبه من اللغة والأدب فلا يُجيزُ أن يخاطب العاميُّ بما يخاطبُ به الأديب الْمُلِمُّ بلغة العرب وأسرارها.

قال بعضهم لبشار بن بُرْدٍ: إنك لَتَجيءُ بالشيءِ الهجين المتفاوت؛ قال: وما ذاك؟ قال: بينما تثير النقْع وتخْلعُ القلوب بقولك:

إذا ما غضِبْنَا غَضْبةً مُضَرِيةً ... هتكْنا حِجاب الشمس أو تُمْطِرَ الدَّمَا
إذا ما أعرْنَا سيِّداً مِنْ قَبيلَةٍ ... ذُرا مِنْبَرٍ صلَّى علَيْنَا وسلَّما

نراك تقول:

ربابةُ ربَّةُ البيْتِ ... تصُبُّ الخلَّ في الزَّيْتِ
لَهَا عشْرُ دجاجاتٍ ... ودِيكٌ حسَنُ الصَّوْت

فقال بشار: لكلٍّ وجْهٌ وموضع؛ فالقول الأول جدٌّ، والثاني قلتُه في ربابة جاريتي، وأنا لا آكل البيْض من السوق، وربابة لَهَا عشر دجاجات وديكٌ فهي تجمع لي البيض، فهذا القول عندها أحْسنُ من «قِفا نَبك مِنْ ذكرى حبيب ومنْزِلِ» عندك!

وكثيراً ما تجد الشاعر يسْهُلُ أحْياناً ويلين حتى يُشبه شعره لغة الخطاب، ويخشُن آونة ويصلُب حتى كأنه يقذفك بالجَلْمَد، كل ذلك على حسب موضوعه الذي يقول فيه والطبقة التي يُنشدها شعرَه. ومن خير الأمثلة لهذا النوع أبو نواس، فإنه في خمرياته غيرُه في مدائحه ووصفه.

واعتبر هذا الأصل بما كان من النبي ﷺ، فإنه لما أراد أن يَكتب إلى مَلك فارس اختار أسهل الألفاظ وأوضحها فقال:

«من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس سلامٌ على مَن اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله، وأدعوكَ بدِعايةِ الله، فإني أنا رسول الله إلى الخلق كافَّة لينذر مَن كان حيًّا ويحِق القولُ على الكافرين، فأسلمْ تسلم، فإن أبيْتَ فإثم المجوس عليك».

وحين أراد أن يكتب إلى أُكَيْدِر صاحبِ دومةِ الجنْدل فَخَّم الألفاظ وأتى بالجزْل النادر فقال:

«من محمد رسول الله لأُكيْدِر حين أجاب إلى الإسلام وخلَع الأنداد والأصنام، إن لنا الضَّاحيةَ[١] من البَعْل[٢] والبُور[٣] والمَعامَى[٤] وأغفالَ الأرض[٥] والْحَلْقةَ[٦] والسلاح، ولكم الضَّامِنَةُ من النَّخل[٧] والمعين[٨] من المعمور، لا تُعْدل سارِحَتُكم[٩] ولا تُعَدُّ فاردَتُكم[١٠] ولا يُحْظَرُ عليكم النَّبات، تقيمون الصلاة لوقتها وتؤدون الزكاة، عليكم بذلك عهد الله وميثاقه».

وتكون مطابقة الكلام لمقتضى الحال أيضاً فيما يتصرف فيه القائل من إيجاز وإطناب: فللإيجاز مواطنه، وللإطناب مواقعه، كل ذلك على حسب حال السامع وعلى مقتضى مواطن القول؛ فالذكيّ الذي تكفيه اللَّمحة يحسن له الإيجاز، والغبيّ أو المكابر يجمل عند خطابه الإطناب والإسهاب.

وإذا تأملت القرآن الكريم رأيته إذا خاطب العرب والأعراب أوجز كلّ الإيجاز، وأخرج الكلام مخرج الإشارة والوحْي، وإذا خاطب بني إسرائيل أو حكى عنهم أسهب وأطنب فمما خاطب به أهل مكة قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾.

وقَلما تَجدُ خِطاباً لبني إسرائيل إلّا وهُو مسهب مطوّلٌ، لأن يهودَ المدينة كانوا يرون أنفسهم أهل علم وأهل كتاب فتجاوزوا الحد في المكابرة والعناد، وقد يكون القرآن الكريم نزّلهم منزلة قصار العقول فأطنب في الحديث إليهم، ويشهد لهذا الرأي ما حكاه عنهم وعن مقدار معرفتهم بما في أسفارهم.

---

(١) الضاحية (من النخل): النخلة الظاهرة البارزة الخارجة عن أسوار المدينة والعمران.
(٢) البعل: النخل الراسخة عروقه في الأرض.
(٣) البور: الأرض الخراب التي لم تزرع.
(٤) المعامي: جمع معمى وهي الأراضي المجهولة.
(٥) أغفال الأرض: الأراضي التي لا أثر للعمارة فيها.
(٦) الحلقة بسكون اللام: السلاح عاماً.
(٧) الضامنة من النخل: ما كان داخلاً في العمارة وأطاف بها سور المدينة.
(٨) المعين: الماء الجاري على وجه الأرض وقيل الماء العذب الكثير.
(٩) لا تعدل سارحتكم. السارحة: الماشية، يريد أن ماشيتهم لا تصرف عن مرعى تريده.
(١٠) لا تعد فاردتكم. الفاردة: الزائدة على الفريضة، يقول: لا تضم فاردتكم إلى غيرها فتعد معها وتحسب.

وللإيجاز مواطن يحسن فيها، كالشكر والاعتذار والتعزية والعتاب إلى غير ذلك، وللإطناب مواضع كالتهنئة والصلح بين فريقين والقَصص والخطابة في أمر من الأمور العامة، وللذوق السليم القولُ الفصل في هذه الشؤون.

* * *

أما الأمر الثاني الذي يبحث فيه عِلْم المعاني فهو دراسة ما يستفاد من الكلام ضمناً بمعونة القرائن، فإنه يريك أن الكلام يفيد بأصل وضعه معنًى ولكنه قد يؤدي إليك معنى جديداً يُفهم من السياق وترشد إليه الحال التي قيل فيها، فيقول لك إن الخبر قد يفيد التحسُّر، والأمر قد يفيد التعجيز، والنهي قد يفيد الدعاء، والاستفهام قد يفيد النفي، إلى غير ذلك مما رأيته مفصَّلًا في هذا الكتاب.

ويقول لك إن الخبر قد يلقى مؤكداً لخالي الذهن، وقد يلقى غير مؤكد للمنكر الجاحد، لغرض بلاغي بديع، أراده المتكلم من الخروج عما يقتضيه ظاهر الكلام.

ويرشدك علمُ المعاني إلى أن القصر قد ينحو فيه الأديب مناحيَ شتى، كأن يتجه إلى القصر الإضافي رغبةً في المبالغة، فيقول المتفائل:

وما الدنيا سِوَى حُلمٍ لذيذ ... تُنَبِّهُهُ تَباشِيرُ الصَّباح

ويقول المتشائم:

هل الدَّهرُ إلّا لَيْلَةٌ طال سُهْدُها ... تَنفَّسُ عنْ يوْمٍ أحمَّ عصِيب

وقد يكون من مرامي القصر التعريضُ كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ إذ ليس الغرض من الآية الكريمة أن يعلم السامعون ظاهر معناها، ولكنها تعريض بالمشركين وأنهم لفرط عنادهم وغلبة الهوى عليهم في حكم مَن لا عقل له.

ويَهديك علم المعاني إلى أن من أغراض الفصل في بعض أنواعه تقريرَ المعنى وتثبيته في ذهن السامع، كما في الفصل لكمال الاتصال وشبهه.

ولعل في هذه الكلمة الموجزة مَقنعاً في بيان ما لعلم المعاني من الأثر في بلاغة الكلام، وما يُمَدُّ به الناشىء في الأدب من أساليب، وما يرسمُ له من طريق لحسن تأليفها واختيار الأحوال والمواطن التي تقال فيها.

علم البديع

عرفتَ فيما سبق أن علم البيان وسيلة إلى تأدية المعنى بأساليبَ عدة بين تشبيه ومجاز وكناية، وعرفت أن دراسة علم المعاني تُعِينُ على تأْدية الكلام مطابقاً لمقتضى الحال، مع وفائه بغرض بلاغيٍّ يفْهمُ ضمناً من سياقه وما يُحيط به من قرائن.

وهناك ناحية أُخرى من نواحي البلاغة، لا تتناول مباحث علم البيان، ولا تنظر في مسائل علم المعاني، ولكنها دراسة لا تتعدى تزيين الألفاظ أو المعاني بألوان بديعة من الجمال اللفظي أو المعنويّ، ويسمى العلمُ الجامع لهذه المباحث بعلم البديع. وهو يشتمل كما أشرنا على محسناتٍ لفظية، وعلى محسنات معنوية، وإنا ذاكرون لك من كل قسم طرفاً.

المحسِّناتُ اللفظيَّة

(١) الجنَاس

الأمثلة:

١ ـ قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ﴾.

٢ ـ وقال الشاعر في رثاءِ صغير اسمه يَحْيَى:

وَسَمَّيْتُهُ يَحْيَى لِيَحْيَا فَلَمْ يَكُنْ   إلى رَدِّ أَمْرِ اللهِ فيهِ سَبيلُ

* * *

٣ ـ وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠﴾.

٤ ـ وقال ابن الفارض[١]:

هَلَّا نَهَاكَ نُهَاكَ عَنْ لَوْمِ امْرِىءٍ   لَمْ يُلْفَ غَيْرَ مُنَعَّمٍ بِشَقَاءِ[٢]

---

(١) هو أبو حفص عمر بن علي بن مرشد، أشعر المتصوفين، أصله من حماة، ومولده في القاهرة، وله ديوان شعر، وتوفي بمصر سنة ٦٣٢هـ وقبره معروف يزار.

(٢) النهى: جمع نهية وهي العقل، ويلفى: يوجد.

٥ ـ وقالت الخنساءُ من قصيدة تَرْثي فيها أخاها صخراً:

إنَّ الْبُكاء هُوَ الشِّفَا ءُ مِنَ الجَوَى بَيْنَ الْجَوانِح[١]

٦ ـ وقال تعالى حكايةً عن هَارون يخاطب موسى: ﴿خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾.

البحث:

تأمل الأمثلة السابقة تجد في كل مثال كلمتين تجانس إحداهما الأخرى وتشاكلها في اللفظ مع اختلاف في المعنى؛ وإيرادُ الكلام على هذا الوجه يسمى جناساً.

ففي المثال الأول من الطائفة الأولى تجد أن لفظ «الساعة» مكررٌ مرتين، وأن معناه مرةً يومُ القيامة، ومرةً إحدى الساعات الزمانية، وفي المثال الثاني ترى «يَحْيى» مكرراً مع اختلاف المعنى. واختلاف كل كلمتين في المعنى على هذا النحو مع اتفاقهما في نوع الحروف وشكلها وعددها وترتيبها يُسمى جناساً تامًّا.

وإذا تأمَّلتَ كلَّ كلمتين متجانستين في الطائفة الثانية رأيت أنهما اختلفتا في ركن من أركان الوفاق الأربعة المتقدمة، مثل تقْهرْ وتَنْهَرْ، ونَهاكَ ونُهَاكَ. والجَوَى والْجوانح، وبيْن وبَنى، على ترتيب الأمثلة، ويُسمى ما بين كل كلمتين. هنا من تجانس جناساً غير تام.

والجناس في مذهب كثير من أهل الأدب غير محبوب؛ لأنه يؤدي إلى التعقيد، ويَحول بين البليغ وانطلاق عِنانه في مِضْمار المعاني، اللهم إلا ما جاء منه عفواً وسَمحَ به الطبع من غير تكلف.

القاعدة

(٦٨) الجِنَاسُ أن يَتَشَابَهَ اللفظانِ في النُّطْق وَيَخْتَلِفَا في الْمَعْنى. وهُو نَوْعان:

أ ـ تَامٌّ: وهو ما اتُّفِقَ فيه اللفظان في أُمورٍ أربعةٍ هيَ: نَوْعُ الحُروفِ، وشَكلُهَا، وعَدَدُها، وتَرْتيبُها.

ب ـ غَيْرُ تَامٍّ: وهو ما اخْتَلَفَ فيه اللفظان في واحدٍ مِنَ الأُمُور الْمُتَقَدِّمَة.

---

(١) الجوى: الحرقة وشدة الوجد، الجوانح: الأضلاع التي تحت الترائب وهي مما يلي الصدر كالضلوع مما يلي الظهر، والواحدة جانحة.

تمرينات

(١)

في كل مثال من الأمثلة الآتية جناس تام، فبيّن موضعه:

١ ـ قال أبو تمام:

مـا مـات مِـنْ كـرمِ الـزمـان فـإنّـه ... يـحْـيـا لَدى يـحْـيـى بْـنِ عـبـد الـلّهِ

٢ ـ قال أبو العلاءِ المعري:

لَمْ نـلْقَ غَـيْـرَكَ إنْـسـانـاً يُـلاذُ بـهِ ... فَلا بـرحْـتَ لِعيْـنِ الـدهْـر إنْـسـانـا[١]

٣ ـ وقال البُسْتِيّ:

فَـهِـمْـتُ كِـتَـابَـك يـا سَـيِّـدِي ... فَـهِـمْـتُ ولَا عَـجَـبٌ أنْ أهِـيـمَـا

٤ ـ وقال يمدح:

بـسَـيْـفِ الـدَّوْلَـةِ اتّـسَـقَـتْ أُمُـورٌ ... رأيْـنَـاهـا مُـبَـدَّدَةَ الـنِّـظَـامِ[٢]

سَـمَـا وحَـمَـى بَـنِـي سَـامٍ وحـامٍ ... فَـلـيْـس كَـمِـثْـلِهِ سَـامٍ وحَـامِ

٥ ـ وقال أبو نُواس:

عـبّـاسُ عـبّـاسٌ إذَا احـتَـدَم الـوغَـى ... والـفَـضْـلُ فَـضْـلٌ والـرّبـيـعُ ربـيـعُ[٣]

(٢)

في كل مثال من الأمثلة الآتية جناس غير تام، فوضّحه وبيّن لمَ كان غير تام؟

١ ـ قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِۦ﴾[٤].

---

(١) يلاذ به: يلجأ إليه، وإنسان العين: المثال الذي يرى في السواد.

(٢) اتسقت: انتظمت.

(٣) عباس في أول البيت هو عباس بن الفضل الأنصاري، قاض من رجال الحديث، ولي قضاء الموصل في عهد الرشيد وتوفي بها سنة ١٨٦هـ، وكلمة عباس الثانية صيغة مبالغة من عبس وجهه إذا كلح وتجهم. والفضل الأول هو الفضل بن الربيع بن يونس وزير الرشيد ثم وزير الأمين، والفضل الثاني الشرف والرفعة. والربيع الأول هو الربيع بن يونس وزير المنصور العباسي، والربيع الثاني الخصب والنماء.

(٤) يقول: إذا جاء ضعفاء الإيمان نبأ نصر أو هزيمة أفشوه ونشروه.

٢ ـ وقال تعالى: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْءَوْنَ عَنْهُ﴾.

٣ ـ وقال ابن جُبيْر الأندلسي[١]:

فَيا راكِبَ الوجْناءِ هل أَنت عالِمٌ   فِداؤُكَ نَفْسِي كيْفَ تلكَ المَعالِمُ[٢]

٤ ـ وقال الحريري[٣] يصِفُ هُيام الجاهل بالدنيا:

ما يسْتَفِيقُ غراماً   بها وفَرْط صَبَابَهْ[٤]
ولَوْ درى لَكَفاهُ   مِمَّا يَرُوم صُبابَهْ[٥]

٥ ـ وقال عبد الله بن رواحة[٦] يمدح النَّبيَّ ﷺ، وقيل إنه أمدح بيت قالته العرب:

تحْمِلهُ النَّاقةُ الأدْماءُ مُعْتَجِراً   بالبُرْدِ كالبدْرِ جلّى نُورُهُ الظُّلَمَا[٧]

(٣)

بيّن مواضع الجناس فيما يأتي وبيّن نوعه في كل مثال:

١ ـ قال البحتري في مطلع قصيدة:

هلْ لِما فات مِنْ تَلَاقٍ تلَافي   أمْ لِشاكٍ مِنَ الصَّبابةِ شافي

٢ ـ وقال النابغة في الرثاء:

فَيا لَك مِنْ حزْمٍ وعزْمٍ طَواهُما   جدِيدُ الرَّدَى بيْن الصَّفا والصَّفائح[٨]

---

(١) رحالة عنى بالأدب وبلغ الغاية فيه، وتقدم في صناعة القريض والكتابة، وأولع بالأسفار، ومات بالإسكندرية سنة ٦١٤هـ.

(٢) الوجناء: الناقة الشديدة.

(٣) هو أبو عبد الله محمد القاسم صاحب المقامات الحريرية، كان أحد أئمة عصره ورزق الحظوة التامة في عمل المقامات. ومن عرفها حق المعرفة استدل بها على فضل الرجل وغزارة مادته وكثرة اطلاعه. وله غيرها تآليف حسان، توفي بالبصرة سنة ٥١٠هـ.

(٤) الصبابة بالفتح: حرارة الشوق.

(٥) الصبابة بالضم: بقية الماء في الإناء.

(٦) صحابي جليل وشاعر من الشعراء الراجزين، شهد غزوات كثيرة، واستخلفه النبي ﷺ على المدينة في إحدى غزواته، ومات سنة ٨هـ.

(٧) الناقة الأدماء: الشديدة البياض، والمعتجر: الملتف، وجلى: كشف.

(٨) الصفا: الحجارة، الواحدة صفاة، والصفائح: حجارة رقاق تبلط بها الدور وتسقف بها القبور.

٣ ـ وقال البحتري:

نَسِيمُ الرَّوضِ في رِيحِ شَمالٍ وصَوْبُ المُزْنِ في راحٍ شَمُولِ[1]

٤ ـ وقال الحريري: لا أُعْطي زمامِي مَن يُخْفِرُ ذِمامِي[2]، ولا أَغْرِسُ الأَيادِي في أَرض الأَعادي.

٥ ـ وقال: لهم في السيرِ جرْيُ السَّيْل، وإلى الخَيْر جَرْي الخيل.

٦ ـ قال البحتري:

فَقِفْ مُسْعِداً فِيهِنَّ إنْ كُنْتَ عاذِراً وسِرْ مُبْعِدا عنْهُنَّ إن كنتَ عاذِلا

٧ ـ وقال أبو تمام:

بيضُ الصفَائحِ لا سُودُ الصَّحائِفِ في مُتُونِهِنَّ جلاءُ الشَّكِّ والرِّيَبِ[3]

٨ ـ وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ۝٧٥﴾[4].

٩ ـ وقال عليه الصلاة والسلام: «الخيلُ معقودٌ بنواصيها الخيْر»[5].

١٠ ـ وقال حسان بن ثابت رضي الله عنه:

وكنّا متى يغْزُو النبيُّ قبيلة نَصِلْ جانِبَيْهِ بالقَنا والقَنابِلِ[6]

١١ ـ وقال أبو تمام:

يمدُّونَ مِنْ أيْدٍ عواصٍ عواصمٍ تصُولُ بأسيافٍ قواضٍ قواضِبِ[7]

١٢ ـ لا تُنالُ الغُرَرُ إلاّ بركوب الغرَر[8].

---

(١) الصوب: نزول المطر، والمزن: جمع مزنة وهي السحابة البيضاء، والراح: الخمر، والشمول: الخمر تنفحها ريح الشمال، يصف البحتري بذلك أخلاق ممدوحه.

(٢) يخفر ذمامي: ينقض عهدي.

(٣) بيض الصفائح: كناية عن السيوف، وسود الصحائف: الكتب، ومتن السيف: حده.

(٤) المرح: شدة الفرح.

(٥) النواصي: جمع ناصية وهي مقدم الرأس.

(٦) القنا: جمع قناة وهي الرمح.

(٧) عواص: جمع عاصية من عصاه ضربه بالسيف أو العصا، وعواصم: مَن عصمه إذا حفظه وحماه، وقواض من قضى عليه إذا حكم، وقواضب: من قضبه إذا قطعه.

(٨) الغرر: بالضم جمع غرة، وغرة كل شيء أوله، والغرر بفتحتين: الخطر.

(٤)

هات مثالين من إنشائك للجناس التام، ومثالين آخرين لغير التام، وراع ألّا يظهر في كلامك أثر للتكلف.

(٥)

إشرح قول أبي تمام وبيّن نوع الجناس الذي فيه:

ولَمْ أرَ كالْمعْرُوف تُدْعَى حُقُوقُهُ مغارِمَ في الأقوام وهْيَ مغانم[١]

(٢) الاقْتِباس

الأمثلة:

١ - قال عبد المؤمن الأصفهانيّ[٢]: لاَ تَغُرَّنَّكَ مِنَ الظَّلَمَةِ كثرةُ الجيوش والأنصار ﴿يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ[٣] فِيهِ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾.

٢ - وقال ابن سناء المُلك[٤]:

رَحَلُوا فَلَسْتُ مُسَائِلًا عَنْ دَارِهِمْ أَنَا «بَاخِعٌ نَفْسِي عَلَى آثَارِهِمْ»[٥]

٣ - وقال أبو جعفر الأندلسيُّ[٦]:

---

(١) المغارم: جمع مغرم وهو ما يلزم أداؤه، والمغانم: جمع مغنم وهو الغنيمة.

(٢) أديب مشهور متصوف وله كتاب يدعى أطباق الذهب رتبه على مائة مقالة عارض بها الزمخشري.

(٣) يقال شخص بصره إذا فتح عينيه وجعل لا يطرف.

(٤) هو القاضي السعيد هبة الله، كان من الرؤساء النبلاء، وكان واسطة العقد في مجالس الشعراء بمصر وهو أول مَن استكثر من الموشحات وأجاد فيها من المشارقة، وله ديوان شعر، وتوفي بالقاهرة سنة ٦٠٨هـ.

(٥) بخع نفسه: قتلها غمًّا.

(٦) أديب قوي الإدراك، أجاد في فني النظم والنثر، وجرت له مع لسان الدين بن الخطيب مباحثات ومراسلات، وله ديوان شعر، وتوفي نحو سنة ٧٧٢هـ.

لَا تُـعَـادِ الـنـاسَ فـي أَوْطـانـهِـمْ قَـلَّمَـا يُـرْعَـى غـريـبُ الـوطـن[١]
وَإِذَا مَـا شِـئْـتَ عَـيْـشـاً بَـيْـنَـهُـمْ «خَـالِقِ الـنـاسَ بـخُـلُقٍ حَـسَـنٍ»

البحث:

العبارتان اللتان بين الأقواس في المثالين الأولين مأخوذتان من القرآن الكريم، والعبارة التي بين قوسين في المثال الثالث من الحديث الشريف، وقد ضمَّن الكاتب أو الشاعر كلامه هذه الآثار الشريفة من غير أن يُصرِّح بأنها من القرآن أو الحديث وغرضه من هذا التضمين أن يستعيرَ من قوتها قوة، وأن يكشف عن مهارته في إحكام الصلة بين كلامه والكلام الذي أخذه، وهذا النوع يسمى اقتباساً؛ وإذا تأملتَ رأيتَ أن المُقْتَبِس قد يُغيِّر قليلًا في الآثار التي يَقْتَبِسُها كالمثال الثاني إذ الآية: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ﴾.

القاعدة

(٦٩) الاقْتِباسُ تَضْمِينُ النَّثْر أو الشِّعْر شَيْئاً مِنَ الْقُرْآن الكريم أو الحديثِ الشريفِ مِنْ غَيْر دلالةٍ عَلَى أَنَّهُ منهما، ويَجُوز أَنْ يُغَيَّرَ في الأَثَر الْمُقْتَبِس قَليلاً.

تمرينات

(١)

بيِّن في كل اقتباس مما يأتي حُسْن تأتِّي البليغ في إحكام الصلة بين كلامه والكلام المُقتبَس:

١ ـ اغتنم فودَك[٢] الفاحم[٣] قبل أن يبْيضّ، فإنما الدُّنيا «جدارٌ يريد أن ينقض»[٤].

٢ ـ وكتب القاضي الفاضل[٥] في الرد على رسالة:

---

(١) يرعى غريب الوطن: أي يلحظ بالإحسان.

(٢) الفود: معظم شعر الرأس مما يلي الأذن.

(٣) الفاحم: الأسود.

(٤) ينقض: يسقط.

(٥) كاتب من أئمة الكتاب، كان من وزراء السلطان صلاح الدين ومن مقربيه، وقد اشتهر بسرعة الخاطر في الإنشاء، وله طريقة في الكتابة عمادها السجع والتورية تعرف بالطريقة الفاضلية، حاكاه فيها مَن جاء بعده من الأدباء، ولد بعسقلان، وتوفي بالقاهرة ٥٩٦هـ.

وردَ على الخادمِ الكتابُ الكريمُ فشكره ﴿وَقَرَّبْنَهُ نَجِيًّا﴾[١] ورفعه ﴿مَكَانًا عَلِيًّا﴾ وأعاد عليه عصر الشباب ﴿وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا﴾[٢].

٣ ـ وقال في حمام الزّاجل:

وقد كادت أن تكونَ من الملائكةِ فإذا نيطَتْ بها الرّقاع[٣] صارت ﴿أُوْلِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾.

٤ ـ ومن كتاب لمُحْيي الدين عبد الظاهر[٤]:

لا عدِمتِ الدولة بيضَ سيوفهِ التي «يَرى بها الَّذِين كَذَبُوا على الله وجُوهَهمْ مُسْودَّة».

٥ ـ وقال الصاحب[٥]:

أقُــولُ وقــدْ رأيْــتُ لَهُ سَــحــابــاً	مِـن الــهــجْــرَان مُـقْـبِـلَـةً عـلـيْـنَـا
وقَـد سـحَّـتْ غَـوادِيـهـا بِـهَـطْـلٍ	«حـواليْـنَـا» الـصُّـدُودُ «ولا عـلـينـا»[٦]
٦ ـ رُب بـخـيـل لَـوْ رأى سـائِـلاً	لَظَـنَّـهُ رُغْـبـاً رسُـولَ الـمـنُـونْ
لَا تـطْـمـعُـوا فـي الـنَّـزْرِ مـن نَـيْـله	«هـيْـهـات هـيْـهَـاتَ لـمـا تُـوعـدون»

(٢)

إقتبس الآيات الكريمة الآتية مع إجادة الاقتباس وإحكامه:

١ ـ ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾.

٢ ـ ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾.

٣ ـ ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

٤ ـ ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾.

٥ ـ ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾.

---

(١) النجي: الذي تساره، ومعنى قربه نجياً: جعله مناجياً.

(٢) عتياً: مصدر عتا الشيخ إذا كبر وولى.

(٣) نيطت بها الرقاع: علقت في أعناقها الرسائل.

(٤) كان من أعظم الكتاب المقدمين في دولة المماليك، ويمتاز ببراعته في كتابة الدواوين في ذلك العصر، ولد سنة ٦٢٠هـ وتوفي سنة ٦٩٢هـ.

(٥) وزير غلب عليه الأدب، فكان من نوادر الدهر علماً وفضلاً وتدبيراً، استوزره مؤيد الدولة بن بويه الديلمي، وشعره عذب رقيق، وتوقيعاته آية الإبداع في الإنشاء، وتوفي سنة ٣٨٥هـ.

(٦) سح المطر: سال، والغوادي: السحب تنشأ صباحاً جمع غادية، والهطل: تتابع المطر وسيلانه، يقول: جاءت سحبه بمطر متتابع.

(٣)

صُغ عباراتٍ تَقْتَبِس في كلٍّ منها حديثاً من الأحاديث الشريفة الآتية مع العناية بحسن وضعها:

١ ـ كلُّ معروفٍ صدقةٌ.

٢ ـ إذا لم تَسْتَحْيِ فاصنعْ ما شِئْتَ.

٣ ـ الظلمُ ظلماتٌ يومَ القيامة.

٤ ـ الأرْواح جُنُودٌ مجنَّدة.

(٤)

اشرح قولَ ابن الرُّومي في الهجاء وبيِّن حسن الاقتباس فيه:

لئن أخْطأتُ في مدْحِيـ ـكَ ما أخْطأتَ في منْعي

لَقدْ أنزلتُ حاجاتي «بوادٍ غيْرِ ذي زَرْعِ»

(٣) السَّجع

الأمثلة:

١ ـ قال ﷺ: «اللهمّ أَعْطِ مُنْفِقاً خَلَفاً، وأَعْطِ مُمْسِكاً تَلَفاً».

٢ ـ وقال أعرابي ذَهَبَ بابنه السَّيْل: اللهُمَّ إِنْ كنتَ قَدْ أَبْلَيْتَ، فَإِنَّكَ طَالَمَا قَدْ عَافَيْتَ.

* * *

٣ ـ الحُرُّ إِذَا وَعَدَ وَفَى، وَإِذَا أَعَانَ كَفَى، وَإِذَا مَلَكَ عَفَا.

البحث:

إذا تأملت المثالين الأولين وجدت كلًّا منهما مركباً من فِقْرتَين متحدتَين في الحرف الأخير، وإذا تأملت المثال الثالث وجدته مركباً من أكثر من فقرتَين متماثلتين في الحرف

الأخير أيضاً، ويسمى هذا النوع من الكلام سجعاً[١]. وتسمى الكلمة الأخيرة من كل فقرة فاصلة، وتُسكَّن الفاصلةُ دائماً في النثر للوقف.

وأفضل السجع ما تساوت فِقَرُه، ولا يحسنُ السجعُ إلّا إذا كان رصين التركيب، سليماً من التكلُّف، خالياً من التكرار في غير فائدة، كما رأيت في الأمثلة.

القاعدة

(٧٠) السَّجْعُ تَوَافُقُ الْفَاصِلَتَيْن في الْحَرْفِ الأَخِير[٢]، وأَفْضَلُهُ ما تَسَاوَتْ فِقَرُهُ.

تمرينات

(١)

بيّن السجع في الأمثلة الآتية، ووضّح وجوه حسنه:

١ - قال ﷺ: «رحِم اللّهُ عبْداً قال خَيْراً فغنم، أوْ سكتَ فسلِم».

٢ - وقال الثعالبيّ[٣]: الحِقْدُ صدأُ القلوب، واللّجاجُ سببُ الحروب[٤].

٣ - وقال الحريري: ارتفاع الأخطار، باقتحام الأخطار[٥].

٤ - وقال بعض البلغاء: الإنسانُ بآدابه، لا بزيِّه وثيابه.

٥ - وقال أعرابي لرجل سأل لئيماً: نَزَلْتَ بوادٍ غَيْرِ ممْطورٍ، وفناءٍ غَيْر معمور، ورجُلٍ غير ميْسور، فأقِمْ بندم. أو ارتحل بعدم.

٦ - وقال أعرابي: باكَرَنا وسْميٌّ[٦]، ثم خَلَفه وليٌّ[٧]، فالأرضُ كأنها وشْيٌ[٨]

---

(١) تشبيهاً له بسجع الحمامة إذا هدرت.

(٢) السجع موطنه النثر، وقد يجيء في الشعر كقول أبي الطيب:

فنحن في جذل والروم في وجل ... والبر في شغل والبحر في خجل

(٣) هو أبو منصور النيسابوري، والثعالبي نسبة إلى خياطة جلود الثعالب وعملها، وكان واحد عصره في العلم والأدب، وله تآليف كثيرة منها فقه اللغة ويتيمة الدهر، وشعره جيد، وتوفي سنة ٤٢٩هـ.

(٤) اللجاج: التمادي في الخصومة.

(٥) خطر الرجل: قدره ومنزلته، والخطر أيضاً: الإشراف على الهلاك، يقول: ارتفاع قدر الإنسان إنما يكون باقتحام المخاوف والمهالك.

(٦) الوسمي: مطر الربيع الأول لأنه يسم الأرض بالنبات.

(٧) الولي: المطر الثاني.

(٨) الوشي: نوع من الثياب ذو ألوان.

منْشور، عليه لؤلؤ منثور، ثم أتتنا غيوم جراد، بمناجل[١] حصاد، فَجَردت[٢] البلاد، وأهلكت العباد، فسبحان مَن يُهلك القويَّ الأكول بالضعيف المأكول.

(٢)

١ - إقرأ الرسالة الآتية، وبيّن جمال السجع فيها، ثم حُلّها وابْنها بناءً آخر لا سجع فيه. كتبَ ابن الرومي إلى مريض:

أذنَ الله في شفائِك، وتَلقّى داءك بدوائك، ومسح بيدِ العافية عليك، ووجَّه وفد السلامةِ إليك، وجعل عِلّتَك ماحيةً لذنوبك، مضاعفة لمثوبتك.

٢ - تفهّم ما يأتي وهو مما يُنسب إلى علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه، ثم حُله وابْنِه بناءً آخر مسجوعاً:

اتق الله في كلّ صباح ومساء، وخَفْ على نفسك الدنيا الغَرُور، ولا تأمنها على حال. واعلم أنك إن لم تَرْدع نفسك عن كثير مما تحبُّ مخافة مكروهه، سمتْ بكَ الأهواءُ إلى كثيرٍ من الضرر.

(٣)

بيّن أمِن المسجوع أم مِن المُرسل ما يأتي ووضّح السبب:

كتب هشام[٣] لأخيه وكان أظهر رغبته في الخلافة:

أما بعد، فقد بلغني اسْتِثْقالُك حياتي، واستبطاؤك مماتي، ولعَمْري إنك بعدي لواهي الْجَناح، أجْذَمُ الكفّ، وما استوجبتُ منك، ما بلغني عنك.

---

(١) المناجل: جمع منجل وهو ما يحصد به.

(٢) جردت البلاد: جعلتها قاحلة جرداء.

(٣) أحد ملوك الدولة الأموية في الشام، اجتمع في خزائنه من المال ما لم يجتمع في خزانة أحد من ملوك بني أمية، وتوفي سنة ١٢٥هـ.

المحسنات المعنوية

(١) التَّوْرية

الأمثلة:

١ ـ قال سِرَاجُ الدين الوَرّاق[١]:

أصُونُ أديمَ وجهي عَنْ أُناس لِقاءُ الموتِ عِنْدَهُم الأديبُ
وَرَبُّ الشعر عندهُمُ بَغِيضٌ وَلَوْ وَافَى بِهِ لَهُمُ «حَبيبُ»

٢ ـ وقال نَصِيرُ الدين الحَمّامي[٢]:

أبْيَاتُ شِعْرِكَ كالقُصُـ ـورِ ولا قُصُورَ بِهَا يَعُوقْ[٣]
ومِنَ العجائِبِ لَفْظُها حُرٌّ ومعناها «رَقيقْ»

٣ ـ وقال الشّابُ الظريف[٤]:

تَبَسَّم ثَغْرُ اللَّوْز عَنْ طيبِ نَشْرِهِ وأقْبَلَ في حُسْنٍ يَجِلُّ عَن الوصْفِ
هَلُمُّوا إليه بَيْنَ قَصْفٍ ولَذَّةٍ فإنَّ غصونَ الزَّهْر تَصْلُحُ «للقَصْفِ»

---

(١) شاعر مصري رقيق، برع في التورية وغيرها من أنواع البديع، وله شعر كثير جيد، ولد سنة ٦١٥هـ ومات سنة ٦٩٥هـ.

(٢) كان يحترف باكتراء الحمامات بمصر، فلما كبرت سنه اقتصر على الاستجداء بالشعر، وشعره يدل على نبوغ وعبقرية، مات سنة ٧١٢هـ.

(٣) يعوق: أي يمنع من إدراك جمالها.

(٤) هو شمس الدين بن العفيف التلمساني، كان نابغة عصره، وقد فتن بشعره لرقته وجماله الفني، ولد سنة ٦٦٢هـ ومات سنة ٦٨٧هـ فكانت حياته خمساً وعشرين سنة.

البحث:

كلمة «حَبيب» في المثال الأول لها معنيان: أحدهما المحبوب وهو المعنى القريب الذي يتبادر إلى الذهن بسبب التمهيد له بكلمة «بغيض»، والثاني اسم أبي تمام الشاعر وهو حبيبُ بنُ أوْس، وهذا المعنى بعيد، وقد أراده الشاعر ولكنه تَلطف فورّى عنه وستره بالمعنى القريب. وكلمة «رقيق» في المثال الثاني لها معنيان: الأول قريب متبادر وهو العبد المملوك وسببُ تبادُره إلى الذهن ما سبقه من كلمة «حُرّ»، والثاني بعيد وهو اللطيف السهل. وهذا هو الذي يريده الشاعر بعد أن ستَرَه في ظل المعنى القريب. وكلمة «القَصْفِ» في المثال الثالث معناها القريب الكسْر، بدليل تمهيده لهذا المعنى بقوله: «فإن غصون الزهر» ومعناها البعيد اللعب واللهو، وهذا هو المعنى الذي قصد إليه الشاعر بعد أن احتال في إخفائه ويسمى هذا النوع من البديع تورية، وهو فنٌّ بَرَعَ فيه شعراء مصر والشام في القرن السابع والثامن من الهجرة، وأتوْا فيه بالعجيب الرائع الذي يدل على صفاءِ الطبع والقدرة على اللعب بأساليب الكلام.

القاعدة

(٧١) التَّوْرِيَةُ أنْ يَذْكُرَ المتكلِّمُ لَفظاً مُفْرَداً له مَعْنَيانِ، قَرِيبٌ ظاهِرٌ غَيْرُ مُرَادٍ، وَبَعيدٌ خَفِيٌّ هُوَ المُرادُ.

تمرينات

(١)

إشرح التورية في كلّ مثال من الأمثلة شرحاً وافياً:

١ ـ قال سراجُ الدين الورّاق:

كَمْ قَطَعَ الْجُنُودُ من لِسان ... قَلَّدَ مِنْ نَظْمِهِ النُّحُورا
فَهَا أنَا شاعِرٌ سِراجٌ ... فاقْطَعْ لِساني أزِدْكَ نُورا[1]

٢ ـ وقال:

يا خَجْلَتي وصحائِفي سودٌ غَدتْ ... وصحائِفُ الأبْرار في إشْراق

(١) قطع لسان الشاعر: أسكته بعطاياه عن هجائه، ولسان السراج: فتيله.

ومُـؤنّـب لي فـي الـقـيـامـةِ قـال لـي أَكـذا تـكـونُ صـحـائـفُ «الـورّاق؟»[١]

٣ ـ وقال أبو الحسين الجزار:

كـيْـفَ لا أشـكـرُ الـجـزارةَ مـا عِـشْـ ـتُ جِـفـاظـاً وأهْـجُـرُ الآدابـا؟
وبـهـا صـارتِ الْـكـلابُ تُـرجّـيـ ـني وبـالـشّـعْـر كُـنـتُ أرجُـو الـكـلابـا[٢]

٤ ـ وقال بدْرُ الدين الذهبيُّ:

رِفْـقـاً بـخِـلٍّ نـاصـحٍ أبْـلَيْـتَـهُ صَـدًّا وهَـجْـرا
وافـاكَ سـائـلُ دمْـعِـهِ فَـرددْتَـهُ فـي الـحـالِ نَـهْـرا[٣]

٥ ـ وقال:

يـا عـاذِلـي فـيـه قُـلْ لـي إذا بَـدا كَـيْـفَ أسْـلُو؟
يـمُـرُّ بـي كُـلَّ وقْـتٍ وكـلـمـا مَـرَّ يَـحـلُو

٦ ـ وقال:

وريـاضٍ وقـفَـتْ أشْـجـارُهـا وتـمشّـتْ نَـسْـمـةُ الـصُّـبْـحِ إلـيـهـا
طَـالـعـتْ أوْراقُـهـا شَـمْـسُ الـضُّـحـا بـعْـد أنْ وقّـعـتِ الـوُرْقُ عـلـيـهـا[٤]

٧ ـ وقال الشاب الظريف:

قَـامَـتْ حُـروبُ الـدهْـر مـا بـيـن الـرّيـاض الـسُّـنْـدُسِـيّـةْ
وأتَـتْ بـأجـمـعِـهـا لِـتَـغْـ ـزُوَ روْضَـةَ الـورْدِ الـجَـنِـيّـةْ
لـكـنـهـا انـكـسـرت لأنَّ الـوَرْد شَـوكَـتُـهُ قَـوِيّـةْ

٨ ـ وقال نصِيرُ الدِّين الحمّامِي:

جُـودُوا لِـنَـسْـجَـعَ بـالـمـديـ ـحِ عـلـى عُـلاكُـمْ سَـرْمَـدَا
فـالـطّـيْـرُ أحـسـنُ مـا تـغـ ـرِّدُ عِـنْـدمـا يـقَـعُ الـنّـدَى[٥]

---

(١) من معاني الوراق بائع الورق أو الكتب.
(٢) قد يراد بالكلاب مجازاً لئام الناس.
(٣) من معاني النهر أن يكون مصدر نهر ينهر بمعنى زجر.
(٤) الورق: جمع ورقاء وهي الحمامة، ووقعت قد يكون من التوقيع وهو كتابة الاسم في أسفل الكتاب.
(٥) من معاني الندى: الجود، وما يسقط من بلل آخر الليل.

٩ ـ وقال سراج الدين الورّاق:

وقـفْـتُ بـأطـلال الأحِـبَّـةِ سـائـلًا ودمْـعيَ يَـسْـقي ثَـمَّ عـهـدا ومعْـهَـدَا
ومِـنْ عـجـب أنّـي أُروّي دِيـارهُـمْ وحظِّي مِنها حين أسْألها الصَّدَى[1]

١٠ ـ وقال ابن الظاهر:

شُـكْـراً لِنَـسْـمـةِ أرْضِـكـم كـم بَـلَّغَـتْ عـنّـي تَـحِـيـهْ
لا غـرْوَ إنْ حـفِـظَـت أحـا ديـثَ الـهوى فـهـي الـذَّكِـيّـهْ[2]

١١ ـ وقال ابن نُباتَة المصري[3]:

والـنَّـهْـرُ يُـشْـبِـهُ مِـبْـرداً فِـلأجْـل ذَا يـجْـلُو الـصَّـدَى[4]

(٢)

لكل من الألفاظ الآتية أكثر من معنى، فاستعمل كل لفظ في مثال للتورية:
الجَد[5]. حكى. الراحة. القُصُور. عفا[6]. قَضَى[7]. الجُفُون[8].

(٣)

في أي شيء تُوافق التورية الْجِنَاسَ التام، وفي أي شيءٍ تخالفه؟ مثِّل بمثال للتورية، ثم حوِّله إلى الجناس التام.

(٤)

هل تستطيع أن تضع كلمة التورية في العبارات الآتية:
١ ـ اشتدَّ حزنُ الرياض على الربيع وجَمَدت. . .

---

(١) من معاني الصدى: الظمأ، وما يجيبك بمثل صوتك.
(٢) الذكي: سريع الفطنة أو ساطع الرائحة.
(٣) هو جمال الدين حمل لواء الشعر والنثر في عصر المماليك، وله ديوان شعر مطبوع، ولد سنة ٦٨٦هـ ومات سنة ٧٦٨هـ.
(٤) الصدا بتسهيل الهمزة: وسخ الحديد ونحوه، والصدى: العطش.
(٥) الجد: الحظ أو أبو الأب أو أبو الأم.
(٦) عفا: صفح، وعفا المنزل: زال أثره.
(٧) قضى: مات أو حكم.
(٨) الجفون: أغطية العيون أو أغماد السيوف.

٢ ـ الحمّام أَبلغ من الكتّاب إِذا...

٣ ـ قلبي جارُهم يوم رَحلوا ودمعي...

(٥)

اشرح قول ابن دَانْيال طبيب العيون[١] وبيِّن ما فيه من حلاوة التورية:

يا سائلي عنْ جِرْفتي في الورَى ... واضيْعتي فيهم وإفلاسي!

ما حالُ منْ دِرْهَمُ إِنْفاقِهِ ... يأْخذه من أَعْيُنِ الناس؟

(٢) الطِّباق

الأمثلة:

١ ـ قال تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾[٢].

٢ ـ وقال ﷺ: «خَيْرُ الْمَالِ عَيْنٌ سَاهِرَةٌ لِعَيْنٍ نَائمة»[٣].

* * *

٣ ـ وقال تعالى: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ﴾.

٤ ـ وقال السموءل:

وَنُنْكِرُ إِنْ شِئْنَا عَلَى النَّاس قَوْلَهُمْ ... وَلا يُنْكِرُونَ القَوْلَ حِينَ نَقُولُ[٤]

البحث:

إذا تأملت الأمثلة المتقدمة، وجدت كلًّا منها مشتملًا على شيءٍ وضده، فالمثال الأول مشتمل عى الكلمتين: «أيقاظاً» و«رقود» والمثال الثاني مشتمل على الكلمتين: «ساهرة» و«نائمة».

أما المثالان الأخيران فكل منهما مشتمل على فعلين من مادة واحدة أحدهما

---

(١) هو شمس الدولة الموصلي، صاحب النظم الحلو والنثر العذب والنكت الغربية، وكان له دكان للكحل داخل باب الفتوح، مات بمصر سنة ٧١٠هـ.

(٢) أيقاظاً: جمع يقظ ككتف، ورقود: نيام، جمع راقد.

(٣) يعني أن خير المال عين ماء ينام صاحبها وهي تظل فائضة تسقي له أرضه.

(٤) معنى الشطر الثاني أنهم لشدة بأسهم يخشاهم الناس فلا ينكرون عليهم ما يقولون.

إيجابيٌ والآخر سَلبي، وباختلافهما في الإيجاب والسلب صارا ضدين، ويسمى الجمع بين الشيءِ وضده في الأمثلة المتقدمة وأشباهها طباقاً، غير أنه في المثالين الأولين يدعى «طباق الإيجاب» وفي المثالين الأخيرين يدعى «طباق السلب».

القاعدة

(٧٢) الطِّباقُ الْجَمْعُ بَيْنَ الشَّيْءِ وضِدّه في الكلام، وهُوَ نَوْعان:

أ ـ طِبَاقُ الإيجاب، وَهُو ما لَمْ يَخْتَلِفْ فِيهِ الضدّان إيجَاباً وَسَلْباً.

ب ـ طِبَاقُ السّلبِ، وَهُو ما اخْتَلَفَ فِيهِ الضّدان إيجَاباً وَسَلْباً.

تمرينات

(١)

بيّن مواضع الطباق في الأمثلة الآتية، ووضّح نوعه في كل مثال:

١ ـ قال تعالى: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾.

٢ ـ وقال دِعْبل الخُزاعيُّ:

لا تعجبي يا سلْمُ مِنْ رجُلٍ ضَحِكَ الْمشيبُ برأسِهِ فبكى[١]

٣ ـ وقال غيره:

على أنني راضٍ بأنْ أحْمِلَ الهوَى وأخْرُجَ مِنْهُ لَا عَلَيّ ولا لِيَا[٢]

٤ ـ وقال البحتري:

يُقَيِّضُ لي مِنْ حيثُ لا أعْلَمُ النوى ويَسري إليّ الشّوْقُ مِنْ حيثُ أعْلمُ[٣]

٥ ـ وقال المُقنّع الكنْدِي[٤]:

---

(١) سلم: مرخم سلمى اسم امرأة.

(٢) في علي معنى التضرر وفي اللام معنى الانتفاع، ومن هنا جاء الطباق بين الحرفين.

(٣) يقول يقضي عليه بالبعاد فلا يدري له سبباً، ويغالبه الشوق فيعرف مصدره ومبعثه.

(٤) شاعر مقل من شعراء الإسلام في عهد بني أمية، وكان له شرف ومروءة وسؤدد في عشيرته، وكان سمح اليد بماله لا يرد سائلاً، وإنما لقب بالمقنع لأنه كان أجمل الناس وجهاً. وكان يخشى إذا حسر اللثام عن وجهه أن تصيبه العين، ولذلك كان يمشي مقنع الوجه ملثماً.

لهُمْ جلَّ مالي إن تتابع لي غِنًى وإنْ قلّ مالي لَمْ أُكلِّفهمْ رِفْدا[١]

٦ - وقال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ[٢] يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[٣].

٧ - وقال تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾[٤].

٨ - وقال السموءل بن عادياء:

سلي إن جهلْتِ النّاس عنا وعنْهُمُ فليس سواءٌ عالم وجهُولُ[٥]

٩ - وقال الفرزدق يهجو بني كُلَيْب:

قبح الإلٰهُ بني كُلَيْبٍ إنّهمْ لَا يغدِرونَ ولا يَفُونَ بِجَارِ[٦]

١٠ - وقال أبو صخْر الهُذليّ[٧]:

أما والّذِي أبْكى وأضْحكَ والذي أماتَ وأحْيا والذي أمرُه الأمرُ
لَقَدْ تركَتْني أحْسُدُ الوحْش أنْ أرى خليليْنِ مِنْها لا يروعُهُما الذعْر[٨]

١١ - وقال الحماسيُّ:

تأخّرتُ أسْتَبْقي الحياةَ فلَم أجدْ لِنَفْسي حياةً مِثْل أنْ أتَقَدّما[٩]

---

(١) الرفد: العطاء والصلة، يقول: إني إذا ازددت مالاً ازددت لهم بذلاً، وإن قلّ مالي لم أطلب منهم عطاء.

(٢) أي لا يعلمون أمور الآخرة.

(٣) أي يعلمون أمور الدنيا الظاهرة.

(٤) أي للنفس ثواب ما كسبته من الطاعات، وعليها عقاب ما اقترفته من المعاصي.

(٥) يقول: إن كنت جاهلة حالنا فسلي الناس عنا يخبروك، فليس العالم كالجاهل.

(٦) يذم بني كليب بأنهم ضعاف لا يستطيعون الغدر بأحد، ويذمهم بأنهم لا يفون بحقوق الجار.

(٧) أحد بني هذيل وهو شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية، وكان موالياً لبني مروان متعصباً لهم، وله في عبد الملك مدائح.

(٨) راعه: أفزعه، والذعر: الخوف، يقول في البيتين: أقسم بمَن بيده الحزن والسرور والإماتة والإحياء، لقد جعلتني الحبيبة في حال إذا تأملت معها الوحوش وهي تأتلف في مراعيها تمنيت أن أكون مثلها في تآلفها، لأني أرى كل أليفين منها آمنين لا يفزعهما خوف من الوشاة والرقباء.

(٩) يقول: إنه تأخر عن القتال إبقاء على حياته، فرأى أن الإقدام أحفظ لحياته وأبقى لها لأنه يدفع الأعداء عن نفسه ويقتلهم قبل أن يقتلوه.

(٢)

اقرأ ما كتبه ابن بطوطة[١] في وصف مصر وبيّن جمال الطباق في أُسلوبه:

هي مجْمعُ الوارد والصادر[٢]، ومحط رَحْل[٣] الضعيف والقادر، بها ما شِئتَ من عالِم وجاهِل، وجادٍّ وهازل، وحليم وسفيه، ووضيع ونبيه، وشريف ومشروف، ومُنْكَر ومعروف، تَمُوج مَوْج البحر بسكّانها، وتكاد تَضِيق بهم على سَعة مكانها.

(٣)

حوّل طباق الإيجاب في الأمثلة الآتية إلى طباق السلب:

١ - العدوُّ يُظهر السيئة ويُخْفي الحسنة.

٢ - ليس من الحزم أن تُحْسِن إلى الناس وتسيء إلى نَفْسك.

٣ - لا يليق بالمُحْسن أن يُعْطِي البعيد ويمْنَعَ القريب.

(٤)

حوّل طباق السلب في الأمثلة الآتية إلى طباق الإيجاب:

١ - يَعْلم الإنسانُ ما في اليوم والأمس، ولا يعلم ما يأتي به الغد.

٢ - اللئيم يعْفُو عند العجز، ولا يعفو عند المقدرة.

٣ - أُحب الصدق ولا أُحب الكذب.

(٥)

١ - مثّل لكل من طباق الإيجاب وطباق السلب بمثالين من إنشائك.

٢ - هات مثالين لطباق الإيجاب، ثم حوّلهما إلى طباق السلب.

٣ - هات مثالين لطباق السلب، ثم حولهما إلى طباق الإيجاب.

---

(١) رحالة مشهور، ولد بطنجة سنة ٧٠٣هـ، وسافر إلى مصر والعراق والشام واليمن والهند والصين وغيرها من الأقطار الشرقية، ثم رجع إلى المغرب وأخذ يملي رحلته المسماة (تحفة النظار في غرائب الأمصار) وقد ترجمت إلى كثير من اللغات الأوربية، وتوفي سنة ٧٧٩هـ.

(٢) محل اجتماع مَن يأتي إليها ومَن ينزح عنها.

(٣) الرحل: ما يجعل على ظهر البعير للركوب.

(٦)

اشرح البيت الآتي، وبيّن نوع الطباق به:

والشَّيْبُ يَنْهضُ في الشَّبابِ كأنه ... لَيْلٌ يصِيحُ بجانِبَيْهِ نَهارُ[١]

(٣) المقابلة

الأمثلة:

١ - قال ﷺ للأنصار: «إنكم لَتَكْثُرُونَ عِنْدَ الْفَزَعِ، وتَقِلُّونَ عِنْدَ الطَّمَعِ».

٢ - وقال خالد بنُ صَفْوَانَ يَصِفُ رَجُلاً: لَيْسَ له صديقٌ في السِّر، وَلاَ عَدُوٌّ في الْعلاَنِيَةِ.

* * *

٣ - قال بعض الخلفاء: مَنْ أَقْعَدَتْه نِكايَةُ اللِّئام، أَقَامَتْهُ إعانةُ الكِرام.

٤ - وقال عبد الملك بن مَرْوان[٢]: مَا حَمِدْتُ نَفْسي عَلَى مَحبوب ابتدأْتُه بعَجْزٍ، ولا لُمْتهَا عَلَى مكروه ابتدأْتُه بحزم.

البحث:

إذا تأملت مثالي الطائفة الأولى وجدت كل مثال منهما يشتمل في صدره على معنيين، ويشتمل في عجزه على ما يقابل هذين المعنيين على الترتيب، ففي المثال الأول بيّن النبيُّ ﷺ صفتين من صفات الأنصار في صدر الكلام وهما الكثرة والفزع، ثم قابل ذلك في آخر الكلام بالقلة والطمع على الترتيب، وفي المثال الثاني قابل خالد بن صفوان الصديق والسرّ بالعدو والعلانية.

انظر مثالي الطائفة الثانية تجد كلًّا منهما مشتملًا في صدره على أكثر من معنيين، ومشتملًا في العجز على ما يقابل ذلك على الترتيب، وأداءُ الكلام على هذا النحو يسمى مقابلة.

---

(١) البيت للفرزدق، والمراد بالشباب هنا الشعر الأسود.

(٢) ملك من أعاظم ملوك بني أمية ودهاتها، انتقلت إليه الخلافة بموت أبيه سنة ٦٥هـ فضبط أمورها، ونقلت في أيامه الدواوين من الفارسية والرومية إلى العربية، وهو أول مَن صكَّ الدنانير في الإسلام، وكان واسع العلم والمعرفة، توفي سنة ٨٦هـ.

والمقابلة في الكلام من أسباب حسنه وإيضاح معانيه، على شرط أن تتاح للمتكلم عفواً، وأما إذا تكلفها وجرى وراءها، فإنها تعتقل المعاني وتحبسها، وتحرم الكلام رونق السلامة والسهولة.

القاعدة

(٧٣) الْمُقَابَلَة أَنْ يُؤْتَى بِمَعْنَيَيْن أَوْ أَكْثَر، ثم يُؤْتَى بِمَا يُقَابِلُ ذَلِكَ عَلَى التَّرْتِيب.

تمرينات

(١)

بيِّن مواقع المقابلة فيما يأتي.

١ - روَت عائشة عن النبي ﷺ أنه قال:

«عليك بالرِّفق يا عائشة، فإنه ما كان في شيء إلا زانه، ولا نُزع من شيء إلا شانه».

٢ - وقال بعض البلغاء: كدرُ الجماعة خيرٌ من صفو الفُرْقَة.

٣ - وقال تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ﴾.

٤ - وقال جرير:

وباسِطُ خَيْرٍ فِيكُمْ بيمِينهِ وقَابِضُ شَرٍّ عنْكُمْ بشِمالهِ

٥ - وقال البحتري:

فإذا حارَبُوا أَذَلُّوا عزِيزاً وإذا سالَمُوا أعَزُّوا ذلِيلا

٦ - وقال الشريف:

ومنْظَرٍ كان بالسَّرَّاءِ يُضْحِكُني يا قُرْب ما عادَ بالضراءِ يُبْكيني

٧ - وقال تعالى: ﴿لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ﴾.

٨ - وقال تعالى: ﴿بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ﴾.

٩ - وقال النابغة الجعْدِيُّ:

فَتًى كانَ فِيهِ مَا يَسُرُّ صَدِيقَهُ على أن فِيهِ مَا يَسُوءُ الأعَادِيَا

١٠ - وقال أبو تمام:

يَا أُمَّةً كانَ قُبْحُ الجوْرِ يُسْخِطُها دهراً فأَصْبَحَ حُسْنُ العَدْلِ يُرْضِيها

١١ ـ وقال أيضاً:

قَدْ يُنْعِم اللّهُ بالبلوَى وإنْ عظُمتْ   ويبْتَلي اللّهُ بعضَ القَوْم بالنِّعم

١٢ ـ وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾.

١٣ ـ وقال المعرّي:

يا دهْرُ يا مُنجزَ إيعادِهِ   ومُخْلِفَ المأمول مِنْ وعْدِه

(٢)

ميّز الطباق من المقابلة فيما يأتي:

١ ـ ﴿فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾.

٢ ـ وقال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ۝٤٣ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ۝٤٤﴾.

٣ ـ وقال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾.

٤ ـ وقال أبو الطيب:

أزُورُهُمْ وسوادُ اللّيلِ يشْفَعُ لي   وأنْثَني وبيَاضُ الصُّبْحِ يُغْرِي بي

٥ ـ الكريم واسع المغفرة، إذا ضاقت المعذِرة.

٦ ـ غَضَبُ الجاهِل في قَوْله، وغضبُ العاقل في فِعْله.

٧ ـ وقال المنصور: لا تخرجُوا من عزِّ الطاعة إلى ذلِّ المعصية.

٨ ـ لَئِنْ ساءني أنْ نِلتِني بمَساءةٍ   لَقَدْ سَرّني أنّي خَطَرْتُ ببالِكِ

٩ ـ وقال النابغة:

وإن هبطا سهلًا أثارا عَجاجَةً   وإنْ علَوا حزْناً تَشظّتْ جنادِلُ[1]

١٠ ـ قال أوْسُ بن حَجر:

أطَعْنا رَبنا وعصاهُ قَوْمٌ   فذُقْنا طَعْمَ طاعَتِنا وذاقُوا

---

(١) تشظت جنادل: تكسرت حجارة.

(٣)

إيت بمقابل الألفاظ الآتية، ثم كوّن منها ومن أضدادها بعض أمثلة للطباق، وبعض أمثلة أُخرى للمقابلة:

قدّم. الليل. الصحة. الحياة. الخير. المنع. الغنى.

(٤)

١ ـ هات مثالين للمقابلة تُقابل في كل منهما معنيين بآخرين.

٢ ـ هات مثالين للمقابلة تُقابل في كل منهما ثلاثة معان بثلاثة أُخرى.

(٥)

اشرح البيت الآتي، وهل ترى أن الشاعر وُفق فيه إلى المقابلة؟

لِمَنْ تَطْلُبُ الدنْيا إذَا لَمْ تُرِدْ بِهَا ... سُرُورَ مُحِبٍّ أَوْ إساءَةَ مُجْرِمِ

(٤) حسن التعليل

الأمثلة:

١ ـ قال المعري في الرثاء:

وَمَا كُلْفَةُ الْبَدْرِ الْمُنِيرِ قَدِيمَةً ... وَلَكِنَّهَا في وَجْهِهِ أَثَرُ اللَّطْمِ[1]

٢ ـ وقال ابن الرومي:

أما ذُكَاءُ فَلَمْ تَصْفَرَّ إذْ جَنَحَتْ ... إلَّا لِفُرْقَةِ ذَاكَ الْمَنْظَرِ الْحَسَنِ

٣ ـ وقال آخر في قِلّةِ المطر بمصر:

مَا قَصَّرَ الغيثُ عَنْ مِصْر وتُرْبَتِها ... طَبْعاً وَلَكِنْ تَعَدَّاكُمْ مِنَ الْخَجَلِ

---

(١) الكلفة: كدرة تعلو الوجه.

البحث:

يرثي أبو العلاء في البيت الأول ويبالغ في أن الحزن على المرثي شَمِل كثيراً من مظاهر الكون، فهو لذلك يدّعي أن كلفةَ البدر وهي ما يظهر على وجهه من كدْرة، ليست ناشئة عن سبب طبيعي، وإنما هي حادثة من اللطم على فراق المرثيّ.

ويرى ابن الرومي في البيت الثاني أن الشمس لم تَصفَرّ عند الجنوح إلى المغيب للسبب الكوني المعروف عند العلماء. ولكنها اصفرت مخافة أن تفارق وجه الممدوح. وينكر الشاعر في البيت الثالث الأسباب الطبيعية لقلة المطر بمصر، ويتلمس لذلك سبباً آخر هو أن المطر يخجل أن ينزل بأرض يعمُّها فضلُ الممدوح وجوده؛ لأنه لا يستطيع مباراته في الجود والعطاء.

فأنت ترى في كل مثال من الأمثلة السابقة أن الشاعر أنكر سبب الشيء المعروف والتجأ إلى علة ابتكرها تناسب الغرض الذي يرمي إليه، ويسمى هذا الأسلوب من الكلام حسن التعليل.

القاعدة

(٧٤) حُسْنُ التَّعْلِيل أنْ يُنْكِرَ الأدِيبُ صَرَاحَةً أوْ ضِمْناً عِلَّةَ الشَّيْءِ الْمَعْرُوفَةَ، وَيَأْتِي بعلَّةٍ أدَبيَّةٍ طَرِيفَةٍ تُنَاسِبُ الغَرَضَ الَّذِي يَقْصِدُ إِلَيْهِ.

تمرينات

(١)

وضح حُسْن التعليل في الأبيات الآتية:

١ ـ قال ابن نباتة:

لَمْ يَزَلْ جُودُه يَجُورُ على الْمَال ... إلى أن كَسَا النُّضَارَ اصْفِرارا

٢ ـ وقال شاعر يمدح ويُعلل لزلزَال حدث بمصر:

ما زُلزلَتْ مِصْرُ مِنْ كَيْدٍ يرادُ بها ... وإنما رقَصتْ مِنْ عدْلِهِ طَرَبا

٣ ـ أرى بدْرَ السَّمَاءِ يلوحُ حيناً ... ويَبْدُو ثمَّ يلْتحِفُ السَّحابا

وذاكَ لأنَّه لمَّا تبدَّى ... وأبْصَر وجْهَكَ اسْتَحْيا وغابا

٤ ـ وقيل في وصف فرس أدهم ذِي غرّة[١]:

وأدهم كالغُراب سَواد لونٍ ... يَطِيرُ معَ الرِّياح ولا جَناحُ
كَساهُ اللَّيلُ شملَتَهُ وولّى ... فَقَبَّل بيْن عيْنَيْهِ الصَّباحُ[٢]

٥ ـ وقال ابن نُباتة السعديّ في فرس مُحجّل[٣] ذِي غُرة:

وأدْهَم يستَمِدُّ اللّيلُ مِنْهُ ... وتَطْلُعُ بيْنَ عيْنَيْهِ الثّرَيّا[٤]
سرى خَلْف الصَّباحِ يطِيرُ زَهْواً ... ويَطْوي خَلْفَهُ الأفلاكَ طيّا[٥]
فلما خَاف وشْكَ الْفَوْتِ مِنْهُ ... تَشَبَّث بالْقَوائِمِ والمُحيّا[٦]

٦ ـ وقال الأُرْجانيّ:

أبْدى صنِيعُك تَقصير الزّمان ففي ... وقْتِ الرّبيع طُلوعُ الورْدِ مِن خَجَل

٧ ـ وقال بعضهم يرثي كاتباً:

اسْتَشْعر الكُتّابُ فَقْدَكَ سالِفاً ... وقَضَتْ بِصِحّة ذَلِكَ الأيامُ
فَلِذاكَ سُوِّدتِ الدُّوِيُّ كآبَةً ... أسفاً عليْكَ وشُقّتِ الأقلامُ

٨ ـ وقال آخرُ:

سبقَتْ إلَيْكَ مِنَ الحدائق وَرْدةٌ ... وأتتْكَ قَبْل أوانِها تَطْفِيلا[٧]
طَمِعتْ بِلَثْمِكَ إذْ رأتْكَ فجمّعتْ ... فَمهَا إلَيْكَ كَطَالِب تَقبيلا
٩ ـ لاَ يطْلُعُ البدْرُ إلاَّ مِنْ تَشَوُّقِهِ ... إليك حتّى يُوافي وجْهَكَ النضِرا
١٠ ـ بكت فَقْدكَ الدُّنيا قَدِيماً بدمْعِها ... فكان لها في سالِفِ الدَّهْر طُوفان[٨]

---

(١) الأدهم: الأسود، والغرة: بياض في جبهة الفرس.
(٢) الشملة: ثوب يتلفف به.
(٣) التحجيل: بياض في قوائم الفرس.
(٤) يقول: إن الفرس لشدة سواده يستعير الليل لونه، ويشبه الشاعر غرة الفرس بالثريا.
(٥) الزهو: الكبر والفخر، والأفلاك: جمع فلك وهو مدار النجوم.
(٦) وشك الفوت: سرعته، والتشبث: التعلق، يقول: إن الصباح لما خاف أن يسبقه الفرس تعلق بقوائمه ووجهه ليمنعه السبق.
(٧) أتتك تطفيلاً: أتتك بلا دعوة منك.
(٨) الطوفان: المطر الغالب والماء الغالب يغشى كل شيء، يريد الشاعر الطوفان الذي حدث في زمن نوح عليه السلام.

(٢)

علِّل لما يأتي بعلل أدبية طريفة:

١ ـ دُنُوّ السحاب من الأرض.

٢ ـ احتراق دار غابَ عنها أهلوها.

٣ ـ كُسوف الشمس.

٤ ـ نزول المطر في يوم مات فيه عظيم.

(٣)

مثّل تمثالين من إنشائك لحسن التعليل.

(٤)

اشرح البيتين الآتيين، وبيِّن ما فيهما من حسن التعليل، وهما لأبي الطيب في المدح:

أَلَسْتَ ابنَ الأُلَى سعدُوا وسادوا ... ولَمْ يلِدُوا امْرأً إلا نجيبا

وما ريحُ الرِّياض لَهَا ولكِنْ ... كَساها دفنُهم في التُّرْب طيبا

(٥ و٦) تأْكيدُ المدح بما يُشْبهُ الذَّم وعَكْسُه

الأمثلة:

١ ـ قال ابن الروميّ:

لَيْسَ بِهِ عَيْبٌ سِوَى أَنَّهُ ... لا تَقَعُ الْعَيْنُ عَلَى شِبْهِهِ

٢ ـ وقال آخر:

ولَا عَيْبَ فِي مَعْرُوفِهِمْ غَيْرَ أَنَّهُ ... يُبَيِّنُ عَجزَ الشَّاكِرِينَ عَنِ الشُّكْرِ

* * *

٣ ـ وقال ﷺ: «أَنَا أَفْصَحُ الْعَرَبِ بَيْدَ أَنّي من قُرَيْش».

٤ ـ وقال النابغة الجَعْدِيُّ:

فتى كَمُلَتْ أخلاقُهُ غيرَ أنَّهُ جَوَادٌ فَمَا يُبْقِي عَلَى الْمال بَاقِيَا

البحث:

لا أظنك تتردد في أن الأمثلة السابقة جميعها تفيد المدح ولكنها وُضعت في أُسلوب غريب لم تَعْهَدْه، ولذلك نرى أن نشرحه لك.

صدَّر ابن الرومي في المثال الأول كلامه بنفي العيب عامة عن ممدوحه، ثم أتى بعد ذلك بأداة استثناء هي «سوى» فسبق إلى وهم السامع أن هناك عيباً في الممدوح، وأن ابن الرومي سيكون جريئاً في مصارحته به، ولكن السامع لم يلبث أن وجد بعد أداة الاستثناء صفةَ مدح، فراعه هذا الأسلوب، ووجد أن ابن الرومي خدعه فلم يذكر عيباً، بل أكّد المدح الأول في صورة توهم الذم، ومثل ذلك يقال في المثال الثاني.

انظر إلى المثال الثالث تجد أن النبي ﷺ وصف نفسه بصفة ممدوحة وهي أنه أفصح العرب، ولكنه أتى بعدها بأداة استثناء فدهِش السامع، وظن أن النبي ﷺ سيذكر بعدها صفةً غير محبوبة. ولكن سرْعان ما هدأت نفسه حين وجد صفة ممدوحة بعد أداة الاستثناء، وهي أنه من قريش، وقريش أفصح العرب غير منازَعين. فكان ذلك توكيداً للمدح الأول في أُسلوب ألف الناس سماعه في الذم، وكذلك يقال في المثال الأخير. ويسمى هذا الأسلوب في جميع الأمثلة المتقدمة وما جاء على شاكلتها **تأكيد المدح بما يشبه الذم.**

وهناك أسلوبٌ لتوكيد الذم بما يشبه المدح وهو كالأسلوب السابق، له صورتان: فالأولى نحو: لا جمال في الخطبة إلاّ أنها طويلة في غير فائدة، والثانية نحو: القوم شِحاحٌ إلاّ أنهم جُبناء.

القواعد

(٧٥) تأكِيدُ الْمَدْحِ بما يُشْبهُ الذمّ ضربان:

أ ـ أنْ يُستَثْنَى مِنْ صِفَة ذَمٍّ مَنْفِيَّةٍ صِفَةُ مَدْح.

ب ـ أن يُثْبَتَ لِشَيْءٍ صِفَةُ مَدْحٍ، ويُؤْتَى بَعْدَها بأداةِ اسْتِثْناءٍ تَلِيهَا صِفَةُ مَدْحٍ أُخرَى.

٧٦ ـ تأكيدُ الذّمّ بما يُشْبهُ المدحَ ضربان:

أ ـ أن يُسْتَثْنَى مِنْ صِفَةِ مَدْحٍ مَنْفِيَّةٍ صِفَةُ ذَمٍّ.

ب ـ أَنْ يُثْبَتَ لِشَيْءٍ صِفَةُ ذَمٍّ، ثُمَّ يُؤْتَى بَعْدَها بأَدَاةِ ٱسْتِثْنَاءٍ[1] تَلِيهَا صِفَةُ ذَمٍّ أُخْرَى.

تمرينات

(١)

إشرح ما في الأمثلة الآتية من تأكيد المدح بما يشبه الذم، وبيِّن ضربه:

١ ـ قال ابنُ نُباتة المِصْريّ:

ولَا عيْبَ فِيهِ غَيْر أنّي قَصدْتُهُ فَأنْسَتْنِيَ الأيَّامُ أهلًا ومَوْطِنَا

٢ ـ وُجُوهٌ كأزْهار الرّياض نَضارةً ولكِنّها يوم الهِياجِ صُخُورُ

٣ ـ ولاَ عيْب فِيكُمْ غيْر أنَّ ضُيُوفَكُمْ تُعابُ بِنِسْيان الأحِبةِ والوطَنْ

٤ ـ هم فُرْسان الكلام إلاّ أنهم سادة أمجاد.

(٢)

إشرح ما في الأمثلة الآتية من تأكيد الذم بما يشبه المدح، وبيِّن ضربه:

١ ـ لا فضل للقوم إلاّ أنهم لا يعرفون للجار حقَّه.

٢ ـ الكلام كثير التعقيد سِوَى أنه مبْتَذَلُ المعاني.

٣ ـ لا حُسْن في المنزل إلاّ أنه مُظْلم ضيق الحجرات.

(٣)

بيِّن ما في الأمثلة الآتية من تأكيد المدح بما يشبه الذّم وعكسِهِ:

١ ـ قال صفيُّ الدِّين الحلّي[2]:

لَا عيْب فِيهم سِوى أنّ النزيلَ بِهِمْ يسْلُو عَنِ الأهْل والأوْطَان والحَشَم

---

(١) ومثل أداة الاستثناء في ذلك أداة الاستدراك.

(٢) شاعر الجزيرة، ولد ونشأ في الحلة «بين الكوفة وبغداد» ثم تأدب ونظم الشعر وأجاده، وهو من أئمة البديع المغالين في استعماله بلا كثير تكلف، وله ديوان شعر، وتوفي ببغداد سنة ٧٥٠هـ.

٢ ـ لا خير في هؤلاء القوم إلا أنهم يعيبون زمانَهم والعيبُ فيهم.

٣ ـ ولاَ عَيْبَ فِيهِ لامْرِئٍ غَيْرَ أَنَّهُ تُعَابُ لَهُ الدُّنْيَا ولَيْس يُعَابُ

٤ ـ هو بذيءُ اللسان غير أن صدره مَجمَعُ الأضْغان.

٥ ـ تُعَدُّ ذُنوبِي عِنْدَ قومٍ كثِيرةً ولَا ذَنْبَ لِي إلَّا العُلَا والْفَضَائِلُ

٦ ـ لا عزة لهم بين العشائر غير أن جارهم ذليل.

٧ ـ الجاهل عدوٌ نَفْسِهِ لكنَّهُ صديق السفهاءِ.

٨ ـ لا عيب في الروض إلا أنه عليل النسيم.

(٤)

١ ـ إمدح كتاباً قرأته وأكِّد المدح بما يشبه الذم.

٢ ـ إمدح بلداً زرتَه وأكِّد المدح بما يشبه الذم.

٣ ـ ذُم طريقاً سلَكْتَها، وأكد الذم بما يشبه المدح.

(٥)

اشرح البيتين الآتيين وبيِّن في أُسلوبهما تأكيد المدح بما يشبه الذم:

مدحْتُكمْ بمديحٍ لَوْ مدحْتُ بِهِ بحْرَ الحجاز لأَغْنَتْني جواهِرُهُ[1]

لَا عَيْبَ لي غَيْرَ أَنِّي مِنْ ديَارِكُم وزَامِرُ الحيِّ لَمْ تُطْرِبْ مَزَامِرُه

(١) يريد ببحر الحجاز بحر عمان حيث يغاص على اللؤلؤ.

(٧) أسلوبُ الحكيم

الأمثلة:

١ - قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾.

٢ - وقال ابن حجّاج[1]:

قالَ ثَقُلْتُ إذ أتَيْتُ مِراراً ... قُلْتُ ثَقَلْتَ كاهلي بالأيادي[2]

قالَ طَوَّلْتُ قُلْتُ أوْلَيْتَ طَوْلاً ... قالَ أبْرَمْتُ قُلْتُ حَبْلَ وِدادي[3]

البحث:

قد يخاطبك إنسان أو يسألك سائل عن أمر من الأمور فتجد من نفسك ميلًا إلى الإعراض عن الخوض في موضوع الحديث أو الإجابة عن السؤال لأغراض كثيرة منها أن السائل أعجزُ من أن يفهم الجواب على الوجه الصحيح، وأنه يجْملُ به أن ينْصرف عنه إلى النظر فيما هو أنفع له وأجدى عليه، ومنها أنك تخالف محدثك في الرأي ولا تريد أن تجبهه برأيك فيه، وفي تلك الحال وأمثالها تَصرفه في شيءٍ من اللباقة عن الموضوع الذي هو فيه إلى ضرب من الحديث تراه أجدر وأولى.

انظر إلى المثال الأول تجد أن أصحاب الرسول ﷺ سألوه عن الأهِلة، لِمَ تبْدو صغيرةً ثم تزداد حتى يتكامل نورها ثم تتضاءل حتى لا تُرى، وهذه مسألة من مسائل علم الفلك يُحتاج في فهمها إلى دراسة دقيقة طويلة فصرفهم القرآن الكريم عن هذا ببيان أن الأهلة وسائِل للتوْقيت في المعاملات والعبادات؛ إشارة منه إلى أن الأولى بهم أن يسألوه عن هذا، وإلى أنَّ البحث في العلوم يجب أن يُرْجأ قليلًا حتى تتوطد الدول وتَسْتَقِرّ صخرة الإسلام.

وصاحبُ ابن حجاج في المثال الثاني يقول له قد ثَقُلْتُ عليك بكثرة زياراتي فيصرفه عن رأيه في أدب وظُرْف وينقل كلمته من معناها إلى معنى آخر، ويقول له:

---

(١) هو أبو عبد الله بن أحمد البغدادي، شاعر فكه مقتدر على المعاني التي يديرها، كثير الهزل والفحش في شعره وله ديوان شعر كبير، توفي سنة ٣٩١هـ.

(٢) الكاهل: ما بين الكتفين.

(٣) طولت: أطلت الإقامة، والطول: التفضُّل والإحسان، أبرمت من معانيها: أمللت، ومن معانيها أحكمت فتل الحبل.

إنك ثقّلتَ كاهلي مما أغدقت عليّ من نِعم. ومثل ذلك يقال في البيت الثاني، وهذا النوع من البديع يسمى: أسلوب الحكيم.

القاعدة

(٧٧) أُسْلوبُ الحكيم تَلَقِّي الْمُخَاطَبِ بغيرِ ما يَتَرَقَّبُهُ، إمّا بتَرْكِ سؤالِهِ والإجابةِ عن سؤالٍ لم يَسْأَلْهُ، وإمّا بحَمْلِ كلامِهِ عَلى غير ما كانَ يَقْصِدُ؛ إشارَةً إلى أنّهُ كانَ يَنْبَغي له أنْ يَسْأَلَ هٰذا السؤال أوْ يَقْصِدَ هٰذا المَعْنَى.

تمرينات

(١)

بيِّن كيف جاء الكلام على أسلوب الحكيم في الأمثلة الآتية:

١ ـ ولقد أتيتُ لصاحبي وسألته ... في قرْض دِينار لأمر كانا
فأجابني والله داري ما حوتْ ... عيْناً فقلتُ له ولا إنْسانا[١]

٢ ـ قيل لشيخ هَرِم: كم سِنك؟ فقال: إني أَنْعمُ بالعافية.

٣ ـ قيل لرجل: ما الغنى؟ فقال: الجود أنْ تجودَ بالموجود.

٤ ـ سئل غريبٌ عن دينه واعتقاده، فقال: أحِبُّ للناس ما أُحِبُّ لنفسي.

٥ ـ قيل لتاجر: كم رأس مالك؟ فقال: إني أمِينٌ وثقَةُ الناس بي عظيمة.

٦ ـ قال الحجّاج للمهلّب: أنا أطول أم أنت؟ فقال: أنْت أطْولُ[٢] وأنا أبْسط قامة.

٧ ـ سئل أحد العمّال ما ادخرتَ من المال؟ فقال: لا شيء يعادل الصحة.

٨ ـ دخل سيد بن أنسٍ على المأمون فقال له المأمون: أنْت السّيِّد، فقال: أنتَ السيد وأنا ابن أنس.

٩ ـ طلبتُ منه دِرْهماً ... يوْماً فأظْهر العجَبْ
وقال ذا مِنْ فِضّةٍ ... يُصْنعُ لا مِن الذهَبْ

---

(١) العين: الذهب والباصرة، والإنسان قد يراد به إنسان العين وقد يراد به أحد بني آدم.

(٢) من معاني أطول أنها اسم تفضيل من الطول ضد القصر؛ وأنها اسم تفضيل من الطَّول بمعنى التفضيل.

١٠ ـ قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾.

١١ ـ لمّا توجه خالد بن الوليد لفتح الحيرةِ أتى إليه من قِبَل أهلها رجل ذو تجربة، فقال له خالد: فيمَ أنت؟ قال: في ثيابي، فقال: علام أنت؟ فأجاب: على الأرض؛ فقال: كم سِنك؟ قال: اثنتان وثلاثون، فقال: أسألك عن شيءٍ وتجيبني بغيره؟ فقال: إنما أجبتُ عما سألتَ.

١٢ ـ ولمّا نَعَى الناعِي سألناه خشْيةً ... وللعيْن خوف البيْن تَسكابُ أمطار
أجاب قضى! قلنا قَضى حاجةَ العُلا ... فقال مضى! قلنا بكل فَخار[1]

(٢)

إذَا سُئِلْت الأسئلة الآتية وأردت أن تتّبع أُسلوب الحكيم فكيف تجيب؟

١ ـ ما دخْلُ أبيك؟

٢ ـ أين منزلك؟

٣ ـ ما ثمنُ هذه الحُلّة؟

٤ ـ كم سنة قَضيْت في التعليم الثانوي؟

(٣)

كوّن مثالين من إنشائك تجري فيهما على أسلوب الحكيم.

(٤)

اشرح البيتين الآتيين وبيّن النوع البديعيّ الذي فيهما:

جاءني ابْني يوْماً وكنتُ أراهُ ... لي رَيْحانَةً ومصْدرَ أُنْسِ
قال ما الروح؟ قُلتُ إنك رُوحي ... قال ما النفْسُ؟ قلتُ إنك نفسي

والحمد لله أولاً وآخِراً

(١) قضى من معانيها مات، وأدى، ومضى من معانيها مات؛ ومضى بكذا ذهب به واختص.

أسئلة امتحان شهادة الدراسة الثانوية للقسم الثاني

(١) أسئلة الدور الأوّل

أجب عن الأسئلة الأربعة الآتية:

١ ـ هاتِ مثالين للهمزة التي يُطْلَب بها التصور، وآخرين للهمزة التي يُطْلَب بها التصديق، وأتِ بجواب الاستفهام في كلّ مثال.

٢ ـ تكلم من علم البيان على البيتين الأخيرين من قول الشريف:

وليْلَةٍ خُضْتُها على عجَل — وصُبْحُها بالظلام مُعْتَصِمُ
تَطَلَّع الفجرُ في جوانِبها — وانْفَلَتتْ من عِقالها الظُلَمُ
كأنما الدُّجْنُ في تزاحمِهِ — خَيْلٌ لها من بُروقهِ لُجُم

الدُّجْن = الغَيْم

٣ ـ إذا علمت أنّ «مقِيلاً» و«مَقالاً» اسما مكان، فما مضارع كل منهما مع بيان السبب.

٤ ـ أعرب البيت الآتي إعراباً موجزاً:

سلام إذا لم تكن لُقْيَة — وإن يداً أن تردُّوا السلاما

يداً = نعمة

أجب عن سؤالين من الأسئلة الآتية:

١ ـ خطب أبو بكر رضي الله عنه فكان ممّا قال:

«أيُّها الناس! إنّي وُلّيتُ عليكم، ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن زُغْتُ فقوّموني».

بيّن سبب ما جاء في الجمل السابقة من فصل ووصل.

٢ ـ تقول العرب فيمن جاهر قوماً بالعداوة:

«لبس لهم جلْد النَّمِر، وجلْد الأَرْقَم، وقَلَب لهم ظَهْر المِجنّ».

الأرقم = الحيَّةُ. المجن = الترس

فَبِمَ تُسمّي هذا الضرب من التعبير في علم البيان؟ وما سرّ البلاغة فيه؟

٣ ـ تكلم من علم البيان على قول أعرابيّ:

«كنتُ في شبابي أَعَضُّ على الملام، عضّ الجواد على اللجام. حتّى أخذ المشيبُ بعناني».

٤ ـ هاتِ مثالاً للتورية في وصف غناء الطيور، مستعملاً كلمة «عُود».

(٢) أَسئلة الدور الثاني

أجب عن الأسئلة الأربعة الآتية:

١ ـ قد ينادى القريب بأداة لنداء البعيد، وقد ينادى البعيد بأداة لنداء القريب فما الأغراض البلاغيّة لذلك؟ مثّل.

٢ ـ تكلم من علم البيان على قول الشريف في الشيب:

ضوءٌ تَشعْشع في سوادِ ذَوائبي لا أستضيءُ به ولا أستصبِحُ
بعتُ الشبابَ به على مِقَةٍ له بيعَ العليم بأنه لا يربحُ

المِقَةُ: المحبة

٣ ـ يقولون إنّ التصغير يردُّ الأشياء إلى أُصولها، فكيف توضّح ذلك بتصغير ما يأتي:

دارٌ ـ صِيغة ـ موقِظ

٤ ـ أعرب البيت الآتي إعراباً موجزاً:

أجب عن سؤالين من الأسئلة الآتية:

١ ـ بيّن الغرض من الاستفهام في البيت الآتي:

وهل نافعي أن ترفع الحجب بيننا ودون الذي أملت منك حجاب؟

٢ ـ بيّن في البيت الآتي الجمل الأصلية والفرعيّة، ونوعها من حيث الاسميّة والفعليّة. وإذا كان به إطناب فأين هو؟ وما اسمه؟

ليس الزمانُ وإن حرصتَ مُسالماً خُلقُ الزّمان عداوة الأحرار

٣ ـ اجعل كلاً مما يأتي مشبهاً به في تشبيه تمثيل:

أ ـ الهلال يبدو صغيراً، ثم ينمو، ثم يصير بدراً.

ب ـ العواصف تدع النبات الضعيف، وتقصف الأشجار العالية.

٤ ـ اكتب سجعتين في آخر كل منهما كلمة «الراحة» وسمْ هذا النوع.

فهرس المحتويات